العربية

المجلة

مجلة الثقافة العربية

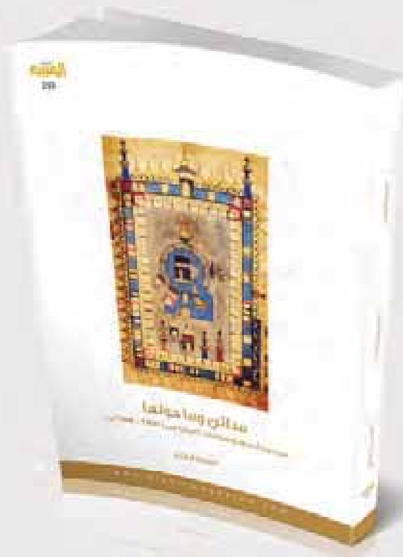
485



- مساعد بن عبدالرحمن أمير الثقافة والإدارة
- المهمشون في الغرب الإسلامي
- مكان اللغة في المخ

الثقافة.. في زمن السياسة

منشورات العربي









يصدر هذا العدد من (المجلة العربية) متزامناً مع معرض الرياض الدولي للكتاب، وهو الحدث الثقافي الكبير، ليس على مستوى المملكة العربية السعودية فحسب؛ بل على مستوى العالم العربي. إذ بات معرض الرياض في سنواته الأخيرة معلماً مهماً من معالم الثقافة العربية، وأصبح محط أنظار الناشرين العرب وتطلعاتهم، نظراً للإقبال الكبير، الذي يشهده المعرض طيلة أيامه.

و(المجلة العربية)، التي هي اليوم واحدة من دور النشر العربية، عبر منشوراتها وإصداراتها المتنوعة، ومن خلال مشاركاتها في عدد من معارض الكتب العربية، تستعد لهذا الحدث الثقافي بتقديم عدد من الإصدارات الجديدة، التي سيطالعها القارئ، وهي التي نشرتها خلال الفترة التي تلت معرض الرياض 2016، ومن أهمها:

- موسوعة (باراغون العلمية المصورة)، التي نشرتها المجلة بتمويل ودعم من مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، وتتكون من 18 مجلداً، وتحتوي على آلاف الصور، وقد تمت ترجمتها من اللغة الإنجليزية.
- سلسلة (ماذا أعرف؟) الثقافية، التي تمت ترجمتها من اللغة الفرنسية، وهي في 6 أجزاء.
- سلسلة (وظائف جديدة للقرن الحادي والعشرين) وهي في 15 مجلداً وتم ترجمتها من اللغة الإنجليزية.
- كتاب (معجم الفلاسفة) وقد تمت ترجمته لمؤلفه: ديديه جوليا.
- كتاب (تاريخ العلوم وفلسفتها) لمؤلفه توماس لو بلتيه وترجمة د. محمد طجو.
- كتاب (مدائن وما حولها) وهو كتاب يضم بين دفتيه صوراً ورسومات قديمة لعدد من المدن والقرى في المملكة العربية السعودية، وعدداً من صور رجالاتها وأبنائها.
- كتاب (الكويت في المجلة العربية) ضمّ ما نُشر في (المجلة العربية) خلال أربعين عاماً عن دولة الكويت، ثقافةً وأدباً وتراثاً وإنساناً، تقدمه المجلة هدية لكويت الثقافة والفنون والآداب بمناسبة افتتاح مركز الشيخ جابر الثقافي.
- كتاب (صور نادرة) وقد ضمّ مختارات من الصور التي نشرتها (المجلة العربية) خلال أربعين عاماً، لعدد من الشخصيات السياسية والثقافية والأدبية على امتداد العالم العربي.

إضافة إلى ذلك أعادت (المجلة العربية) نشر ثلاثة إصدارات نفدت خلال الفترة السابقة، وهذه الكتب هي:

- كتاب (تاريخ الغجر: الغجر في الدولة العثمانية).
- كتاب (تقنية النانو) لمؤلفه: توبي شيللي.
- قصة (حكاية الصبي الذي رأى النوم) للأطفال.

و(المجلة العربية) تؤمل أن تحقق هذه الإصدارات الهدف المأمول منها، وأن تكون إضافة مميزة للمكتبة العربية.

ونسعد في (المجلة العربية) أن تُشارك المجلة بمنشوراتها ومطبوعاتها في معرض باريس الدولي للكتاب، الذي سيُقام هذا الشهر، وذلك من خلال جناح وزارة الثقافة والإعلام. وتُعد هذه المشاركة هي الأولى للمجلة عبر معرض كتاب خارج الدول العربية، في محاولة للوصول إلى القارئ العربي في باريس.

محمد السيف

المجلة العربية

العـــدد
485

جمادى الآخرة 1438هـ | مارس 2017 م

رئيس التحرير
محمد بن عبدالله السيف

مدير التحرير
عبدالعزيز الصقعبي

سكرتيرا التحرير
عبدالرحمن الشايع
سعيد الدحية الزهراني

هيئة التحرير
عبدالعزيز المزيني
بدر عبدالله السند
محمد العميريني

www.arabicmagazine.com
لمراسلة المجلة على الإنترنت
info@arabicmagazine.com

الرياض: طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين)- شارع المنفلوطي
تليفون: 966-11-4767345 966-11-4777943
فاكس: 966-11-4766464
ص.ب 5973 الرياض 11432

صفحة المجلة العربية على facebook
@arabic_mag
arabic_mag

امتياز التوزيع



هاتف مباشر: 4871389 | هاتف: 4871414 فاكس: 4871460 | تلكس: 406725
كوندس إس جي | ص.ب: 84540 - الرياض 11671

الرياض	4871414	الباحة	7251869	الدمام	8112222
الزلفي	4222343	القصيم	3821942	القريات	6424512
أبها	2245984	الدوادمي	6423365	الطائف	7327711
الحوطة	5550777	المدينة	8361332	حفر الباطن	7222100
حائل	5323231	الجوف	6246733	تبوك	4230096
بيشة	6223073	مكة	5377730	جازان	3170381
جدة	6390333	ينبع	3223679	الأحساء	5922381
الخرج	5484020	نجران	5322654	عرعر	6625741

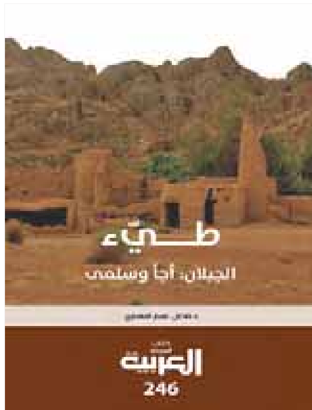
تركي بن عبدالله السديري

صحافي وكاتب ورئيس تحرير سعودي، ولد سنة 1363هـ، تلقى تعليمه في مدينة الرياض. رأس تحرير صحيفة «الرياض» مدة 41 سنة: من عام 1394 حتى قبول استقالته عام 1436هـ. أطلق عليه الملك عبدالله بن عبدالعزيز (يرحمه الله) لقب ملك الصحافة. انتخب أول رئيس لهيئة الصحفيين السعوديين وأول رئيس لاتحاد الصحافة الخليجية، ويعد السديري أحد أبرز صناع الصحافة السعودية الحديثة، وواحداً من أهم المؤثرين فيها على المستوى العربي.









يسلط كتاب «طـــيّء.. الجبلان: أجا وسلمى»، للدكتور فضل العماري الضوء على كثير من الدراسات التي اختصت بتاريخ المنطقة وجغرافيتها، مع وقفة مطوّلة مع بعض المواضع في بلاد طيّء قد تعيد تقويمنا للتوجهات التي أصبحت مقرَّرة الآن في المعاجم الجغرافية الحديثة على أنها هي كذلك، بعد تخليصها ممّا شابها في الكتابات القديمة. ويأتي هذا التقويم خطوة لإعادة النظر حتى في تلك التوجهات الحديثة.

سعر العدد

السعودية 10 ريالات | الكويت دينار واحد | الإمارات 10 دراهم | قطر 10 ريالات | البحرين دينار واحد | عمان 800 بيسة | مصر 5 جنيهات | ليبيا 400 درهم
تونس ديناران | الجزائر 2 يورو | المغرب 10 دراهم | موريتانيا 40 أوقية | السودان 300 قرش | الصومال 100 شلن | سوريا 200 ليرة | لبنان 4000 ليرة
الأردن دينار ونصف | اليمن 100 ريال | بريطانيا 4 يورو | الاتحاد الأوروبي 4 يورو | أمريكا 4 دولار | كندا 4 دولار | أستراليا 4 دولار

الاشـــتراك الســـنوي: سعر الاشتراك الفردي (140) ريالاً سعودياً أو ما يعادلها سعر الاشتراك الحكومي (400) ريال سعودي .

بورتريه العدد بريشة: رضوان الرياحي



54 الجوانب المشرقة للحرب العالمية الثانية

الإبداع

وكلاء توزيع المجلة العربية

مؤسسة الهلال للتوزيع - البحرين 0097317534559 | شركة الإمارات للتوزيع - الإمارات 0097143916501 | دار الشرق للتوزيع - قطر 009744557810 | مؤسسة العطاء للتوزيع - سلطنة عمان 0096824492936 | المجموعة الإعلامية العالمية - الكويت 009654826820 | الشركة العربية الإفريقية للتوزيع والنشر والصحافة - المغرب «الدار البيضاء» 341622/341621 مؤسسة الأهرام - مصر «القاهرة» 002025786100 | الشركة التونسية للصحافة - تونس: فاكس 332499 - 343004 | المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - سوريا «دمشق» 223772 الدار العربية للنشر والتوزيع - اليمن «صنعاء» فاكس: 331797 جوال: 00967711523996 | وكالة التوزيع الأردنية أرامكس ميديا - الأردن 0096265358855

رقم الإيداع 15/1881 ردمك ISSN: 101103460

خارج المملكة (250) ريالاً (أو ما يعادلها) للهيئات (120) ريالاً (أو ما يعادلها) للأفراد.

الثقافة والسياسة من المؤثر؟

فهد الحمود: الرياض

تغيرت اهتمامات الشعوب العربية، في السنوات الأخيرة. واحتل الحدث السياسي مساحة معتبرة من اهتمامات الأفراد والجماعات، ومتابعاتهم ومداولاتهم، وأصبح وجبة يومية لكل شخص عبر شاشات التلفاز ومواقع التواصل الاجتماعي.
الأسباب التي أدت إلى ذلك كثيرة ومتعددة، منها الأدوات التي ساعدت على سرعة وصول الخبر بشكل أسرع من البرق، مع تراوح نسبة المصداقية التي غالباً ما تكون (إشاعة)، كما أصبح المواطن هو الصحفي الحقيقي من خلال ما ينقله من الشارع مباشرة.
من الأسباب التي ضاعفت اهتمام الشعوب بالسياسة أكثر من السابق؛ الثورات العربية، وسقوط رؤساء لدول مجاورة، بعد تداعيات ما



يسمى بأحداث الربيع العربي، وما رافق ذلك من تحولات وتدخلات وتحالفات وتكتلات، أرّقت فكر المواطن العادي، بقدر ما أشغلت المسؤول وصاحب القرار.

ونتيجة لكل ذلك أصبح المتتبع للمشهد يبحث عن الدور الحقيقي للمثقف، والمتمثل في:

تحليل الموقف، وتبيان الحقائق من الإشاعات، وتوجيه الرأي العام نحو القضايا العادلة والمحقة والمواقف الصائبة. وفي الوقت نفسه ينتظر المجتمع من المثقف إشباع الجانب المعرفي والثقافي لدى عامة الشعب، وألا يطغى الحدث السياسي على الثقافي.

احتضار واستنفار

د.خالد عايش الحايـ: الرياض

يتزايد اهتمام المجتمع في الآونة الأخيرة بالأحداث السياسية. وأصبحتَ ترى في كل محفل اجتماعي وباختلاف مكوناته وطبقاته وشرائحه؛ اهتماماً بالأخبار والأحداث السياسية، تداولاً ونقاشاً. وأصبح الفرد متصلاً بكل الأحداث، ومطلعاً على الأخبار داخلياً وخارجياً، يوماً بيوم وساعة بساعة، من خلال وسائل الاتصال والإعلام المختلفة التي أصبح الإنسان اليوم يحملها في جيبه، ولا يستغني عنها، ولها أثر واضح في صياغة أفكاره وجذب انتباهه واهتمامه.

والمثقف واحد من أفراد المجتمع الذين تزايد اهتمامهم بالشأن السياسي، وقد يكون أكثر أفراد المجتمع اتصالاً



واهتماماً ومتابعة، ولا غرابة في ذلك؛ إذ ليس من المثالية أن ينقطع كل شخص لتخصصه الذي يبدع فيه - كما تذهب بعض الآراء، ولا يهتم بالتخصصات الأخرى، ولسنا في هذا السياق مع الشاعر حينما نادى بهجرها قائلاً:

واهجر أحاديث السياسة والأُلى
يتعلقون بحبل كل سياسي

وتركتُها لاثنين غرّ ساذج
وكذبٍ متذبذب دساس

فليس من المعقول أن يترك الشأن السياسي لهؤلاء، ومن على شاكلتهم، بمعنى ألا أحفل بالسياسية وما يدور فيها وأنقطع للحقل الذي أبدع فيه فقط، فمن المستحيل أن يحدث ذلك، ولا يستطيع أي شخص أن يتقيد به.

فهل يستطيع الإنسان اليوم أن يصبح كالحصان الذي يوضع على جانبي وجهه قناع حتى لا يرى إلا أمامه، ولا يرى ما يحدث حوله، وهو يمشي في الطريق ذاتها! لا شك أن هذا أمر صعب، فالإنسان لا بد أن يرى ما حوله ويتأثر ويؤثر، والمجتمع كما هو معروف مجموعة من الأنساق المختلفة، والسياسة نسق مهم في المجتمع. وثمَّة أنساق أخرى طاغية على المجتمع مثل الاقتصاد والرياضة، وأتمنى أن نناقش قضايانا الاجتماعية، ومشكلاتنا الاقتصادية على الأقل مثلما نناقش القضايا الرياضية.

فيبدو أن لدى محللي الرياضة سقفاً مرتفعاً من الحرية، ولو ناقشنا الجوانب والمشكلات الاجتماعية والسياسية لنجحنا في إيجاد حلول لكثير منها، على أننا ينبغي ألّا ننسى المرحلة العمرية لجيل الشباب الذين نجد اهتماماتهم في الجوانب الرياضية، ومناقشتهم واهتمامهم في هذا الجانب أكثر من غيره، تلبية لرغباتهم المرحلية، وهذا أمر غير مستغرب.

ثم إن الجانب الثقافي اليوم زاحمته جوانب متعددة؛ فتعطل جزء منه، وللأسف تبدو وسائل الإعلام المتخصصة في الجوانب الثقافية كالقنوات الفضائية وغيرها ضعيفة، ولم تصل إلى المستوى المطلوب، ويعد هذا من أسباب تدني مستوى الثقافة، فالفعل الثقافي لدينا يحتاج إلى تفعيل وتطوير، وطرح موضوعات تحرك المجتمع. كما أننا بحاجة إلى خروج المثقفين من عزلتهم، ومواكبة الأحداث الحية في مجتمعاتهم. ففي فترة زمنية سابقة كان للمثقف دور لدى أصحاب القرار بوصفهم مستشارين، أما اليوم فنوعية المادة المطروحة ليست كالسابقة، ولو عدنا إلى الماضي لوجدنا رأياً مؤثراً للمثقف ينبثق عن خبرة وتراكم.

الحدث الثقافي اليوم لا يواكب الحدث السياسي للأسف، ولا يتعاطى معه كما يجب، وهو يغرد خارج السرب، وما يتداول عبر وسائل التواصل الاجتماعي لا يعدو كونه تعبيراً شعبوياً لا يرقى إلى المستوى الثقافي النخبوي المرجو والمتوقع، فوسائل التواصل همشت النخبوي فأصبح في حالة احتضار بعد أن كان في حالة استنفار. فعلينا -كما يقال- إعطاء القوس باريها، بمعنى أن يتولى المشاركة في طرح حلول المشكلات المجتمع، وبخاصة الجانب الثقافي والأدبي، أصحاب التخصص.

الحدث الثقافي اليوم لا يواكب الحدث السياسي.. وما يتداول عبر وسائل التواصل لا يعدو كونه تعبيراً شعبوياً لا يرقى إلى المستوى الثقافي النخبوي

فصل الثقافي عن السياسي

د. غالب الخالدي: الرياض

ظهر تأثير الفعل السياسي على مختلف شؤون ومفاصل حياة الناس والشعوب والمناطق، بقوة، مع بدايات ما سمي بأحداث الربيع العربي وما رافقه وتلاه من عمليات إرهابية وتغيرات عسكرية وسياسية في بعض الدول العربية.

وفي خضم هذه الفوضى يجب أن نقول (الله يكون في عون المثقف)، فعليه دور كبير جداً لأنه يساهم في توعية المجتمع وصنع التغيير ويتحمل مسؤولية نشر ثقافة الاعتدال والتسامح وترويج مفهوم الإسلام المعتدل



والدولة الحديثة ومفهوم الأمة والوطن، فالمثقف قادر على مخاطبة عقول الناس أكثر من الآخرين.

وعلى المثقف أن يتحرك ويخالط الناس من أجل إيصال صوته وتأثيره على المجتمع، ولا ينتظر أن «يحركه أحد»، فبعض مثقفينا نجد أنهم ينأون بأنفسهم عن المجتمع، رغم حاجة المجتمع لهم، من جهة أخرى على المؤسسات الحكومية بشكل عام استقطاب هؤلاء المثقفين من أجل مخاطبة عقول الجماهير وقلوبهم.

وفي الحقيقة ليس الحدث السياسي اليوم هو نفسه الحدث الثقافي، وأتمنى أن لا يكون، إذ يجب من وجهة نظري أن يترفع الحدث الثقافي عن الحدث السياسي، فالحدث السياسي يحدث اليوم ونسعى لتحسينه بينما الحدث الثقافي دائماً جميل ونرغب أن يكون دائماً جميلاً وجيداً ويجب عدم الخلط بينهما.

ولم يكن ذلك الظهور والطغيان والتأثير للفعل السياسي، مقتصراً على دولة أو منطقة محددة، بل شمل الساحة العربية كلها من شرقها إلى غربها، وتعداها ليؤثر على الدول المجاورة، فخلق حالة من الارتباك والتوجس والتخوف والحذر.

وبالنسبة لدول الخليج، أصبح الحدث السياسي أكثر تأثيراً على المجتمع لعدة عوامل وأسباب منها انخفاض أسعار النفط، وازدياد دور إيران في المنطقة، وحرب اليمن والتخوفات من المستقبل، كل ذلك عزز اهتمام الشعوب بالسياسة ومتابعة الأحداث المحلية والإقليمية والعالمية.

كما أصبح لوسائل التواصل الاجتماعي والتقنية الجديدة دور مهم في تعزيز الاهتمام بالجانب السياسي، وفي نفس الوقت أصبح لها دور سلبي يتمثل في ترويج الإشاعات أكثر وصنعت أشياء سيئة وساهمت في زيادة الشحن السياسي.

أصبح لوسائل التواصل الاجتماعي دور مهم في تعزيز الاهتمام بالجانب السياسي وساهمت في زيادة الشحن السياسي

المثقف والثقة

د. حسن إبراهيم عين: الرياض

ازداد الاهتمام بالسياسية في المنطقة العربية على مستوى الشعوب في الفترة الأخيرة، لأسباب عدة منها أسباب خارجية وهي الأحداث التي شهدتها المنطقة العربية بما يسمى الربيع العربي وما نتج عنها من ثورات الشعوب ضد



حكوماتهم، والأمر الآخر التحولات الاقتصادية التي حدثت بالعالم والركود الاقتصادي بشكل كبير جداً، وللاقتصاد علاقة في ذلك من جذب الناس وهو مرتبط بحياة الناس بشكل كبير جداً.

من ناحية أخرى فإن المشهد السياسي والأحداث الأخيرة التي شهدتها المنطقة لم تبعد المثقف ولم تفصله عن السياسة، ولكن جعلت اهتماماته تختلف قليلاً، فمثلاً في السابق كان المثقفون يهتمون بالرواية والمسرح والفن والرياضة بشكل لافت، أما الآن فالاهتمام دخل عليه الجانب السياسي وأصبح المثقف يهتم بالقضايا التي تهم الفرد في المجتمع، ولذلك أصبح اهتمامه أكثر بالقضايا السياسية وما ينعكس عليه من توجهات جديدة وأفكاره وآرائه من الناحية السياسية.

من وجهة نظري أرى أن المثقف يفترض أن يكون ذا تأثير على المجتمع، وأكثر قرباً من أفراده وقضاياه، لكن الناس في الفترة الأخيرة لم تعد تثق بآراء البعض من المثقفين لأنها لا تصب في نفس توجه عامة الشعب وأصبح الناس يثقون بصاحب القرار والصلاحية وتعدى ذلك مرحلة الثقة في المثقف.

الحدث السياسي اليوم تحول إلى الحدث الثقافي والحواري بين أفراد المجتمع وداخل المدارس، بمعنى اليوم أي قضية سياسية أو قرار سياسي نجد الأفراد دائماً يتسمرون حول شاشات التلفاز أو يتابعون (السوشيل ميديا) من خلال عدة منصات التواصل الاجتماعي لمعرفة القرار ما هو ومعرفة تأثيره على أفراد المجتمع هل بالإيجاب أو السلب!

ختاماً أقول، يجب على المثقف أن يقدم فكراً واضحاً يخدم المجتمع حتى يثق به ويستفيد منه المشرعون وأصحاب القرار وأصحاب السلطة.

الحدث السياسي اليوم تحول إلى الحدث الثقافي الحواري بين أفراد المجتمع والمدارس ومختلف تفاصيل الحياة

أتون المحرقة



محمد محمود البشتاوي: الأردن

لا يوجد مثقف لم تلفحه نار السياسة، إلا أن التورط في هذا الحقل قد يدخل المثقف في أتون المحرقة، ثمة من انجذب إليها كما حال الفراشة عندما تقترب كثيراً من شعلة الشمعة فتهوي. وما أعنيه هنا، أن يتحول المثقف إلى سياسي، متناسياً موقعه، ودوره في المجتمع، فتتبدل بذلك وظيفته، ليصبح محللاً ومنظراً في علم السياسة.

التداخل ما بين الحقلين قائم، إلا أن حماسة المثقف للسياسة، أكانت سلطة، أم حزباً، أو تياراً فكرياً؛ قد تحوله إلى (ناطق إعلامي)، تصدر منه بيانات الإدانة، والشجب، والتبرير، والاصطفاف، تابعاً، دون أن يمتلك رؤية عميقة، وجذرية، في فهم، وتفسير الأحداث، وبناء الموقف عليها.

قبل موجة التغيير التي اجتاحت المنطقة، وما أحدثته من تطورات كبرى ؛ كان المثقف العربي منزوياً، ومعزولاً، يقيم في برجه العالي، ينتج نصاً يفيض بـ(الأنا)، وهوامش يومية ذاتية، فيها تهويم كبير، وضبابية، رافضاً -في الغالب- أن ينتج نصاً له علاقة بالسياسة، باعتبار أنها مساحة للهواة، والكتابة فيها تعكس شكلاً تقريرياً، ورؤية مباشرة.

وعلى عكس ما سبق؛ تفيض نصوص اليوم، سرداً، ونثراً، وشعراً، بمضامين وإيحاءات السياسة، بعد أن كانت كلمات (الصباح، النسيم، القهوة، السفرجل، البيلسان، العنبر..إلخ) دارجةً؛ باتت اليوم مفردات الحرب، ومشتقاتها، معياراً على حضور المثقف، وتفاعله، وإن تضمنت، ما يوحي بالمباشرة، والتقريرية.





هم التنوير السياسي في الثقافة العربية

د. عائشة الخواجا الرازم: الأردن

بقينا نبشر بولادة ثقافة لإحياء الناس بأخلاقهم وسلوكياتهم وتنوير مشاعرهم تجاه الإنسانية جمعاء، وكذلك للحفاظ على هوية الأرض والموروث والأصالة ومعاصرة المراحل الفضائية والعنكبوتية للنهوض بتعريف العالم على عاداتنا وتقاليدنا وموروثنا الأخلاقي من تكافل وتعاضد وتسامح وكرم وتعاون.. إلخ، وبقينا نرفع راية الثقافة التي هي عمود فقري الناس بشتى مشاربهم ومنابتهم، ونعمل على إضاءة سويتها حلماً بإيصالها للعالم الذي ظللنا نصرخ بأنه يجهلنا ويجهل قيمنا ومكانتنا الإنسانية، حيث عم التعتيم علينا وغض البصر عن حضارتنا وتاريخنا وديانتنا السمحة والمباركة لمحبة شعوب الأرض ومن عليها!.

ولا ننكر حقاً أننا نحن المثقفين كنا نتوسم أملاً بالتواصل مع العالم وبث رسالتنا العالية النور، كما كنا نعتقد بأننا ومن الممكن أن نؤثر في وعي العالم الغربي ونعيد صياغة صورتنا التي لوثتها وشوهتها آلات المكر والتشويه والعبث المعادية (طبعاً الصهيونية) الطامعة بالأرض والمقدس لا محالة.

وكذلك كنا نحن المثقفين نسعى جاهدين طوال ثمانين عاماً مضت لإعلام العالم بحقوقنا ومطالبين بالعدالة والحق والأرض بأسلوب الخطاب المكتوب والمؤلف والكتاب والرسائل وما تيسر من طرق تواصل ضعيفة عبر الصحافة الناطقة فقط بلغة لا تصل إلا لأصحابها في حدود السقائف الإعلامية.

ظل ذلك في وقت كانت فضائيات وشاشات العدو الصهيوني تغسل ليل نهار أدمغة العالم ضد أمة عربية إسلامية، وتظهر العرب في نفس الإعلام الفائض المنتشر بأنهم يمتلكون الذهب الأحمر والذهب الأسود والأصفر لشراء الجواري والغواني، ويتقنون علم التوحش وتربية اللحى السوداء لإرعاب وإرهاب الغرب الجميل والحضاري.

هكذا كانت أجهزة الإعلام الصهيونية المحتلة، عاملة على تجريم وتشويه وتحطيم الوجه العروبي والإسلامي بكامل ملامحه الطيبة والكريمة والحسنة وكامل مساوئ وجهه الآخر.

بالطبع فإننا نرى في أنموذج المفكر العربي الفلسطيني إدوارد سعيد المفكر والناقد والموسيقي والباحث الأكاديمي والسياسي أكبر النماذج بين المسلمين والمسيحيين في الغرب الذين جهدوا لتحقيق ملامح الوجه الحسن للعرب، والذي غمس الثقافة بوعي عظيم مع الفكر والفن وغلفه بالرسالة السياسية لإحقاق الحق لأمته وشعبه الفلسطيني ونشر صفحات التوعية من خلال هويته الفردية، حتى أضحى مثالاً يحتذى لدى المثقفين والفنانين وأصحاب الأقلام المغتربين العرب في الغرب يجهدون لتلوين الفن والثقافة والإعلام بالسياسة حيث لا مناص من تسييس النص والخطاب.

كنا نتوسم أملاً بالتواصل مع العالم وبث رسالتنا العالية النور وكنا نعتقد بأننا من الممكن أن نؤثر في وعي العالم الغربي ونعيد صياغة صورتنا

والحقيقة أنه كان لحضور أمثال المناضل المفكر المثقف السياسي الفنان الموسيقي إدوارد سعيد صدى عظيم بين المثقفين الغربيين لتفاعله الفكري الثقافي والممزوج بالسياسي وكان له الجدوى العظيمة في تغيير بعض النمط الثقافي السياسي الراضخ للقوة الإعلامية الصهيونية، فكان نعوم تشومسكي أحد هؤلاء المناصرين بالفكر لبعض ملامح الأمة وقضية فلسطين ولكن يد واحدة لا تصدر تصفيقاً ولا أصواتاً مسموعة في ضجيج الفوضى.

والحق يقال إن موت مفكر مثل إدوارد سعيد ورحيله قد ترك فجوة من العسير تسكيرها في عالم الثقافة والسياسة، مع الأسف!

أهي أداة لتغيير الواقع؟!

مجدي ممدوح: الأردن

أين ذهب المثقفون بعد انحسار المقاهي الثقافية؟ وهل انتهى دورهم السياسي وأحلامهم في التغيير؟

ربما يكون كارل ماركس هو الذي زج بالمثقف في خضم السياسة، عندما صرح أن الهدف من الثقافة ليس تفسير العالم فقط، بل تغييره. وقد كان ماركس يعني ما يقول، فقد قادت أفكاره بالفعل إلى تغيير العالم. وبناء على هذا التصور الماركسي للثقافة أصبح الدور السياسي للمثقف أمراً بدهياً لا مراء فيه. فهل هذا الجانب السياسي يدخل في التعريف الأساسي للمثقف، أم هو دور مرحلي ارتبط بمرحلة تاريخية انقضى عهدها؟ وهل المثقف بوضعه الاجتماعي معد إعداداً كافياً للاضطلاع بدور سياسي؟ وهل يمتلك المثقف الآليات والقدرات التي تؤهله لمجابهة السلطات المهيمنة؟

المثقف العضوي

الإجابة عن كل هذه الأسئلة ضمن التصور الماركسي تقود المثقف بالضرورة إلى المزيد من الانخراط في الدور السياسي، فالتصور السياسي للثقافة لا يرى فيها إلا أداة لتغيير الواقع، ولا يلقي بالاً للمثقفين القابعين في الأبراج العاجية. وقد أضاف المنظر الماركسي الإيطالي أنطونيو غرامشي عناصر جديدة للدور السياسي للمثقف عندما أطلق مصطلحاً مهماً هو مصطلح «المثقف العضوي».

والمثقف العضوي برأي غرامشي هو الذي يعيش هموم عصره ويرتبط بقضايا أمته، وهو عندما ينفصل عن قضايا أمته فإنه لا يعود مثقفاً، حتى لو كان منتجاً لأرفع أنواع الثقافة؛ فالمثقف العضوي له دور سياسي في مجابهة السلطات المهيمنة، والحزب الثوري الذي يضطلع بمهمة التغيير هو في الحقيقة مجموعة من المثقفين العضويين، فالمثقف العضوي هو الممثل لطبقته وتنظيماته المجتمعية، والتنظيم الذي يضم المثقفين العضويين يمتلك القدرة على التغلغل في المجتمعات وسحب البساط من تحت أقدام القوى الرأسمالية.

وهذه الرؤية الغرامشية تمثل الصورة القصوى للدور السياسي للمثقف، حيث يطرح غرامشي رؤية لمجتمعات

تدار من قبل مجموعة من المثقفين العضويين. وهنا ينبهنا غرامشي للدور الخطير الذي يلعبه المثقفون، ويفسر لنا لماذا تتجه السلطات على الدوام إلى استمالتهم وشرائهم عن طريق الامتيازات.

إعفاء المثقف

من الصعب بعد هذا الحديث المتماسك والبدهي حول دور المثقف الدعوة إلى إعفاء المثقف من هذا الدور بدعوى عدم أهليته. وعلى الرغم من ذلك فقد قامت في الثقافة العربية أصوات تنادي بإعفاء المثقف من هذا الدور، فقد هاجم علي حرب الدور السياسي للثقافة، وشكك في قدرة الثقافة على صناعة أي واقع سياسي، وذهب إلى أن التغيير السياسي له آلياته وقواه المحركة، والثقافة ليست هي المحركة للتاريخ.

ورأى أن هناك وهماً يعيشه المثقفون يجعلهم يعتقدون أن الثقافة هي المحركة للمجتمعات. وربما يكون الجابري قد مال أيضاً إلى مثل هذا الرأي عندما رأى أن المثقف لم يعد مطالباً بتغيير العالم.

يشير ميشيل فوكو أن صورة المثقف الرسولي التي كان يمثلها جان بول سارتر في الستينات ربما تكون قد اختفت، حيث كان سارتر من المثقفين الذين يؤمنون أن لهم رسالة يجب أن يؤدوها. لقد عارض دور بلاده الاستعماري وقاد احتجاجات أقضّت مضجع السلطات، وناضل نضالاً سياسياً متعدد الوجوه لتحرير الجزائر، وربما تكون جهوده من أحد الأسباب التي أدت إلى انسحاب فرنسا من الجزائر. هل اختفت هذه الصورة المشرقة للمثقف الفيلسوف الملتزم بمواقفه السياسية كما اعتقد فوكو؟

انحسار المقاهي الثقافية

الواقع ربما يعضد فكرة فوكو، حيث يشير راسل جاكوبي في كتابه المثير «نهاية اليوتوبيا» إلى انحسار ظاهرة المثقفين اليوتوبيين صانعي اليوتوبيات. بسبب انحسار المقاهي الثقافية التي كانت تشكل فضاء عاماً للثقافة الحرة المتحررة من هيمنة المؤسسات، ومع انحسار هذه المقاهي ارتحل المثقفون إلى المؤسسات الثقافية التي أصبحت توظفهم ضمن أطر ثقافية مبرمجة لا فسحة فيها للحرية ولا وجود لأي دور سياسي للمثقف داخلها. وربما يكون جاكوبي محقاً، فلو بحثنا عن ظاهرة المقاهي الثقافية التي كانت تشهد ذروتها في حقبة الستينات، فإننا سنلحظ بوضوح انحسار هذه الظاهرة.

وينعت الشاعر العراقي فوزي كريم هذه المقاهي بالمقاهي العقائدية التي كانت تحتضن الحراك السياسي الذي كانت تمور به الساحة السياسية العربية في عصر التحولات. والملفت أن هذه المقاهي لم تكن حكراً على اليسار، بل كان لليمين أيضاً مقاهيه. وربما يكون من المفاجئ القول أن الكثير من الأحزاب الكبيرة في العالم العربي انبثقت من هذه المقاهي. لقد انبثق حزب البعث من مقهى الطاحونة الحمراء في دمشق من خلال لقاءات عفلق والبيطار. بل إن مقهى الرشيد في دمشق شهد أول مؤتمر للحزب في أبريل عام 1947. لقد كان للمثقف في هذه الحقبة دور سياسي واضح لا يحيد عنه.

وقد شهدت مدن القاهرة وبغداد وبيروت ولادة واندثار العشرات من هذه المقاهي مثل مقهى حسن عجمي في بغداد، ومقهى ريش والفيشاوي في القاهرة.

وربما تكون مدينة عمّان قد شهدت ولادة بعض المقاهي الثقافية دون أن تكتمل وتؤدي دوراً مؤثراً. وربما يكون مقهى السنترال قد شهد في حقبة التسعينات حراكاً ثقافياً قادماً من الثقافة العراقية، الذي امتزج بالثقافة الأردنية، مشكلاً حالة ثقافية فيها شيء من النضج. أين ذهب هؤلاء المثقفون بعد انحسار المقاهي الثقافية؟ وهل انتهى دورهم السياسي وأحلامهم اليوتوبية في التغيير؟

على الرغم من كل التراجع في دور المثقف الذي تحدث عنه فوكو وجاكوبي، إلا أن بعض المثقفين الأحرار انبثقوا من داخل المؤسسات التي حاولت تدجينهم. وأمامنا نموذجان مشرقان هما نموذج إدوارد سعيد الذي انبثق من جامعة كولومبيا، ونموذج نعوم تشومسكي اليساري الذي لا يهادن والذي انبثق من معهد ماساتشوستس.

العنصر البنيوي

يرى سعيد أن المثقف الحقيقي لا يمكن أن يتنازل عن دوره السياسي لأنه بحكم انتمائه الثقافي ينتمي إلى عصره، ومن المتعذر عزل المثقف عن العصر الذي يعيشه، والهروب إلى عوالم الفكر التجريدية، فهذه المسألة لا تتلاءم ومسمى المثقف.

وهكذا فإن سعيد يُدخل الجانب السياسي كعنصر بنيوي لا ينفصل عن مفهوم المثقف، والمثقف الحقيقي هو الذي يجرؤ على الخروج من الإطار الثقافي النمطي الذي ترسمه القوى السياسية المهيمنة. ففي الأحداث التي ترافقت مع غزو العراق، وحده المثقف الحقيقي الذي جرؤ على التساؤل: من الذي نصّب الولايات المتحدة شرطيا على العالم؟ وكان على المثقف أن يتحمل مسؤولياته ويفهم الجماهير أنها هي التي عينت نفسها.

ويشير سعيد أن واجب المثقف في تلك الحقبة كان يحتم عليه تحمل مسؤوليته الصعبة، بأن يُذكّر بما هو منسي، ويقيم الروابط التي كان المسؤولون ينكرونها، وأن يشير إلى طرائق عمل بديلة كان يمكن أن تجنبنا الحرب وتجنبنا ويلاتها. وعلينا أن نعترف أن سعيد وتشومسكي قد قاما بهذا الدور على أكمل وجه رغم التجييش الإعلامي الذي ترافق مع غزو العراق، واشترك فيه مثقفون كثر. ربما يدعونا هذا للتفاؤل حول استمرار وجود المثقفين الرسوليين في كل الأزمنة، وأن هذا النموذج لم ينقرض بموت سارتر.

المثقف الحقيقي لا يمكن أن يتنازل عن دوره السياسي لأنه بحكم انتمائه الثقافي ينتمي إلى عصره

البحث عن المثقف الناقد

نضال برقان: الأردن

لم يكتفِ الحدث السياسي العربي بالاستئثار بزاوية النظر التي يمكنَ تأمل ذلك الحدث من خلالها، بل استأثر، كذلك، بالتحكم بمصائر الناس، في الراهن والمستقبل، فالمؤسسة السياسية هي صاحبة (الرواية الرسمية) للحدث السياسي، وهي بالضرورة الجهة التي تفرض تفاعلات الناس وانفعالاتهم حيال ذلك الحدث، والذي يحاول أن يجترح (رواية مختلفة)، سيجد نفسه مستهدفاً ومتهماً بدعم جهات (معادية)، من شأنها أن تهدد الأمن الوطني.

ذلك الاستئثار ليس جديداً على صعيد الوطن العربي، الذي ما انفكت مؤسساته السياسية الرسمية تعمل على توظيف الحدث السياسي لصالح تثبيت أركانها، وتثبيت من يتوافق مع روايتها لذلك الحدث من جهة، والعمل على إقصاء كل صاحب (رواية مغايرة)، وقد عززت الاضطرابات التي مر بها الوطن العربي ذلك الاستئثار، وبررته (من منظور رسمي)، فثمة حالة من الطوارئ ما انفكت تبسط عباءتها فوق الوطن العربي، بشكل مباشر تارة، وبشكل غير مباشر تارة أخرى.

ثمة تطرف تمارسه جماعات أيديولوجية هنا وهناك، لا شكّ في ذلك، وثمة بالمقابل تطرف آخر تمارسه المؤسسة الرسمية، التي لم تتوانَ عن استخدام كل أدوات القتل والتدمير والإلغاء حيال كل ما هو مختلف، حتى أن مقياس الوطنية راح يرتبط بمدى قرب الناس من الرواية الرسمية، ليس على صعيد الحدث السياسي فقط، بل على صعيد الحراك الثقافي والاجتماعي كذلك.

ثمة تساؤل مشروع في هذا السياق: هل على المثقف ألا يكون سياسياً؟ في الحقيقة إن من أهم مقومات المثقف أن يتمتع بمعرفة دقيقة وحساسية استشرافية وفكر نابه على الصعيد السياسي، ليقوم تالياً بمهمته الحقيقية بوصفه مثقفاً: إثارة الأسئلة والشكوك حول السلطة القائمة ونقد سلوكها، وهو أمر غير متاح لجلّ المثقفين العرب، الذين يتمتعون بضحالة في المعرفة السياسية، وفي فكرها، ما يجعل بعضهم في غاية السذاجة عندما يتورطون في شأن سياسي ما، وبعضهم يظهر كأنه إمّعة عندما تقوم السلطة السياسية بزجّه في صورة مع مسؤول هنا، أو رئيس هناك، لتبرير مجزرة، ولعل صور دريد لحام مع بشار الأسد تصلح أنموذجاً دالاً في هذا السياق.

ومن هنا كذلك فإن المثقف العربي، التنويري، والمتخلف، والناقد، وجد نفسه إما متهماً، أو مهمشاً، وكأنه يغرد خارج السرب، ما جعله ينأى بنفسه جانباً عن واقعه، وينخرط في اشتغالات فكرية أو أكاديمية ذات طابع تراثي، ما يجسد انسحاباً (تكتيكياً) من الواقع المعيش من جهة، ومن مسؤوليات ذلك الواقع من جهة أخرى.

إذن؛ ثمة (مثقفان)، مثقف سلطة، ومثقف تنويري

المثقف العربي وجد نفسه إما متهماً أو مهمشاً.. ما جعله ينأى بنفسه جانباً عن واقعه وينخرط في اشتغالات فكرية ذات طابع تراثي



ومتخلف وناقد، الأول يرفع شعاراً مضمراً، تقديره (المكتسبات أولاً.. المكتسبات دائماً)، وهو في حالاته جميعها لا يمتلك مقومات البقاء والديمومة بعيداً عن تلك السلطة، أما الثاني، وعلى اعتبار أنه (فهم اللعبة)، وأنه أدرك أن مجالاً غير متاح له ليقول كلمته، أو ليمرر رؤيته، فقد انتبذ بنفسه مكاناً قصياً.

وفي محاولة لرصد بواكير تلك العلاقة بين السياسي والمثقف، فإننا نستذكر ما قاله هارون الرشيد للأصمعي، عندما جعله مستشاراً: «أنت أحفظ منا ونحن أذكى منك، لا تعلمنا في الملأ ولا تسرع في تذكيرنا في الخلوة، واتركنا حتى نبتدئك بالسؤال، فإذا بلغت منا الجواب قدر استحقاقه فلا تزد، وإياك وشدة التعجب مما يكون منا»، ويتضمن هذا الخطاب معتقداً بدونية المثقف، الذي هو في أحسن أحواله (أحفظ)، أمام صاحب السلطة / السياسي، الذي اختار لنفسه صفة (أذكى).

وتتضمن عبارة (لا تعلمنا في الملأ) تنويهاً بإمكانية وقوع خطأ هنا أو هناك، بنسبة غير قليلة، لكن يبقى الحفاظ على صورة السياسي (العاقل) أكثر أهمية من الحفاظ على الحقيقة ذاتها، كما يضمر الخطاب تحديداً وتأطيراً لدور المثقف وجعله، أداة قابلة للعمل بكبسة زر، وبكبسة زر كذلك تدخل، هذه الآلة، في موتها المؤقت.

والحالة كذلك، فإن السؤال الأكثر مشروعية، وضرورة، والذي يدور في وجدان الذات الجمعية العربية / الشعبية، هو: أين يكمن الخلاص؟

في الحقيقة، ثمة تضحيات كبيرة من المفترض أن يتم تقديمها، ليس من قبل عامة الناس فحسب، بل من قبل المثقفين الحقيقيين، التنويريين.

ولكن ما الذي سيجعل المثقف الحقيقي يتحرك، قبل أن يتكلس تماماً، ويستحيل جماداً لا حياة فيه؟ سؤال لا نعلقه على مشجب النسيان، إنما على مشجب الأمل.



الثقافة التابعة والخروج إلى الفضاء الحر

يوسف عبدالعزيز: الأردن

تمر الثقافة العربية اليوم بمأزقها الأخطر، المتمثل في هيمنة الجانب السياسي على جميع مقدرات هذه الثقافة، حتى باتت الثقافة العربية برمتها مجرد تابع صغير للسياسة. ولعل الأحداث اللاهبة التي تعيشها المنطقة العربية، بما فيها من تغيرات عاصفة وحروب مدمرة، قد فرضت سطوتها على بنية الثقافة، وحددت لها شكلها ومسارها.

في أعقاب حرب حزيران التي جرت في العام 1967، ومع الانطلاقة الجديدة للثورة الفلسطينية المعاصرة؛ ظهر هناك ما سُمي بشعر المقاومة. لقد برز هذا الشعر كتيار جديد في الشعرية العربية، أخذ يستلهم معاني النضال والصمود، والتبشير بحلم العودة إلى فلسطين. لكن هذا الشعر ما لبث أن وقع أسيراً للشعار السياسي، وللمباشرة التي قوضت النصوص المكتوبة، وجعلت بنيتها قريبة من بنية الخطب المتداولة. ربما كان الشاعر الكبير محمود درويش هو الشاعر الأول في هذا التيار الذي انتبه إلى هذا الإشكال، فأطلق في البداية عبارته المشهورة: «أنقذونا من هذا الحب القاسي»، وذلك في معرض حديثه عن المجاملات النقدية المكتوبة في حق هذا النوع من الشعر. لم تقف الأمور لدى الشاعر محمود درويش عند هذا الحد، فقد بات مشغولاً بتطوير أدائه الشعري، حتى وصل إلى ما وصل إليه من ذرى عالية، وفي الوقت نفسه قام بتقديم فهمه الجديد لمصطلح (قصيدة المقاومة)، التي قال بصددها: إن كل قصيدة جميلة ومبتكرة، ومشغولة بالأنفاس، هي قصيدة مقاومة.

> الأحداث اللاهبة التي تعيشها المنطقة العربية فرضت سطوتها على بنية الثقافة وحددت لها شكلها

لكن، وعلى الرغم مما كتبه وقاله درويش، فقد بقيت هناك أعداد هائلة من النصوص الشعرية التي كانت تُنشَر تحت مسمى قصيدة المقاومة، دون أن تنطوي على شعرية لافتة، وعلى العكس فقد بقيت ترزح تحت كاهل الشعار السياسي.

ما جرى للشعر العربي بعد حرب حزيران، جرى للرواية العربية أيضاً، ولباقي الأجناس الأدبية والفنية؛ فقد كانت تلك الحرب بمثابة زلزال كبير رج القناعات، مثلما رج الأرض التي تقف عليها هذه الأجناس. من هنا دخلت الأيديولوجيا والسياسة عالم السرد من أوسع الأبواب.

في ندوة مثيرة أقيمت في دبي في العام 2011، وكانت تحت عنوان (قضايا الرواية العربية)، فجر الناقد جابر عصفور ما يشبه القنبلة، حين قال إن حرب حزيران التي وقعت في العام 1967 كان لها تأثير كبير على السرد والفنون الأخرى، وإن الروايات والقصص التي تم إنجازها فيما بعد، جاءت كرد على الهزيمة المدمرة التي وقعت. وقد اعتبر أن تلك



الهزيمة كانت بمثابة لحظة مفصلية في التاريخ العربي المعاصر، ولم يتم تجاوز آثارها حتى الآن، وبالتالي فإن هذه الرؤية الستينية التي تشكلت بفعل هذه الحرب لا تزال تتحكم في النتاج السردي والفني الذي ظهر خلال العقود الأربعة التالية. وبمعنى من المعاني فإن السرد وباقي الأجناس الأدبية والفنية التي ظهرت لاحقاً، ظلت تتحرك بفعل الرؤى السياسة المختلفة التي توجهها.

الآن، وإذا ما تأملنا الخريف القاسي الذي آلت إليه ثورات الربيع العربي، سنجد أن مقدار الهيمنة السياسية على الآداب والفنون في العالم العربي قد ازداد تمدداً: على مستوى النصوص المكتوبة سنجد أنها أصبحت متورطة بالرأي السياسي، إلى الحد الذي يمكن أن نصف فيه هذه النصوص بأنها نصوص أقرب إلى عالم السياسة منها إلى عالم الأدب.

المؤسسات الثقافية العربية من اتحادات وروابط كتاب، وقعت هي الأخرى أسيرة السطوة السياسة القائمة، إلى الحد الذي باتت فيه مشاغلها تدور في عالم السياسة. الكتّاب في هذه الروابط والاتحادات باتوا منقسمين أيضاً إزاء ما يحدث. منهم من اصطف وبقي مصطفاً إلى جانب الثورات حتى بعد سرقتها، ومنهم من اصطف إلى جانب الأنظمة.

خلال كل ما جرى ويجري، لم يبادر أي اتحاد أو رابطة للكتّاب إلى عقد مؤتمر فكري مهم، يدرس بجدية هذه الثورات وما آلت إليه من نهايات فاجعة. لقد عالجت هذه الاتحادات والروابط كل هذا الجنون الذي يحدث من خلال بضعة بيانات نارية، لم يكن لها أي تأثير في أرض الواقع.

كان يمكن للأمور أن تجري في سياقات مختلفة، لولا ارتهان الثقافة العربية للسياسة متعددة الأوجه والأهداف. وعند هذه النقطة بالذات نسأل: ترى أين ذهب كل ذلك النتاج الشعري الكبير الذي كتبه شعراء الحداثة العربية منذ بدر شاكر السياب مروراً بعبد الوهاب البياتي، وأدونيس، ومحمد علي شمس الدين، وأمل دنقل، وشوقي بزيع، ويوسف الصائغ، وسعدي يوسف، وانتهاءً بمحمود درويش؟ أين ذهبت أعمال نجيب محفوظ الروائية، وغسان كنفاني، وحنا مينة، والطيب صالح، والطاهر وطار، ومؤنس الرزاز.. وغيرهم الكثير؟

إننا وأمام اللحظة الدموية العربية المعاصرة، بكل ما فيها من قتل وخراب؛ لن نستطيع أن نعثر على أي أثر للشعر أو السرد العربي. كأن كل ما كتبناه قد تبخر في هذه اللحظة الفارقة من التاريخ العربي، وذهب أدراج الرياح.

أين يكمن الخلل إذن؟

وكيف غابت الثقافة العربية، غياباً يكاد يكون شبه كامل عن مجريات الأحداث؟

للإجابة على هذه التساؤلات وغيرها ينبغي الذهاب إلى ما يمكن أن نسميه بالماضي القريب، وتحديداً إلى الزمن الذي شهدت فيه البلدان العربية استقلالها عن المستعمر الأوروبي، وتشكلت فيه بعض من الدول العربية التي نظرت الى الثقافة نظرة توجس ، واعتبرت المثقفين أفراداً خارجين عن القانون إن لم يطيعوا أوامرها. وهكذا ومنذ خمسينات القرن الماضي لم يكن أمام المثقف العربي غير سبيلين: فهو إما أن يقبل بالأمر الواقع وينصاع للتعاليم، وإما أن يرفض ويتمرد.

وهكذا، وما إن اشتعلت شرارة الثورة في العالم العربي، حتى وقف المثقفون منها مواقف رخوة ملؤها التردد والحيرة، ثم لم يلبثوا أن انقسموا إلى طرفين متباينين. وكل طرف أصبح يكيل التُهم إلى الطرف الآخر، ويضعه في خانة المعادي لتطلعات الأمة.

الآن وبعد كل هذا الحديث عن الشواش السياسي الذي يعتري الثقافة العربية، كيف يمكن لهذه الثقافة أن تبرأ من ربقة السياسة، وتتخلص من أثرها المدمر؟

لا تنمو الثقافة إلا في كنف الحرية، ولا تطير النصوص إلا في الفضاء الواسع الممتد. ولهذا وحتى يتمكن المثقفون العرب من بناء الثقافة العربية الفاعلة والمؤثرة في حركة الحياة، فلا بد من توافر العناصر التالية:

أولاً: سن القوانين وبما يتلاءم مع حرية الثقافة والمثقفين. وإبعاد شبح التسلط والهيمنة على مقدرات العمل الثقافي.

ثانياً: الاعتراف بالمبدعين والكتاب كرواد للنهضة والتغيير، وتقدير دورهم في بناء الإنسان الجديد.

ثالثاً: توفير راس المال اللازم لصناعة الثقافة، وبما يضمن الحياة الكريمة للكاتب، باعتباره أُس الفعل الثقافي.

رابعاً: الانتقال من فكرة وجود الطليعة المثقفة إلى فكرة بناء الأمة المثقفة.

النصوص المكتوبة حالياً أصبحت متورطة بالرأي السياسي إلى الحد الذي يمكن أن نصفها فيه بأنها نصوص أقرب إلى السياسة منها إلى الأدب

الثقافة والسياسة
في فضاء علم السوسيولوجيا

داليا عاصم: مصر

إذا أردنا فهم العلاقة الجدلية ما بين الثقافة والسياسة؛ فإنه لا ملاذ لنا إلا علم الاجتماع، بكل الأفكار والرؤى التي صاغها علماء السوسيولوجيا. فقد ذهب هيجل إلى أن: «المجتمع نتاج ثقافة فريدة من نوعها خاصة به»، وعلى العكس رأى ماركس أن: «المجتمع هو الذي ينتج الثقافة، وليست الثقافة هي المسؤولة عن إنتاج المجتمع»، وكان يعتبر أن البناء الاقتصادي للمجتمع هو الذي يشكل ثقافته.

كما كان من آراء بلوم أن: النشاط الإنساني وإنتاج الأعمال الأدبية لا يمكن أن يتم دون العلاقات السلطوية. وعادة ما يلجأ السياسي للمثقف لكي يوجهه لمعرفة مفاتيح المجتمع، ويتعرف منه على كيفية التعامل معه، ويطلب منه المساعدة كي يستطيع أن يطبق سياسة ما أو إستراتيجية ما، وأحياناً تتورط أسماء كبيرة من الأدباء أو الأكاديميين في مكافحة تمرد ما أو حركة عصيان طلابي.

فالسياسي يلجأ للمثقف في وقت الأزمات، وكذلك أيضاً يلجأ المثقف للسياسي في وقت أزمة ما تلم بالوسط الثقافي أو في حال تعرض أحد الرموز الثقافية للاعتقال وما شابه. لكن المثقف لا يلجأ للسياسي للوصول لأيديولوجية المجتمع؛ بل يمكنه ذلك بكل سهولة لما يملكه من سلطة المعرفة أو (رأس المال الرمزي)، وهو المصطلح الذي صاغه عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو.

وقد كانت كتابات العالم الفرنسي بيير بورديو ترصد المثقف باعتباره صوت المجتمع، ويرى أن الفارق بين السياسي والمثقف هو أن السياسي قد حصل على تفويض رسمي من المجتمع للحديث عن همومه وقضاياه؛ بينما المثقف حصل على تفويض المجتمع بشكل رمزي.

ويعتبر بورديو وظيفة الدولة هي أنها تنظم الممارسات في المجتمعات بما فيها الممارسات الثقافية، فهي تفرض تأطيراً احتكارياً على الممارسات الثقافية، وتعمل على ترسيخ أشكال رمزية للتفكير المشترك وأطر اجتماعية للإدراك والفهم والذاكرة. ويرى بورديو أن تلك السلطة التي تمارسها الدولة على أنماط التفكير هدفها ضمان سيرورة الاندماج الكلي للتفكير المشترك للمجتمع، وتبدأ تلك الإستراتيجية من مرحلة المدرسة، فتبدأ الدولة بفرض مبادئ التصنيف الأساسية كالجنس والسن والكفاءات والطبقة الاجتماعية، وهي بذلك تمارس سلطتها الرمزية، فتضمن بذلك الخضوع الخفي للمجتمع.

أما المثقفون بوصفهم فاعلين ومنتجين لثروات الرمزية (كالكتب أو الخطابات الدينية..إلخ)، من خلال أعمال تقوم على نفي المنفعة؛ فيحظون بالتقدير العقلي من قبل المجتمع.

على مستوى الأحداث والفعاليات الثقافية؛ فالسياسة تهيمن في كثير من الأحيان على الثقافة والفعل الثقافي. وفي بلداننا العربية لا تزال الأحداث والفعاليات التي تنظمها الدولة هي التي تحظى باهتمام المجتمع، كما أنها المؤشر الذي يمكن من خلاله قياس سياسة الدولة بشكل عام. وعادة ما يتم تصنيف المثقفين لفئتين: فئة المحسوبين على نظام الدولة، وفئة المعارضين الذين ينتقدون كل ما هو خاضع لهيمنة الدولة.

بشكل عام، فإن للأحداث السياسية والاضطرابات والحروب التي تنشب في بلادنا العربية الآن، أو حركات التحرر من الاستعمار في الماضي؛ أثرها البالغ على المنتج الثقافي والمثقفين والإبداع بكل صوره. ففي أعقاب ثورة يناير 2011 تلاشى دور الدولة تدريجياً في صناعة الحدث الثقافي، بينما تجلى نشاط فاعلين ومثقفين في الفضاء الاجتماعي المصري، وظهرت جماعات ثقافية تسعى لتثقيف الطبقات المهمشة، نازعة عن الثقافة رداءها النخبوي، لكن سرعان ما تلاشى دور هذه الجماعات مع ثبات أركان الدولة وعودتها لممارسة دورها الثقافي، على عكس ما كان في الستينات والسبعينات من القرن الماضي، حيث سار الفعل الثقافي المستقل على التوازي مع الفعل الثقافي السلطوي، فكانت تلك الحقبة من أفضل الحقب التي شهدتها الساحة الثقافية المصرية، إذ برز خلالها إنتاج ثقافي لا يزال حتى الآن يحتل الصدارة في قيمته الإبداعية والأدبية. ولا شك أن الإرهاب والتطرف الذي يهدد أجزاء كبيرة من الوطن العربي سيكون له أثره البالغ إيجاباً أو سلباً على الثقافة بكل صورها وتجلياتها.

السياسي حصل على تفويض رسمي من المجتمع للحديث عن همومه وقضاياه بينما المثقف حصل على تفويض المجتمع بشكل رمزي

تقاطع
السياسي والثقافي



د.صلاح فضل: مصر

أوثر أن أتناول هذه القضية الدقيقة من منظور عملي محدد، يبتعد عن الإطار الفلسفي العام، بقدر ما ينبثق من واقع الممارسة العملية التي نشهدها في حياتنا؛ إذ لا نرى تمايزاً مجرداً في المجالات المختلطة الواقعية سوى في الشخوص الذين يقومون بأدوار البطولة في المناحي السياسية على المستوى النظري في التخصص أو العملي في الممارسة عن هؤلاء الذين يقومون بالأدوار ذاتها في الميادين الثقافية المتنوعة.

فرجل السياسة يصبح أبعد نظراً وأصوب رؤية وأقدر على التخطيط الإستراتيجي والإدراك العميق لجذور المواقف وأبعادها، ومن ثم اتخاذ القرارات الرشيدة فيها؛ كلما توافرت له قاعدة معرفية عريضة، تشمل محصلة الوعي التاريخي بثقافته القومية، وما أفرزته من فنون وآداب، شكلت مزاج بني وطنه، وحددت أفق طموحاتهم في المستقبل، عندئذ يصبح بوسعه أن يرسم معالم السياسات التي تحافظ على كيانهم وتحقق آمالهم وأهدافهم، ويحسن في الآن ذاته إقناع مخالفيه بوجهة نظره.

وكذلك رجل الثقافة المنتج لبعض أنواعها أو المشتغل بترويجها وإشاعاتها، كلما عرف كيف يسوسها ويصوغها ويسوقها ويوظفها للانخراط في مشروع نهضوي مستقبلي للمجتمع بأسره؛ كلما نجح في التعبير عن أشواق قومه والمشاركة الفعالة في صناعة مستقبلها. أما الساسة الذين يقل حظهم من الثقافة العلمية والفكرية والفنية فإنهم يصبحون مجرد أدوات تنفيذية تأتمر بتعليمات من يملك الرؤية والقدرة على اتخاذ القرار، أو ألعوبة في يد من يعبث بإرادتهم ويملي عليهم ما يتراءى له. وكذلك المثقفون الذين ينغمسون في إنتاج موادهم دون مهارة في تسويقها وتحريك المجتمع ليرتقي بذوقه ووعيه بحصيلتها؛ فإن أثرهم يظل محدوداً، وجهدهم يصبح ضائعاً.

وأحسب أن رجل السياسة الناجح هو الذي يعرف كيف يستقطر من الثقافة عصارتها ومن المثقفين خبرتهم لترشيد منظوره وإثراء رؤيته.

من ناحية أخرى فإن الثقافة العلمية في التخطيط عرفت في العصر الحديث بديلاً للحكماء والعلماء والأدباء والفنانين الذين كان الحكام يعمرون بهم بلاطهم ويسترشدون بهم في قراراتهم، فأصبحت مجالس الخبراء المتخصصين والمستشارين النوعيين وأهل المعرفة في كل الجوانب الحية؛ هي من يرسم المسارات ويجهز المشروعات، بعد أن تكون حلقات العصف الذهني قد وضعت السيناريوهات المتعددة للسياسات المختلفة، وكل ذلك يصب في تهيئة الخلاصات الثقافية للطبخة السياسية.

وكثيراً ما تقوم الأجهزة الإعلامية بدور مباشر في العصر الحديث في عملية المزج بين السياسي والثقافي في معالجة القضايا المطروحة على الرأي العام، بأبعادها المتنوعة، فتقوم بطرحها على أصحاب التخصصات العلمية والإنسانية. وكلما كان مقدم البرنامج أو مدير الحوار مالكاً لقدرات خاصة في تحديد وبلورة وجهات النظر، ورصد جوانب الاتفاق، وتحرير نقاط الاختلاف، دون غوغائية؛ أصبح بوسعه تشكيل رؤية ثاقبة للقضية، يتعين على صاحب الرأي في المجالس البرلمانية أو مُتّخذ القرار في السلطة التنفيذية أن يأخذها في اعتباره. وكما كان يقول القدماء فإن آفة الرأي الهوى، فالضمان الوحيد لكي تكون الرؤية العلمية أو المنظور الثقافي المقدم لرجل السياسة مثمراً وصائباً أن يخلو من الهوى والمصلحة الخاصة أو النفاق وموالاة السلطة للتقرب منها. فالنزاهة والموضوعية هما الشرطان اللازمان لسلامة التوجه وصحة الرأي.

وفي تقديري أن مسؤولية المثقف أن يعمل على تبصير السياسي بعواقب مواقفه على المدى البعيد؛ لأن السياسي مضطر للعجلة ومدفوع للسرعة، وهو مظنة للاندفاع في ردود فعل غير محسوبة العواقب، وعلى المثقف الجاد المخلص أن يوظف طاقته في الفكر وبصيرته في التنبؤ كي يكشف للسياسي صورة المخاطر وشكل النتائج التي تترتب على مواقفه.

وأسوأ ما تصاب به الشعوب وجود حواجز من انعدام الثقة بين المسؤولين السياسيين والمثقفين، فتنسد شرايين التواصل الخلاق بينهما، ويسوء ظن كل طرف بالآخر، فلا تفيد السياسة من رؤية الأبعاد المعرفية للقضايا، ولا يصبح بوسعها تصور المستقبل بمتغيراته الحتمية، ولا تقوى حينئذ على مواجهته؛ ولا يجد المثقفون مجالاً لتحقيق طموحاتهم الذاتية والجماعية. وهذا للأسف ما نشهده في كثير من أوطاننا العربية، مما يعوق نموها الحضاري ويخرجها من سباق الدول المتقدمة.

والمشكلة عندنا تكمن في أن الحكام لا يقبلون من المثقفين سوى الولاء المطلق والتبعية المعلنة، وهذا ينتقص من مصداقيتهم عند الجمهور، ولا يرضون بالاستقلال النسبي عنهم والاحتفاظ بحق المعارضة المحسوبة التي تصون ماء وجه المثقف وتبرر وجوده. الأمر الذي يدفع المثقفين إلى اتخاذ أحد وضعين جادين: إما الانخراط في التبعية والتدجين وجني الأرباح المادية الناجمة عن ذلك، وإما العزوف التام عن السلطة والوقوع في التهميش، لأن وسائل الإعلام تتبعها. والأمر يحتاج إلى شيء من الذكاء في إدارة المواقف، لأن المثقف مثل العصفور إن ضيقت عليه الخناق اختنق منك، وعليك أن تترك له مساحة حيوية يباشر فيها حريته الرشيقة واستقلاله الجميل وطيرانه المحسوب بعيداً عنك ليعود إليك بإرادته التامة.

للإعلام دور مباشر في عملية المزج بين السياسي والثقافي في معالجة القضايا المطروحة على الرأي العام

المنتج المادي والروحي



إبراهيم عبدالمجيد: مصر

للثقافة تعريفات كثيرة عند علماء الاجتماع، لكنها كلها تقريباً تدور حول تعريف إدوارد بيرنت تايلور، بأن: «الثقافة هي المنتج المادي والروحي لكل شعب من الشعوب»، فكما يظهر بين أي شعب شعراء وروائيون وفنانون؛ يظهر علماء ومهندسون وأطباء.. وغير ذلك من المهن. ومن ثم، ومثالاً بسيطاً على ذلك؛ تجد البنايات في بلد ما تعكس حالتها الثقافية. ففي مصر مثلاً في الفترة الملكية، حتى ثورة يوليو عام 1952؛ كان شكل العمارة هو شكل العمارة المتوسطية، أي عمارة البحر المتوسط، أي عمارة أوروبا؛ لأن مصر ذلك الوقت كانت ترسل البعثات العلمية والثقافية إلى هناك، وكانت بالتالي تتمتع بحالة من الحريات الليبرالية لم تعرفها فيما بعد. لكن منذ سبعينات القرن الماضي تغير الأمر، وغلبت العشوائية على عمليات البناء، بعدم اعتبار للمكان ومساحاته، ولا للشوارع والحدائق؛ لأن مصر دخلت في حالة من العشوائية في التفكير، وانتشرت بها أفكار متخلفة، وأصبحت هذه المباني العشوائية كلها تحمل مسميات تراثية، بينما هي مخالفة للبيئة والقانون، وغير ذلك، ولم يحدث ذلك بعيداً عن رعاية الدولة التي أرادت للشعب أن يدخل في غيبوبة عقلية. لم يكن ذلك بعيداً عن الحياة السياسية نفسها التي عرفت بالقمع. لقد صار كل ما نراه انعكاساً لهذا الجو السياسي. لكن هذه الحياة العشوائية انتجت مجتمعات وحالات إنسانية كان لابد أن تجد لها طريقاً للآداب والفنون. فارتفع صوت الشعر المعارض لهذه الحالات، وظهرت الروايات والأفلام التي تتقصى هذه المجتمعات العشوائية الجديدة، وتقف عندها، بدءاً من المقابر التي صارت مأوى للناس، حتى البيوت المتزاحمة والأزقة المظلمة التي أنتجت بدورها أنواعاً من الإجرام والمجرمين غير المعهودين.

وهنا نتوقف لنقول إن الحالة السياسية هي التي أنتجت الحالة الأدبية، لكن يظل للأدب فرادته، في أنه وهو يفعل ذلك؛ لابد أن يعي الكاتب أنه يقيم عملاً فنياً، وأن آراءه السياسية، لو كانت هي السبب في عمله الأدبي؛ لا يجب أن تظهر في شكل حوار مباشر، لكن في شكل مواقف لشخصياته؛ لأنه إذا اعتبر الكاتب أن الحديث المباشر في السياسة هو غاية الأدب والفن؛ يكون قد دخل في منطقة المقالات الأدبية، والمقالات حديث للعقل بينما الأدب حديث للروح، حتى لو كان يستهدف تحريك العقول، ففي الأدب والإبداع تشعر قبل أن تفهم. على الجانب الآخر هل تستدعي السياسة أن يترك الأدباء عملهم الذي كرستهم موهبتهم له ويعملون في السياسة؟ هنا يختلف الأمر، فرغم مقولة (جرامشي) الشائعة عن المثقف العضوي الذي لا يبتعد به عمله عن المساهمة في النضال السياسي؛ فالأدباء والمبدعون عموماً يكون الموقف معهم ومنهم نسبياً، فليسوا كلهم قادرين على ذلك، فالعمل الحزبي والسياسي يحتاج نظاماً أو طاقة.

قد يجد؛ بل غالباً يجد المبدع أنها مكرسة لإبداع أفضل. لذلك أنا لا أجد معنى لاتهام الأدباء بالبعد عن الواقع السياسي؛ لكن أجد معنى لاتهام الأدباء الذين يدخلون السياسة للدفاع عن النظم الحاكمة، ولا أطلب منهم المعارضة مثلاً، لكن أطلب منهم الإخلاص لإبداعهم. لكن هذا النوع بالذات، أي الذي يكرس وقته للدفاع عن النظم الحاكمة؛ عادة يكون من متوسطي الموهبة، وإهمالهم أفضل من التعليق عليهم. إذن أين تتجلى السياسة؟ تتجلى في الإعلام والأحزاب إذا وجدت. والإعلام بالذات هو مربط الفرس؛ لأنه الأقدر والأسرع في الوصول إلى الناس. والحقيقة أن الإعلام في بلادنا -ومصر مثال على ذلك- إعلام يقدم السياسة الرسمية أكثر من أي شيء آخر. ويبدو الأمر وكأن حياتنا كلها تحولت إلى سياسة، بينما الإنسان العادي أغلبه يسمع وينصرف عنه، والمبدعون الحقيقيون لا يقفون أمامه. تستطيع الدول أن تبتعد بشعبها عن السياسة، إذا عملت لصالحه، وكانت أيضاً مواكبة للعصر وتطوراته وللحريات التي لم تعد مجالاً للحديث، فقد مرت البشرية بقرون طويلة، واستقرت الحريات كأهم ملمح إنساني كسبه الإنسان بعد الثورات الكبرى في العالم. غير ذلك سيظل الأمر كما هو، غرق في السياسة والإعلام وابتعاد عنها من المبدعين ومن الأجيال الشابة الجديدة التي وجدت غايتها في الإنترنت والفضاء الإلكتروني، وكأنها بشكل أو بآخر ترفض ما يحدث حولها. وفي النهاية يظل للأحداث الثقافية نكهتها المختلفة عن السياسة حتى لو كانت الدولة هي الراعية لمؤتمر ما في فن ما، فالحديث داخل المؤتمر يكون عن هذا الفن لا عن الدولة وسياستها، ويظل شيء واحد يتفق عليه الجميع، أعني المثقفين بشتى أنواعهم، وهو التحدي الوطني حين تعتدي دولة ما على الوطن، كما يحدث في الحروب، هنا فقط تتحد الثقافة مع السياسة، أو حين يحدث ما يحدث الآن، وهو الإرهاب، فالإرهاب ليس موجهاً لنظام سياسي أو طائفة ما، رغم أنه يعلن ذلك؛ لكنه موجه للأوطان كلها، باعتباره عملاً غير إنساني. في مواجهة ذلك تضيع الفوارق تماماً بين الثقافة والسياسة، حتى ولو بشكل مؤقت، فراية الوطن هي راية الحياة.

في الإرهاب مثلاً تضيع الفوارق تماماً بين الثقافة والسياسة حتى ولو بشكل مؤقت.. فراية الوطن هي راية الحياة

هل حقاً نريد فض الاشتباك السياسي الثقافي؟!

منير عتيبة: مصر

هل تجرع سقراط كأس السم بسبب الفلسفة أم السياسة؟ وهل فقد عبدالله بن المقفع رأسه بسبب السياسة أم الفكر السياسي؟ وهل كان يمكن للمتنبي أن ينتج شعره العبقري مدحاً وذماً، ثم يموت بسببه بعد ذلك؛ لو لم يكن مرتبطاً بالسياسة والساسة؟ وهل كان يمكن لحركة الترجمة أن تزدهر لو لم يوجد المأمون الذي يمنح المترجم مثل وزن كتابه ذهباً؟ وهل تشرد جمال الدين الأفغاني و(توم بين) الفرنسي في البلاد بسبب الفكر أم السياسة؟ وهل نفي الإمام محمد عبده وحورب بسبب رغبته في تجديد الخطاب الديني بلغة عصرنا أم بسبب السياسة التي قال عنها: «لعن الله ساس وسائس ويسوس»؟ هل قضى بعض الأدباء والصحافيين والمفكرين المصريين نصف أعمارهم أو أكثر في السجون؛ وقضى زملاؤهم كل حياتهم في القصور، بسبب الفكر والأدب والصحافة أم السياسة؟ وأين الاقتصاد من هذا كله؟

هناك مؤسسات إعلامية وعلمية ومراكز أبحاث ضخمة تعمل في إنتاج المعلومة ثم ترويجها بشكل محدد ثم زرعها في العقول

ربما يصعب فض الاشتباك بين الثقافة والسياسة، وبين المثقف والسياسي، فالمثقف يريد أن يكون له دور سياسي بشكل ما ليطبق أفكاره في واقع الحياة والناس، والسياسي يريد أن يكون صاحب فكر أو نظرية مهما تكن طبيعتها، وما يجعل الأمر أكثر صعوبة هو البنية الاقتصادية التي تتحكم في هذا كله، فالاقتصاد غير بريء مما يجري في عالم السياسة والثقافة والفن والعلم، بل حتى الموضة. وتزداد الصعوبة إلى درجة الاستحالة تقريباً إن حاولنا أن نفعل ذلك في عصرنا الحاضر، فربما كانت العصور السابقة أكثر بساطة، واضح من هو السياسي، ومن هو المفكر، وموازين القوى الاقتصادية في المجتمع، وبالتالي يسهل تحديد انحيازات كل منهم والتعاطي معها إيجاباً أو سلباً، موافقة أو رفضاً. لكن في عصرنا الحاضر أصبحت الأمور أكثر تشابكاً واختلاطاً، وأصبح فيض المعلومات المتاحة لا يوازيه إلا فيض الكذب الواضح والصريح والمقنع والمتخفي، مما يجعل المعرفة اليقينية أقل مما يتصور معظمنا، ففي الوقت الذي يظن فيه كل فرد الآن أنه قادر على الوصول للمعلومة، ومن ثم يمتلك المعرفة، وبالتالي هو حر في تكوين الآراء التي تخصه، ولديه من الوسائل ما يجعله يعبر عن هذه الآراء، بداية من إمكاناته الذاتية وقدرته على التعبير وصولاً إلى الوسائل التي تتيحها تكونولوجيا الاتصالات؛ هذا الشخص ذاته لا يفطن (كما يوضح كتاب المتلاعبون بالعقول مثلاً) أن هناك مؤسسات إعلامية وعلمية ومراكز أبحاث ضخمة تعمل في إنتاج المعلومة، ثم ترويجها بشكل محدد، ثم زرعها في العقول، وذلك لتحديد أهداف ترعاها أجهزة معينة تعمل في خدمة قلة ممن يمسكون بأيديهم خيوط لعبتي السياسة والاقتصاد، فتخترع موضات في الثقافة والفن والأزياء.. إلخ؛.

ربما كان الأمر في الماضي مع ذلك أكثر بساطة، إذ كانت هناك نخبة تحرك الجماهير، وهذه النخبة يمكن تتبع انتماءاتها بوضوح، ويمكن تحديد انحيازاتها الصادقة والمزيفة، ومناوراتها المختلفة؛ لكن الوضع الآن يختلف، ذابت النخبة تقريباً، لم تعد لها تلك الهيبة، ولم تعد تمتلك تلك القدرة على إدارة وتوجيه الجماهير، أصبحت الجماهير هي التي تحرك النخبة وتوجهها. الجماهير، ذلك الكائن الخرافي غير محدد المعالم والمتقلب المزاج، هو الذي يشعل الثورات بأزرار ولوحة مفاتيح.

قد تبدو الفقرة السابقة متناقضة في جوهرها مع سابقتها، وهو ما يوضح أن المراقب لهذه العلاقة شديدة التشابك والتعقيد بين الثقافة والسياسة؛ لا يسهل عليه وصفها إلا باستخدام الكلمة أو الفكرة، وضدها أحياناً؛ ليستطيع توضيح فكرته.

لكن هذا ما يحدث بالفعل الآن، الرأي العام يتكون على الشاشات شديدة الصغر (اللاب توب والموبايل)، ومن ثم يقود اتجاه الإعلام، والذي بدوره يؤثر في زيادة انتشار هذا الرأي العام وتوكيده، حتى وإن عارضه أحياناً لصالح جماعات سياسية أو اقتصادية معينة، لكن ما تريده الجماهير هو غالباً ما يتحقق في النهاية، أو هو ما يظل معلقاً كسيف على رقبة من يقفون في طريق تحقيقه. لكن من وما الذي بدأ تكوين هذا الرأي العام عبر الشاشات الصغيرة؟ هل يعرف أحد مَن أول من بدأ حملة معينة؟ وكيف اتخذت مسارات عنقودية لتصبح هذا الرأي العام الجارف؟ ومن الذي أوحى لهذا البادئ بالتعليق؟ وكيف يتم توجيه التعليقات في عالم يبادر بالتعليق وإبداء الرأي والإعجاب من قبل أن يقرأ وأحياناً من دون أن يقرأ؟ إنها تلك القوى الخفية التي ترسم وتعيد رسم خرائط العالم السياسية والاقتصادية والجغرافية والثقافية عبر (الميديا) والحروب والشائعات

والثورات التي يمكن أن تكون لها أسباب عميقة، لكنها تنتظر مـن يفجرهـا، أو التـي يمكـن أن تنفجـر لكنهـا لا تجـد من يوجهها، أو التي تجد من يوجهها لكنها لا تعرف كيف تجني وتـوزع ثمارها، وفى كل الحـالات هؤلاء جاهزون للتفجير أو التوجيه أو جني الثمار أو كل ذلك معاً.

حاول بعض الأدباء والفنانين في وقت ما الإبداع والإنتاج تحت شعار (الفن للفن)؛ لكن ذلـك لم يصمد طويلاً، فلن يستطيـع إنسان عادي؛ فما بالك بالفنان والكاتب، أن يعيش الآن فـي بـرج عاجي، تحطمت كل الأبـراج العاجية، ولم يعد بوسع أحد ألا ينشغل بأمور الناس، وأمور الناس هي سياسة واقتصـاد تتمحـور حولهما كل الأشياء الأخـرى، فالمبدع لا ينتج من فراغ، ولا يتوجه إلى الفراغ، وإذا لم يعِ جيداً نبض العالـم الـذي يعيش فيه فسـوف يكتـب على نفسـه المنفى الاختيـاري والسقـوط فـي دائـرة النسيـان، وهـو يسعى بين الناس، فهـل حقاً نريـد فض الاشتبـاك بين ما هـو سياسي وثقافي واقتصادي؟

أظـن أنهـا محاولـة بـلا جـدوى، وتضييـع وقـت وجهـد يفضـل أن ننفقه فـي محاولة فهم جيد للعلاقـات الحاكمة بينهـا، وبالتالـي التأثيـر فيهـا من قبـل المثقفيـن ومن ثم الجماهير المثقفة لتوجيه تلك الموارد السياسية والثقافية والاقتصاديـة في خدمة الفـرد العادي، الجمهـور؛ بدلاً من أن تظـل تلك المـوارد والجمهور المثقف والعـادي معها في خدمة قلة من الساسة والاقتصاديين يتحكمون بالعالم؛ لأن بأيديهم الخيوط الأساسية لهذا الارتباط ولتلك اللعبة.

الاقتصاد غير بريء مما يجري في عالم السياسة والثقافة والفن والعلم بل حتى الموضة





في زمن الانكسارات والانتصارات
الأدب يتجرع كأس السياسة من هوميروس إلى وقتنا الراهن

مصطفى عبدالله: مصر

ما يحدث اليوم في المنطقة العربية ليس فعلاً سياسياً ولكنه فعل مادي، عسكري.

والفرق بين ما كان يحدث في الماضي وما يحدث الآن في الحاضر هو أن الفعل السياسي أو العسكري أو المادي في الماضي كان يحدث في معركة أو في حرب تستمر مدة وجيزة، وبعد ذلك تنتهي تلك الحرب لتبدأ مرحلة تالية من المفاوضات تنتهي بإبرام المعاهدات، أما اليوم فالعالم في حالة سخونة وهرولة دائمتين.

وإذا نظرنا إلى عالمنا العربي من مشرقه إلى مغربه، ندرك أننا نعيش منذ نحو ست سنوات في حالة توتر مستمر بعد هذه السلسلة من الثورات التي قُدمت إلى العالم تحت مسمى سابق التجهيز هو «الربيع العربي»؛ فالسلطة تتغير، والأوضاع لا تستقر فتعود من جديد لتتغير، والحروب تندلع ثم تستمر ثم تتوقف ثم تعود لتندلع من جديد في ظل واقع يرزح تحت الفوضى وعدم الاستقرار، وعلينا أن نتذكر حدثاً مشابهاً شهدته يوغسلافيا القديمة التي انتهت بتفكيكها إلى دويلات، وكلنا يعرف أن أمريكا هي التي حسمت الموقف النهائي في يوغسلافيا كما حسمت الموقف في العراق، لكنها للأسف لم تحرص على حسم بؤر الصراع الملتهبة في منطقتنا العربية في: ليبيا، وسوريا، والعراق، واليمن.

وهذا لابد وأن يلقي بظلاله على ما يحدث في واقعنا العربي اليوم، الذي لا يسمح لأحد من الأطراف المتناحرة أن ينتصر، كما لا يسمح لغيره أن ينهزم.. أليس هذا هو ما نلمسه في الواقع؟!

وبناء عليه فمن الطبيعي جداً أن ينشغل تفكير الإنسان العربي بهذه العبثية التي وجد نفسه محوراً لها بعد أن كان يعيش في أمن لا يدرك قيمته.

ولا نستطيع أن نقول إن هذا الوضع العبثي هو الذي جعل الثقافي يسير في ركاب السياسي بعد أن كان المثقف هو الذي يضيء الطريق لصانع القرار!

ومن يتصفح كتاب التاريخ يدرك أن الحياة الإنسانية، منذ أقدم العصور، كانت تمر دائماً بهذه الظروف؛ فالحروب كانت تندلع لأسباب إما فلسفية، أو عقدية دينية.

ونحن في العالم العربي، بكل أسف، تجاهلنا لسنوات طويلة، أو غيبنا التفكير في أخطر قضية وأعني بها الثورة الإيرانية، لأنها منذ قامت كان الظن أنها دفع بالعمل الإسلامي العام، فإذا بنا نكتشف أنها دفع مذهبي يحاول أن يحقق فقط طموح المتشددين الإيرانيين الذين يشعرون في قرارة أنفسهم بأنهم ضحايا، وبأنهم كانوا يأخذون دائماً بمبدأ «التقية» خشية مواجهة الكثرة السنية، فيتظاهرون بغير ما يبطنون!

وعندما نجحت الثورة الإيرانية بدأوا يجاهرون بما أبطنوه طويلاً من عداء سافر لأصحاب المذاهب الأخرى. ومن هنا بدأ التمدد، وبادرت إيران بمناوشاتها في منطقة الخليج، لكنها كانت تصب اهتمامها في الأساس على بلاد الشام، لأنها تريد أن تظهر للعالم أن لها سطوة على إسرائيل، وهكذا أصبح «حزب الله» في لبنان ذراعاً إيرانياً يهدد إسرائيل، وفي الوقت ذاته يقوي النظام الشيعي في سوريا، ويحقق حلم الإيرانيين بتكوين «الهلال الشيعي» الذي يضم: إيران، العراق، سوريا، لبنان.

والآن يتجه سعي إيران إلى تحقيق ما يعرف بـ«القمر الشيعي» الذي يدخل من اليمن ليجتازها إلى الجزيرة العربية فيلتقي مع «الهلال» عند نقطة التماس في شمال الجزيرة محققاً هذا الحلم الشيعي!

ولهذا السبب نحن في أزمة، فقد انتبهنا متأخرين وبدأنا ندرك الخطر بعد أن أصبح على الأبواب، فكان لابد من أن تشغل هذه القضية بال الإنسان العادي وليس المثقف فحسب، أو الدبلوماسي أو رجل السياسة الذي يهمه أن يؤمن حدود بلاده ويحقق استقرارها ويحميها من أي تعد. وكلنا شهد كيف تحولت فئة من اليمنيين من أتباع عبدالملك الحوثي إلى استخدام خطاب سفسطائي عقيم يخدم توجهات إيران ويستولي على السلطة ويسعى إلى تحقيق حلم «القمر الشيعي» بعتاد إيران وأموالها، ويتمثل هذا في إطلاقهم للصواريخ الإيرانية التي وصلت إلى جنوب مكة أو شمال جدة، وهذا أمر خطير لأنه يوقظ الفتنة بين الشعب اليمني، وهو شعب عربي أصيل، والشعب السعودي، وهو شعب عربي أصيل أيضاً.

وبالضرورة علينا أن نتساءل: كيف لا تشغل هذه المؤامرة كل إنسان في عالمنا العربي من المحيط إلى الخليج؟!

أليس ما يحدث اليوم سيؤثر بالتأكيد على مستقبلنا جميعاً في ظل واقعنا الجغرافي الذي تجاور فيه اليمن السعودية، وتجاور العراق سوريا، وتجاور سوريا لبنان، وقانون التداعي يقول إن سقوط دولة سيؤدي بالضرورة إلى سقوط بقية الأنظمة المتاخمة لها؟

والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا السياق هو: ما دور الكاتب سواء كان صاحب فكر أو صاحب رؤية اجتماعية، أو صاحب رؤية فنية، في التعامل مع هذا الواقع الملتهب والملتبس في الوقت ذاته؟

ومع شديد الأسف يجب أن نعترف بأن الإعلام العربي، في أغلبه، لا يتعامل إلا مع من «يدندنون» على نفس اللحن، ولا يسمح مطلقاً بطرح أية آراء ابتكارية لتصل إلى الناس.

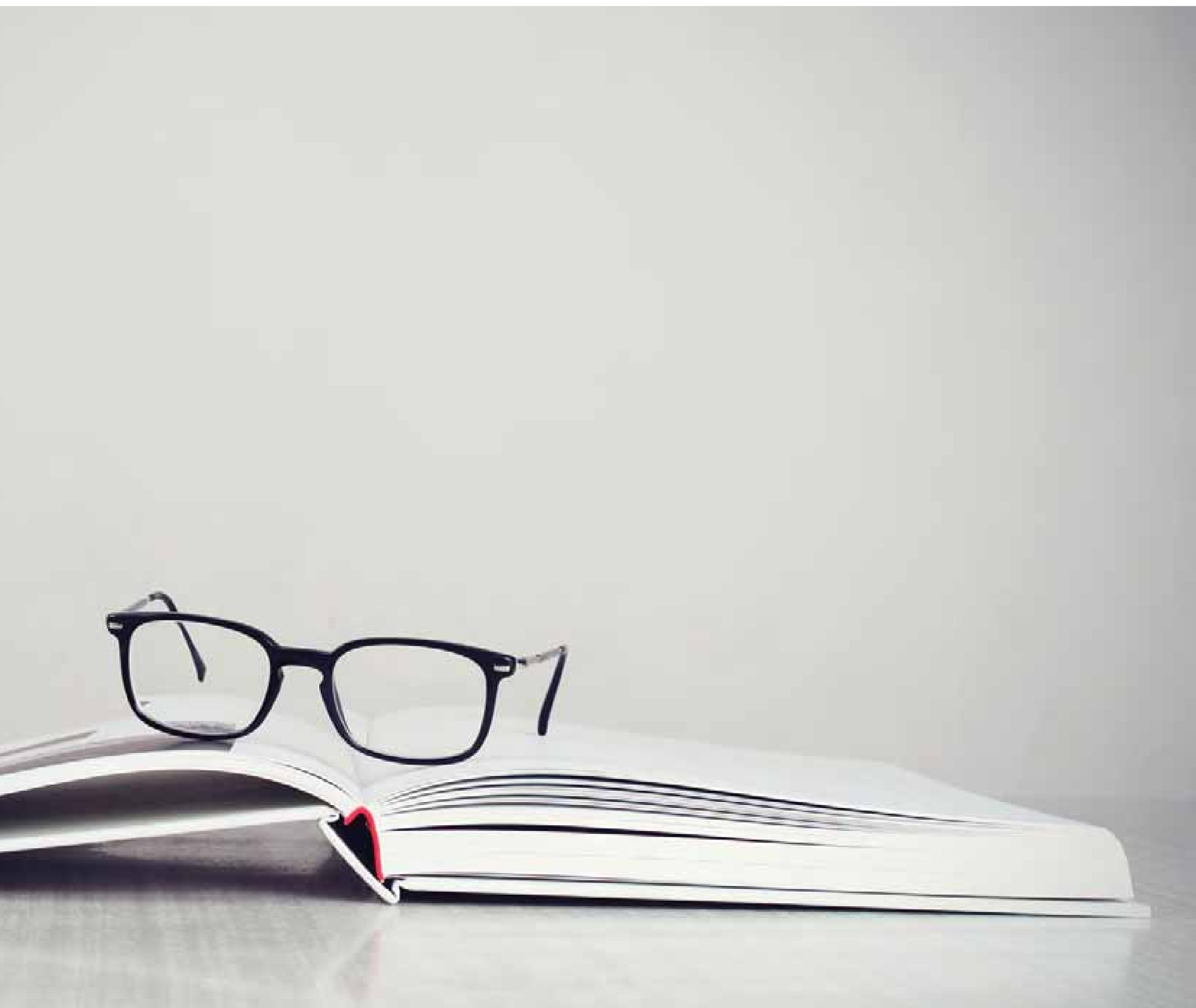
وأتصور أنه يتحتم على الإعلام في الوقت الراهن أن يؤسس لواقع جديد يؤمن مستقبلاً أفضل للمنطقة العربية كلها يقوم على إدراك أهمية مقولة «لكم دينكم ولي دين».. أو لكم مذهبكم ولي مذهب ليعيش كل إنسان في حدود مذهبه دون أن يحاول النيل من الآخر، وأن يكون هناك قبول عام لفكرة المجتمع الكبير المتسامح الذي يؤمن بفكرة أن كلنا مواطنون لنا الحقوق ذاتها وعلينا نفس الواجبات، وإذا حدث ذلك فإن العالم العربي ستختلف صورته خلال عشر سنوات، وإذا لم يحدث هذا فإننا سنظل نخرج من حرب لندخل في أخرى ليستحوذ الغرب على خيراتنا بالمجان، وعندئذ يستطيع القلم أن يدعو إلى الهدوء والسلام، وينشغل الناس بغير الحديث في السياسة إلى أحاديث البناء والتقدم والتحضر.

للتذكير فقط أود أن أقول إن «الإلياذة» اليونانية لهوميروس هي ملحمة حرب، و«الإنياذة» اللاتينية لفرجيل هي أيضاً ملحمة حرب، وفي عصور انخفاض وتيرة الحرب يظهر الشعر الإنساني، سواء أكان عاطفياً أو اجتماعياً، وقديماً كان يُطلق على الشعر العربي «أيام العرب»؛ لأن كل ما كان يحدث بين القبائل من حروب وغزوات وخلافات يعبر عنه بالشعر، وفي زمن الفتنة الكبرى بين الأمويين والخوارج وغيرهم تحولت ساحة الإبداع العربي إلى مسرح سياسي، فكان هناك شعراء الشيعة، وشعراء الخوارج، وشعراء بني أمية، وكان لكل منهم لسان سليط على غيره إلى حد أن كفروا بعضهم بعضاً، وهذا ما تزخر به كتب تاريخ الأدب، وبعد انتهاء الدولة الأموية جاء العباسيون ومعهم أدبهم الذي كان جزءاً كبيراً منه يدور حول الحروب، ولعلنا نذكر أن أعظم قصائد المتنبي قالها في مدح سيف الدولة بعد انتصاره على أعدائه، وكذلك قصائد علي بن الجهم، التي امتدح فيها الرشيد لانتصاره على أعدائه، فلا يمكن أن نقول إن تناول الفن لأحداث السياسة أمر جديد علينا، فهو دائماً موجود في الأدب العربي، بل في الأدب العالمي أيضاً، ولكن عندما تخبو المعارك يعود الإبداع إلى طبيعته الإنسانية. ومشكلة العصر الذي نعيش فيه الآن تكمن في أن أحداثه متسارعة وهذا انعكس بالفعل على ما نقرأه من إبداعات تغلب عليها وطأة السياسة وأنين الواقع.

نعيش منذ نحو 6 سنوات في حالة توتر مستمر بعد سلسلة الثورات التي قدمت إلى العالم تحت مسمى سابق التجهيز «الربيع العربي»

الثقافي والسياسي

استقلال أم تقاطع؟



أسمهان الفالح: تونس

الثقافة والمثقف لفظان غائما المفهوم، شائكا الدلالة، واسعا النطاق يصعب أن ينضويا تحت تعريف بعينه أو أن يحدا بمصطلح دقيق نظراً لاعتبارين رئيسين:

أولهما حداثة المفهوم من حيث النشأة والتوظيف، ما يبرر ندرة التعريفات اللغوية التي نظفر بها من خلال المعاجم العربية على تنوعها وثرائها، وإن وجدت فتتسم في الغالب الأعم بالبساطة والسطحية.

المثقف هو كل شخص يمتلك خزيناً معرفياً مهماً ويحمل وعياً ثورياً (وليس شرطاً أن يكون قد حاز على درجة رفيعة من التعليم) يؤهله لمواجهة جملة من التحديات الأيديولوجية المهيمنة في المجتمع، واتخاذ مواقف حاسمة في أكثر القضايا حساسية فنراه يرفض الواقع وينزع أبداً إلى تعديله وتغييره جذرياً. ولا غرابة فالثقافة موقف نقدي ورسالة ينبغي تأديتها على الوجه الأكمل، وليست مجرد معارف متراكمة حتى ينالها الصدأ أو علوم مخزنة في المخابر. يقول إدوارد سعيد: «المثقف الحقيقي يمتلك دوره الفاعل في المجتمع، وهو دور لا يمكن اختزاله أو تصغيره لأن المثقف يجب أن يكون صاحب رسالة مطالباً بتجسيد مواقف فكرية وفلسفية من مختلف القضايا الوجودية والحيوية في المجتمع، وعليه ضمن هذا التصور أن يتخذ موقف المواجهة والمجابهة لكل سلطة تقليدية ولكل المسائل والقضايا الحرجة في المجتمع. ويرى جان بول سارتر أن «المثقف إنسان يتدخل ويدس أنفه فيما لا يعنيه».

فهل ينبغي على المثقف أن يكون دائماً في موقع المعارض المنتقد للسلطة الداعي إلى الإصلاح والتغيير حتى يرتقي إلى صورته النموذجية؟ أم أن عليه أن يلزم برجه العاجي فيكون مجرد شاهد على الحدث غير فاعل إيجابي فيه ولا متمرساً بقضاياه؟ وهل تنطبق حينها تسمية المثقف على



صاحب الفكر النير الذي يدير ظهره لمجتمعه ويقتصر على التنظير دون الفعل؟

لا مناص من أن نعود بالذاكرة إلى الوراء كي يتسنى لنا الإجابة ولو نسبياً عن تلك الإشكاليات الجوهرية، فننبش في تاريخ الروائي الفرنسي إيميل زولا وقضية «دريفوس» وما ترتب عنها من صراع فكري وسياسي حاد بين الأنظمة السياسية التي أدانت هذا الضابط الفرنسي **Alfred dreyfuse** و وجهت له تهمة العمالة الأجنبية لفائدة ألمانيا، فتم نفيه إلى غوايانا بتاريخ 22 ديسمبر 1894 وبين رجال الفكر الذين رأوا في ذلك ظلماً وحيفاً. فكانت المبادرة لزولا الذي سجل انتفاضته على السياسة الدكتاتورية المتبعة آنذاك من خلال كتابة مقاله الشهير «إني أتهم» فكان مقالاً تحريضياً بالأساس ينتصر للمظلومين، عقبه تحرير بيان لنخبة من المثقفين الفرنسيين أطلقوا عليه اسم (بيان المثقفين) **Le manifeste des intellectuels** وقد شارك فيه كل من لوسيان هير، مرسيل بروست، أناتول فرانس... وقد نشرته جريدة لورور الفرنسية في 14 يناير 1898، وجوهره التنديد بالحكم الصادر عن المحكمة، وبعد أخذ ورد بين التيارات المتصارعة أعيدت المحاكمة ووقع التخفيض في الحكم إلى حدود 10 سنوات، ثم تمت تبرئة دريفوس وإخلاء سبيله من طرف محكمة النقض. وقد ساهمت هذه الحادثة في تبلور مفهوم «المثقف الوطني» أو «المثقف الناقد» الذي يسعى جهده للكشف عن الحقيقة والدفاع عن كل المستضعفين والمظلومين تكريساً لقيم الحق والخير والعدل. يقول تشومسكي: «إن من مسؤولية المثقفين أن يقولوا الحقيقة ويفضحوا الأكاذيب».

لكن السؤال المربك الذي يفرض نفسه علينا أمام تسارع الحدث السياسي في منطقتنا هذه الأيام وإلقائه بظلاله على مختلف الاتجاهات، هل يستطيع المثقف في عصرنا الراهن أداء رسالته النقدية الإصلاحية دونما ضغوطات؟ وهل سيكون عصياً على الاحتواء من قبل الحكومات أو محصناً ضد كل أشكال الجمود والتطرف والتأدلج ليقف على الضفة المقابلة للسلطة. أم إننا سنسجل حضوراً قوياً لصورة المثقف السلبي التي لا يكاد يخلو منها عصر من العصور وهي على ضربين؛ المثقف المكتفي بتقديم المعرفة دون الالتزام بالقضايا الحيوية في المجتمع والسياسة والثقافة. والمثقف الموالي للسلطة الذي يأتمر بأمرها ويرضخ لإرادتها.

وعموماً، فإن علاقة السياسي بالثقافي تطرح اليوم إشكالاً حقيقياً، باعتبار أن المحرك الأساسي لهذا المبحث يرتكز أساساً على إرادة الهيمنة والاستقطاب، فكل طرف ينحاز إلى شقه المفضل ولا تعوزه الحيلة في البرهنة على أفضلية هذا التيار وقوة فعله تاريخياً مقابل تقزيم نظيره، فالفضاء السياسي مثلاً يمنح نفسه امتياز صناعة التاريخ والتأثير فيه بشكل بارز متناسياً أن السياسي بالضرورة نتاج ثقافة عامة. فالثقافة هي الأم أو الحاضنة وما السياسي إلا تفرع عنها باعتبار أن التداعيات السياسية مبنية على خلفية ثقافية مجتمعية وليست نتاج فراغ أو هي محض صدفة. فهل يصح حينها اتجاه السياسي لإبراز ما يسميه بـ«طوباوية» تجليات المنتوج الثقافي عند مقارنتها بالانخراط الفعلي والواقعي الذي يمارسه الفاعل السياسي على أرض الواقع؟ وإلى أي مدى يمكن للمثقف عزل ذاته عن تداعيات الحدث السياسي الراهن؟ وهل الحدث الثقافي اليوم هو الحدث السياسي؟ ثم هل أصبح انصهار الثقافي في السياسي حتمياً؟

مفهوم المثقف ليس مفهوماً محكماً قطعياً ممتلئاً بتعبيراته وما يحمله في طياته من دلائل بل إنه مفهوم متموج منشرح

بأي معنى يراهن الثقافي على الحرية؟

د.منصف الوهايبي: تونس

الحوار بين الثقافي والسياسي لا يكون ناجعاً إلا إذا جرى في اتجاهين مترابطين: حوار المثقف الحر مع السلطة وقبول السلطة لهذا الحوار

السياسة مهما طغت وعلا صوتها، لا يمكن أن تنسخ تأثير الأدب أو الفن عامة، وبميسور الأدب سواء استفاضت الحضارة، أو استحكمت الفوضى؛ أن يرد علينا إيماننا بأنفسنا وبالحياة، كلما عرض لنا ما يعرض للناس من ريب وضعف، بل يمكن أن يصوغ ذواتنا ويشكل سلوكنا وأخلاقنا. وهذا مما أدركته أمم غير قليلة في الغرب. وكان العرب، في فترات من تاريخهم، في شرق البلاد العربية أو غربها (بلاد المغرب والأندلس) يأخذون به.

ندرك جميعاً أن سياسة الدولة شيء، وسياسة الثقافة شيء آخر، وأنهما نادراً ما يلتقيان.

يتعلق الثقافي أو ينبغي له بالفعل الاستشرافي، وأساسه تهيئة الحاضر -أو (الحال) كما كان يسميه أسلافنا- للمستقبل. والأمر ليس تنبؤاً - كما قد يقع في الظن للوهلة الأولى، ربما هو مسعى أو سيرورة أو طريقة ما في إعداد مختلف الإمكانات القابلة للتحقق. ولهذا يفترض في الثقافي أن ينهض على إحكامات وتراتيب وإصلاحات تجري في الزمن على نحو ما تجري مختلف مفارقات الوجود البشري.

وثمة موقفان ومقاربتان، كلما تعلق الأمر بالاستشراف الثقافي، هما:

- موقف محكوم بسيناريوهات أو احتمالات.
- موقف أساسه الحدس أو المعرفة الحدسية.

ولعل في هذين الموقفين ما يؤكد أن الثقافة الحية رؤية مستقبلية أو مشروع نبدأ في تحقيقه في الحاضر، أو هي تمثل للعالم القدرة على السياحة في المستقبل المتعدد،لاختبار ما يمكن أن نفعله: هنا/الآن.

إن البعيد زماناً يخدم القريب زماناً، ويمنحه أفقاً، ويضفي عليه معنى. وكل فعالية مستقبلية تعني أن المستقبل هو صنيعنا نحن البشر مثلما هو صانعنا.

على أن حضور السياسي اليوم، قد يرجع في جانب منه إلى غياب المثقف أو انسحابه شبه التام من المشهد الثقافي بل السياسي بالمعنى الواسع والعميق للكلمة، فسمة تكاد تكون ملازمة لأكثر مجتمعاتنا العربية؛ وكأن هذا المشهد في غنى عن نظر المثقف ورأيه، أو هو لا يستحق التفاتة منه، برغم أننا نقف جميعاً على تخومه، ونرى من حافته الهوة الفاغرة التي تنتظرنا والتي يمكن أن تنغلق علينا في لحظة ما؛ وبخاصة في هذا المنعرج التاريخي الحاسم الذي يكاد يكون صورة من سايس بيكو جديدة، أو محاولة



في «فلسطنة» البلاد العربية. كان البعض يتذرع بأن هامش الحرية المتاح في سائر البلاد العربية، يضيق بالرأي والرأي المخالف أو المختلف. وقد يذهب في تسويغ انسحابه، إلى أن أساس الداء إنما هو القمع والاستبداد والتخلف، وما إلى ذلك مما اعتدنا قراءته أو سماعه كلما تعلق الأمر بموضوع كالذي نحن فيه. والحق أن في هذا الرأي مقداراً من الصواب لا يخفى، ولكن المسألة الثقافية أعمق من أن تختزل في العلاقة بين الحاكم والمحكوم، أو في «السياسي» بالمعنى الضيق للكلمة فهذه أمور لها منابرها وفضاءاتها.

إن الحوار بين الثقافي والسياسي لا يكون ناجعاً، إلا إذا جرى في اتجاهين مترابطين: حوار المثقف الحر مع السلطة أي مع السياسي، خدمة لمصلحة المجتمع، وقبول السلطة لهذا الحوار، ما دام يجري في أُطر قانونية.

ربما ليس لنا أن ننتظر أن تتحقق هذه المعادلة «الصعبة»، في ظرف زماني قياسي. وهي التي كانت في أوروبا حصيلة تراكم حضاري إنساني واجتماعي وثقافي واقتصادي، وأوروبا حققت قفزتها المعرفية النوعية دون أن يكون هناك ما يعوق نهضتها من أشكال الاستعمار أو التدخل الأجنبي. بل لقد تحولت هي نفسها أو بعضها إلى دول استعمارية قامعة بعد أن اتخذت من «الآخر» موضوعاً لتصورها، ولذلك فإن موقف المثقف الليبرالي الذي يدعو إلى تبني النموذج الغربي، كثيراً ما يكون محكوماً بالحذف والاختزال والتضخيم؛ إذ هو يسكت عادة عن الجانب الاستعماري في هذا النموذج؛ لأن استحضاره من شأنه أن يفضح ما هو مُبعد مقموع في خطابه، أو هو يغفل الأسباب التي أفضت إلى فشل بعض دولنا، في حماية استقلالها، ونقل شعبها لا إلى مجتمع الوفرة أو الرخاء فحسب، وإنما إلى مناخ من الديمقراطية والحرية هو الأقدر وحده على صيانة هذا الاستقلال، وما تحقق من إنجازات ومكاسب. وكلنا يدرك أن الطابع الغالب على ما نسميه مجازاً «روح العصر» هو البعد الثقافي. وليس أدل على ذلك من تغليب قيمة الاستعمال على قيمة التبادل، بما يمنح القرار الاقتصادي نفسه والقرار المجتمعي بشكل عام، مرجعيته الثقافية. وهو ما يقتضي تطوير المفاهيم الثقافية، بحيث نتجنب النظرة «الثقافوية» المبتورة التي تؤدي عادة إلى تقسيم المدينة الواحدة إلى مدينتين والبلاد الواحدة إلى بلادين: واحدة مندمجة بشكل فاعل في العمل الثقافي الحضاري أو تكاد، وأخرى من الأطراف المهمشة التي لا تنتج إلا ثقافة الرصيف.

موقف المثقف الليبرالي الذي يدعو إلى تبني النموذج الغربي كثيراً ما يكون محكوماً بالحذف والاختزال والتضخيم

والإنسان هنا إنما هو المثقف قبل السياسي، ومسؤوليته تعني من ضمن ما تعني المشاركة الوطنية في الثقافة أي معرفة عمق تاريخنا وأرضنا والأخذ بأسباب العالمية من باب المواطنة اللغوية والثقافية المنفتحة. ونحن إنما نقصر في حق وطننا؛ إذا قلنا إنه وطننا فحسب، فهذا تعبير غائم. والوطن، هو بالأحرى حظنا ونصيبنا أيضاً.

على أن الثقافي بالمعنى الوطني أو المحلي، لا يعارض «الكوني». و«الكونية» تقف على طرف النقيض، من مقولة «العولمة». وهي أفق محمود يجدر بنا نحنُ العرب أن ننخرط فيه. فالكونية قيمة إنسانية تتناسب وثراء الوجود الإنساني أو غناه؛ لأنها لا تلغي الاختلاف والتعدد؛ بل تسعى إلى إدماجهما في سياق من التناغم؛ فيما العولمة، على نحو ما يصرفها أهل السياسة وتقنيو الاقتصاد العالمي تقوم على المجانسة والتنميط، ومحو تاريخ طويل صرفت فيه الشعوب حياتها، وأفنت مصائرها من أجل إغناء تنوعها وتطوير اختلافها، وخلافها أيضاً. وهو ما ينبغي التصدي له، ولكن ليس ضمن فضاء العولمة بل ضمن فضاء الكونية الذي لا يحول الاختلاف إلى خلاف وإنما يجعله شرط إمكان الحوار.

وباختصار -مخل لا ريب- فإن الكونية أفق وجود، والعالمية استيطان مقنع في أرض الآخر.

ولكن ما يعنينا في السياق العربي المستجد أن هناك ثنائيات تتحكم فينا، مثل الثنائية القانونية حيث المواطن هو في الوقت نفسه مشرع وموضوع تشريع، والثنائية السياسية حيث المواطنة تكون في ذات الآن مبدأ وممارسات، والثنائية التاريخية حيث المواطنة مؤسسة وصيرورة،



والثنائية الجيو-مؤساساتية حيث المواطنة تتطور على الصعيدين المحلي والكوني، والثنائية المؤسسة أو المنشئة لفكرة المواطنة. فهذه كلها جديرة أن تؤخذ بالاعتبار. ولعل رهاننا في عالم اليوم إنما يتعلق بإعادة تعريف هذه المواطنة» الجديدة».

هل من تعارض بين السياسي والثقافي؟ كثيراً ما نقرأ هنا أو هناك أن التعارض بين السياسة والأخلاق، وبين السياسة والثقافة؛ قائم في أكثر من مستوى. وهو على ما يبدو تعارض شائخ كاذب طال أكثر من اللازم وإن كان له ما يبرره أو يسوغه. فقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين خاصة من التغيرات والانقلابات في حقول العلم والمعرفة وفي الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية، ما جعل الفجوة بين السلوك وأنساق القيم تتسع، وتعبر تعبيراً صريحاً أو مضمراً عن شك عميق في فاعلية القيم المتوارثة وفي جدواها. وذلك بدءاً بنهاية عصور الاستعمار القديم، فسقوط المعسكر الشرقي وحلول مرحلة جديدة من الإمبريالية أو الكولونيالية، وارتفاع الأصوات المنادية بالحرية والديمقراطية، وسيادة التفكير العلمي العقلاني الذي لا يعارض الدين وإنما يفسره، ويصله بسياقه التاريخي حيث نشأ ودرج. وفي مجتمعاتنا نحن لا يزال للدين مكانته، ومن حق الفرد أن يجد فيه ملاذاً روحياً، أو معنى لحياته. وهذا وغيره مما لا يتسع المجال لذكره، إنما يذكي الحاجة إلى قيام نسق من القيم الجديدة، حتى لا تكون «نهاية التاريخ» المزعومة نهاية الثقافة، على نحو ما نرى في خضم هذه الحروب التي تُشن هنا أو هناك، بذرائع مختلفة، وانكشاف أكاذيب صناع القرار في الغرب.

يتعلق الثقافي أو ينبغي له بالفعل الاستشرافي.. وأساسه تهيئة الحاضر للمستقبل

إن الثقافة على ما يُفترض، مُدمجة في العادات والأعراف والتقاليد. وهي بمثابة «مستودع» تستمد منه السياسة أفكارها. من ذلك أن العدالة والمساواة والحرية والإخاء كلها قيم أخلاقية تزرعها فينا الثقافة، ولكن يُفترض فيها، عندما تنتقل إلى السياسة، أن تتحول إلى قوانين ملزمة.

ورهان الثقافي إنما هو على التحرر من كل ما يعوق تقدمنا نحو الأفضل، وهذا أمر يكاد يرتقي إلى مستوى البداهة باعتبار الثقافة الحية تحمل هذا الرهان شعاراً ملازماً لها. لكن يتعين قبل اختبار هذا الرهان أن ننبه إلى الفضاء المرجعي الذي تتنزل ضمنه هذه المسألة. وهو فضاء متعدد المستويات وغير ثابت بالضرورة نظراً إلى كوننا نستطيع ضمنه أن نستند إلى بعض تمفصلات تاريخ المعرفة. ونظراً إلى كوننا نستطيع ضمنه أن نقفز على بعض هذه التمفصلات، وأن نستنطق مباشرة العلاقة بين مقولتي «االسياسي» و«الثقافي». ولكن مهما يكن من أمر مرجعيات هذه المسألة فلا غنى، في تقديرنا، عن الانطلاق من هذا السؤال: بأي معنى يراهن الثقافي على الحرية؟ وهو سؤال يفضي بدوره إلى مساءلة بعض النظريات المعرفية عما إذا كانت غاية الحرية فيها معقودة على ما هو نظري أم على ما هو عملي. وبهذا المعنى يمكن أن نتساءل أيضاً: ما هي منزلة الحرية من الفكر إجمالاً؟ وقبل ذلك: ما هو الوضع الذي يُفترض أن الثقافي يتحرر أو يحررنا منه؟

إن مقاربة كهذه لا بد أن تكون منذ البداية، معقودة على وضع إشكالي، نظراً إلى كون هذه المفاهيم تشكل على الفكر إذا رام تحديدها بدقة.

هل يستوفي الخطاب السياسي -وهو المهيمن اليوم في العالم الإسلامي والعربي خاصة- مسار التحرر إذ يتوسل بمناهج تراوح بين النقد والشك والتأسيس لبدائل معرفية؟ أليس هذا الخطاب، حتى وهو يراجع مضامينه نقدياً؛ خطاباً مغرقاً في التنظير بحيث تكون الحرية المنشودة لديه حرية مفارقة للواقع؟

إن ما يدعو إلى مثل هذا التساؤل هو الإحراج الذي نصادفه عندما نراجع بعض المقاربات الفكرية أو السياسية التي تعتبر الحركات الدينية السياسية قد أوغلت في التعالي وشطت حتى أنها نسيت الأفق الواقعي للإنسان. ذلك أن عنايتها بالإنسان لا تتجاوز تمثله في صورة مجردة تعكس في الأصل ما تطمح إليه هذه الميتافيزيقا الدينية؛ وليست الصورة الفعلية للإنسان. فهي إذن واهمة في ما يخص رهان التحرر لديها ما دامت تتغافل عن مقومات



أساسية لوجود الإنسان ذات أبعاد واقعية أو مادية أو فيزيائية حاملة لقيم تسهم في تشكيل ملامح الإنسان، منها على سبيل التمثيل فقط الحضور الجسدي للإنسان وما يشتمل عليه من انفعالات حيوية وإرادة مباشرة للحياة، فإذا بتحرير العقل (بمعنى اليقين) على حساب الجسد دليل على اغتراب الوعي؛ على نحو ما نرى في التنكيل البشع بالجسم البشري، عند طوائف تسيس الدين، وتفسره حسب أهوائها. وأقدر أن من مهام الثقافي أن يعمل على تبديد كل الأوهام التي تشطر الإنسان إلى نفس وجسد وتحبسه في ثنائية متفاضلة. وعلى هذا الأساس فلا بد لفعل التحرر أن ينقلب أولاً ضد السياسة نفسها بما أنها لم تفعل غير نسيان الحقائق وتزييفها، وهي لا تتوانى عن تسمية أوهامها حقائق. على أن مثل هذا الموقف ينبهنا إلى كون رهان التحرر يسقط في الوهم عندما يتبع رهاناً أحادي الاتجاه.

وهناك مسار يتعين على الثقافي أن يقطعه باتجاه التحرر، ألا وهو مسار الوفاق بين الفكر والواقع؛ وليس بالضرورة أن يتم ذلك على نحو تبريري على نحو ما نجد عادة عند كثير من الأصوليين، وإنما يمكن أن يتم ذلك على نحو جدلي. فبأي معنى يمكن أن يراهن الثقافي على الحرية ضمن هذا الأفق الديالكتيكي؟

قد لا يتسنى لنا أن نجترح إجابة مناسبة لهذا السؤال ما لم ننتبه إلى كون مراهنة الوعي على التحرر إنما هي مراهنة محكومة بمنطق التطور التاريخي، أي أنه لا يجوز للوعي أن يقفز على متطلبات الواقع، بل يتعين عليه أن يستغرق فيها استغراقاً يجعله يحيط بقوانين الواقع وحيثياته. ولا أحد بميسوره أن يعرف ما تستطيع الحرية أن تفعل، ولا أن يتخيل ما قد تؤول إليه العادات والعلائق البشرية في حضارة لا يراودها هاجس التنافس والضرورة. و نقدر أنه تبعاً لذلك فإن وعياً لا يتفطن إلى حركة الواقع الجدلية بما هي حركة تاريخية نوعية؛ قد يقع في ظنه أو وهمه مباشرة؛ أنه يمكن الظفر بالحرية في كُليتها، والحال أن التطور التاريخي يجعل العلاقة بين الوعي والتحرر علاقة تتقدم هي أيضاً في تناسب جدلي.

كيف نوفق في المراهنة على الحرية المستندة إلى ضرب من العلاقة بين الوعي والممارسة، بل إلى تحويل الوعي نفسه إلى مراس؛ حيث التحرر صراع ضد الأوهام والأخطاء والظنون، وتجذير لإرادة الحياة وانخراط في الواقع المعيش ومساهمة في الحركة الحضارية.

وبتعبير آخر: فإن عقلاً لا يحرر نفسه من أوهامه عن ذاته لا يكون حراً، وما أكثر أوهامنا عن ذواتنا! وهل لذلك من معنى سوى أن انفتاح العقل على التجربة هو الذي يحرره من أوهام كبريائه.



من يطغى على من.. السياسة أم الثقافة؟

د. بدرالدين عرودكي: فرنسا

لا بـد مـن الإشارة بـادئ ذي بدء إلى ما تنطـوي عليه كلمتا السياسـة والثقافـة العربيتـان مـن معـان تجعلهمـا عرضـة لاستخـدام يعتمـد المراوغـة أكثـر مـن الوضـوح. أولاً بفعـل اشتقاقهمـا واختـلاف جذريهمـا اختلافـاً شديـداً عـن جـذر كلٍّ مـن هاتيـن الكلمتيـن ودلالاته فـي اللغـات الأوروبية، أي اختـلاف أسـاس المعنى الـذي ستبنى عليه دلالـة كل منهما، وثانيـاً بسبب تعـدد المعاني التي يُراد مـن كل منهما الدلالة عليهـا. وربمـا كان أكثر المعاني شيوعاً لـدى قطاع واسع من مجتمعاتنا العربية هو ذلك الذي لا يزال يراوح ضمن الفضاء الدلالي لجذر كلٍّ من الكلمتين: «ساسَ»، و«ثقف»، مما يؤدي بمن يعتمده في واقع النظر والممارسة إلى أن يجعل من كل منهما عالماً يبدو مستقلاً بذاته ولذاته، له همومه وقوانينه وآلياته التي تختلف اختلافاً جذرياً عن العالم الآخر.

وربمـا لهـذا كان السـؤال الـذي يطـرح غالبـاً حـول طغيان السياسة على الثقافة الصادر عن هذا المعنى الأخير الشائع يبـدو بالتالـي طبيعيـاً بـل وشبـه تحصيـل حاصـل. إذ لا يتم الحديث في فضاء هذا الفهم عن تأثير الثقافة على السياسة بمـا يجعل هـذه الأخيرة بالمفهـوم الشائع على الأقـل - أكثر نبـلاً؛ وإن حـدث وجـرى الحديـث علـى هـذا النحـو فلهدف الحط من شأن السياسة التي «تلوثت بالثقافة»!

ولكن، إن كان السؤال يبدو طبيعياً فعلاً فهل يمكن الاكتفاء بـه لتغطيـة الواقع العربي؟ وبعبارة أخرى، إلى أي حدٍّ لا زلنا نفهـم ونعيش السياسـة والثقافة وفق معنـى جذريهما؟ وهل مـن الممكـن تجـاوز أو تجاهـل مـا اكتسبتـه هاتـان الكلمتان بوصفهما مفهوميْن من معان جديدة بحكم عمليات التثاقف والتفاعـل مـع الثقافات الأخرى التـي فرضتها قواعد العيش في عالمنا «المُعَوْلَم» اليوم؟

لاشـك أن الانطلاق مـن اعتبار الثقافـة والسياسة عالميْن منفصليْـن ومختلفين لابد أن يؤدي بالضـرورة إلى التساؤل لا عـن طغيـان أحدهمـا علـى الآخـر بـلا تمييـز بـل بطغيان السياسـة علـى الثقافة تحديـداً كما لو أن ثمـة ما يشبه حكم قيمـة يضـع السياسة في منزلة أدنى مـن منزلة الثقافة. هنا يُنْظَـرُ إلـى تأثيـر السياسـة على الثقافـة نظرة تذمّـر بما أنه يـؤدي إلـى حَـرْف هـذه الأخيرة عـن مهماتهـا الأساس ضمن مفهومهـا الرومانتيكي «فـي الخير والحق والجمـال». لكنها تبقـى نظـرة مـن جانـب العاملين ضمـن هذا الفهـم للثقافة فـي حقولهـا المختلفـة. إذ لـو حـدث أن طغـت الثقافـة علـى السياسة. وهو أمر نادر الحدوث في حياتنا العربية وينحصر

السياسة بخلاف النظرة التقليدية تتجلى أمامنا بالفعل جزءاً لا يتجزأ من الثقافة وليست عالماً منفصلاً عنها



غالباً في ممارسة مثقف ما للعمل السياسي. إذن ينظر أولو السياسة للأمر بكثير من الاستخفاف أو الاستهجان، لا لأن السياسة أرقى من الثقافة في نظرهم بل لأن المثقف لا يملك بحكم تكوينه الفكري الأدوات اللازمة التي يملكها السياسي لممارسة عمله. وبقدر ما تبدو، ضمن هذا الفهم، آثار السياسة على الثقافة عامة ما دامت تمسّ ضروب الإنتاج الثقافي بمختلف أجناسه وصوره، بقدر ما تبدو آثار الثقافة على السياسة فردية وأقرب إلى أن تكون غير مرئية في فضاء الأخيرة الواسع. على أن انطلاقنا من مفهوم آخر للثقافة وللسياسة سيؤدي بنا إلى نتيجة أخرى مختلفة جذرياً عن السابقة. فمفهوم الثقافة يعني في أبسط صياغة له مجموع الممارسات والمعارف والتقاليد والمعايير الخاصة بشعب ما، ومفهوم السياسة الآخر هو الذي يعتمد أصل معناها الأول في الثقافة اليونانية والذي نحتت من عنصريه «المدينة **polis**» و«علم **techné**» كلمة «السياسة **Politique**» في اللغات الغربية، ويعني علم حكم المدينة. وهذان المفهومان باتا اليوم معتمديْن فكراً وممارسة في الحياة العربية اليوم وإن بدرجات متفاوتة من الاختلاف عن فهمهما في الفكر والممارسة في الحياة الغربية. ويكفي مقارنة هذين التعريفين كي نلحظ عبر هذا المعنى العام أن السياسة ليست إلا جزءاً لا يتجزأ من الثقافة. أي، بعبارة أخرى، السياسة جزءٌ من الكلِّ الذي هو الثقافة.

بهذا الفهم للسياسة جزءاً من الثقافة لن يدهش أحدٌ من طغيان السياسة على المبدعات الثقافية، في فترات تاريخية محددة. ودون الذهاب كما يفعل البعض إلى اعتبار أن كل فعل أو نتاج ثقافي ينطوي على بعد سياسي، وهو اعتبار لا يخلو من الصحة، تكفي العودة إلى عدد من الحقب التاريخية المختلفة التي سنجد فيها بعض مبدعاتها الأدبية أو الفنية التي لا يمكن فهمها وتفسيرها دون فهم الظرف السياسي الذي كتبت فيه أو تحت تأثيره أو استجابة لمعانيه. فاللوحة التي رسمها الفنان الإسباني بابلو بيكاسو عام 1937 وحملت اسم مدينة «غيرنيكا» في منطقة الباسك على إثر قصف هذه المدينة أثناء الحرب الأهلية الإسبانية من قبل الطيران النازي الألماني، هي ليست مجرد عمل فني فذٍّ واستثنائي بل هو أيضاً وبالقدر نفسه عمل سياسي بامتياز. كثيرة هي الأعمال الأدبية التي يمكن الإشارة إليها بوصفها أعمالاً أدبية سياسية بامتياز أو يطغى فيها البعد السياسي. ففي النصف الأول من القرن التاسع عشر كتب أحد كبار الروائيين الفرنسيين، ستندال، روايته الشهيرة: «الأحمر والأسود»، التي لا يمكن فهمها دون العودة إلى الظروف السياسية التي سادت بعد الثورة الفرنسية وإلى ما بعد الحقبة النابوليونية والتي فرضت الخيار الوحيد أمام أجيال متتابعة من أجل الصعود الاجتماعي: الجيش أو الكهنوت، الأحمر أو الأسود؛ أو في النصف الأول من القرن العشرين رواية «الوضع البشري» لأندريه مالرو التي تدور ثيمتها حول الثورة الشيوعية في الصين خلال الربع الأول من القرن الماضي؛ أو مسرحية جان بول سارتر «الأيدي القذرة» التي كتبها عام 1948 والتي تستعيد ثيمتها المقاومة ضد النازية.

وبوسعنا التدليل أيضاً على أن كثرة من الأعمال الأدبية التي لا يمكن من الوهلة الأولى العثور فيها على أي ثيمة سياسية مباشرة أو غير مباشرة، بل والتي لن يشك أحد في انطوائها على السياسة فعلاً وممارسة تتواجد أيضاً في تراثنا العربي. فمن يمكنه أن يظن لحظة واحدة وهو يقرأ مثلاً كتاب ابن حزم الأندلسي الشهير عن الحب، «طوق الحمامة في الألفة والآلاف»، على أنه كتاب سياسي بامتياز؟ تلك هي في الحقيقة وعلى سبيل المثال القراءة السياسية التي قام بها مؤرخ فرنسي معاصر، غابرييل مارتينيز غرو، لكتاب ابن حزم هذا في كتابه «الهوية الأندلسية»، والتي يخلص فيها إلى أن طوق الحمامة تعبيرٌ عن خلاصة أفكار مؤلفه حول الحرب الأهلية التي اجتاحت مدن الأندلس وكذلك دفاع عن الأمويين وسط الكارثة التي كانوا يتعرضون لها خلال هذه الحرب.

تبرهن مثل هذه القراءة لعمل أدبي محض في ظاهره أن من المستحيل على المثقف كاتباً أو فيلسوفاً أن يعزل نفسه عن الشروط التي يعيشها مجتمعه لا في الأوضاع الاستثنائية كالحروب مثلاً فحسب بل في كل الظروف. وأن مبدعاته الفنية أو الأدبية لابد أن تشي بهذا الانخراط بصورة أو بأخرى، تساعده على ذلك كل الإمكانات التي تتيحها أدوات الفن الذي يمارسه فضلاً بطبيعة الحال عن قدراته ومواهبه.

على هذا النحو نرى أن السياسة، بخلاف النظرة التقليدية، تتجلى أمامنا بالفعل جزءاً لا يتجزأ من الثقافة وليست عالماً منفصلاً عنها.

كثيرة هي الأعمال الأدبية التي يمكن الإشارة إليها بوصفها أعمالاً أدبية سياسية بامتياز مثل لوحة بيكاسو «غيرنيكا»

حكاية قصيدة

في تراثنا الأدبي العربي طائر يحلق بجناحين في ثنائية من نوع مختلف، ذلك الطائر يتجسد في (حكاية قصيدة)، تلازما معاً، فارتبطت القصيدة بالحكاية والحكاية بالقصيدة. وأدبنا العربي يزخر بالعديد من تلك المواقف والقصص التي خلدتها القصائد، حتى استحال بعضها إلى ثنائية متلازمة تناولها الرواة والنقاد، وحيكت حولها خيوط، وأضيفت إليها أخرى، حتى صارت أسطورة متماسكة تروى جيلاً بعد جيل.



أقوال أشهر من أصحابها

د.عبدالله ثقفان: الرياض

كثيراً ما تتداول الألسن الأقوال التي تتماشى مع الإنسان في هذه الحياة، ومن هذه الأقوال (أشطار أبيات)، أو (أبيات)، وبمرور الزمن ينسى الناس القائل، ولكن المقول يثبت لكثرة التداول.. من ضمن هذه الأقوال ما سيأتي في هذه القصيدة اللامية التي أطلقها صاحبها (عمر بن الوردي 689 - 749هـ)، وهي قصيدة حِكميّة تبلغ سبعة وسبعين بيتاً منها:

اعتزل ذكر الأغاني والغزل
وقل الفصل، وجانب من هزل
ودع الذكرى لأيام الصبا
فلأيام الصِّبا نجم أفل
واتق الله، فتقوى الله ما
جاورت قلب امرئ إلا وصل
ليس من يقطع طُرقاً بطل
إنما من يتقي الله البطل
اطلب العلم ولا تكسل، فما
أبعد الخير على أهل الكسل
لا تقل: قد ذهبت أربابه
كل من سار على الدرب وصل
في ازدياد العلم إرغام العدا
وجمال العلم إصلاح العمل
مُلك كسرى عنه تغني كسرةٌ
وعن البحر اجتزاءٌ بالوشل
لا تقل أصلي وفصلي أبداً
إنما أصل الفتى ما قد حصل
قد يسود المرء من غير أب
وبحسن السبك قد يُنفى الزغل
وكذا الورد من الشوك، وما
ينبت النرجسُ إلا من بصل
قيمة الإنسان ما يحسنه
أكثرَ الإنسان منه أم أقل
بين تبذير وبخل رتبةٌ
وكلا هذين إن زاد قتل
ليس يخلو المرء من ضدٍّ وإن
حاول العُزلة في رأس جبل
إن نصف الناس أعداء لمن
ولي الأحكام؛ هذا إن عدل
خذ بنصل السيف واترك غمده
واعتبر فضل الفتى دون الحُلل
لا يضُرَّ الفضل إقلال، كما
لا يضُرَّ الشمس إطباق الطَّفَل

* انظر حول القصيدة وقائلها كتاب: تاريخ الأدب العربي، تأليف د. عمر فروخ، ج 3، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1984م، ص 766 وما بعدها.



مؤسس حركة (ألف شاعر لمواكبة التغيير)

الشاعر الأمريكي مايكل روتنبرغ:

أمريكا قد تغلق مواقع التواصل الاجتماعي

حاوره:

نورالدين بازين: المغرب

مايكل روتنبرغ Michael Rothenberg هو شاعر، وكاتب أغان أمريكي، ورئيس تحرير مجلة بيغ بريدج وناشرها على الإنترنت، والشريك المؤسس لحركة الشعر العالمي المعروفة بـ (100 ألف شاعر من أجل التغيير). نشرت قصائده على نطاق واسع في مجلات أدبية عديدة من بينها: إكسكويزيت كوربس، مجلة كولدن هاندكفس، جاكيت، مجلة براغ الأدبية، تراي سايكلو وزيزيفا. له دواوين شعرية عديدة من بينها (الرجل / المرأة) الذي ألفه بتعاون مع جوان كايغر (منشورات فش درم)، (رؤية متأنية) (لا ألاميدا / منشورات جامعة نيو مكسيكو)، (اخْتر) (منشورات بيغ بردج)، (شبابي بصفته قطارا) (منشورات فوت هيلز)، (حبس لأَجل غير مسمى: قصة كلب) (مطبعة إكستسس، 2013) والذي سيصدر في طبعة عربية إنجليزية تنشرها الكتب خان بالقاهرة. ويتضمن عمل مايكل كمحرر قام بجمع ومراجعة قصائد مختارة للشاعر الأمريكي ألن فيليب، جوان كايغر، إد دورن (كتب بنغوين)، وقصائد مختارة من أعمال ألن فيليب (مطبعة جامعة ويسليان).

كتب الناقد الأمريكي دايل سميث عن تجربة مايكل روتنبرغ الشعرية قائلاً: لقد ساهم مايكل روتنبرغ في صياغة مشهد الشعر الأمريكي باعتباره محرِّراً ومُدافعاً عن التجديد في الشعر الأمريكي. وقد تمكن القارئ الأمريكي المعاصر

من خلال علاقات روتنبرغ الوطيدة مع دار نشر (بنغوين) من الاطلاع على مجلدات مختارة من الشعر الأمريكي الحديث نشرت خلال العقد الماضي، لكتاب أمريكيين لعبوا دوراً حاسماً في صوغ مفهوم جديد للشعرية الأمريكية خلال منتصف القرن الماضي، ومن بين هؤلاء الشعراء نجد ألن فيليب، جوان كايغر، ميلتزر ديفيد، وادوارد

أمريكا والشركات ذات الرأسمال الكبير ستغلق هذه البوابات الإلكترونية (مواقع التواصل الاجتماعي) وتمنع أي تواصل بين المثقفين والشعراء

دورن. هذا بالإضافة الى جهود روتنبرغ مع مطبعة جامعة ويسليان التي أسفرت عن نشر أعمال شعرية رائعة وممتعة لألن فيليب، مُحققاً بذلك رقماً قياسيَاً في الإبداع الشعري والأداء البصري والالتزام الثقافي، وكل ذلك في مجلد ضخم وممتع يجمع قصائد شاعر عظيم.

في الأول نود أن نعرف كيف كانت بداية تأسيس حركة (1000 شاعر من أجل التغيير)؟

ظهرت الحركة في سنة 2011، وقد جاءت الفكرة بعد الإحساس بنوع من اليأس الذي كنت أعاني منه بعد سنة 2011، التي شهدت عدة حروب، كحرب العراق، وأفغانستان، وانفجار أنابيب البترول بخليج نيوميكسيكو، وكل هذه الأحداث جعلتني أفكر بطريقة لأدعو بها الشعراء والكتاب ليغيروا ولو بطريقة غير مباشرة من السياسات التي تنهجها بلدانهم التي تتجه إلى تدمير البيئة من محيطات وحياة اجتماعية بشكل عام. كل ذلك جعلني أتصل بصديق لي على موقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) واقترحت عليه فكرة تأسيس حركة (1000 شاعر) تدعو إلى التغيير وتكون انطلاقتها من (الفيسبوك). وقد أعددت ملصقاً في أول الأمر يدعو الشعراء إلى الاندماج من أجل تغيير اجتماعي يفيد كل مكونات المجتمع.

لكن يبدو أن حركتكم، انحرفت عن تغيير ما هو اجتماعي، وراحت تدعو إلى تغيير سياسي، ولهذا أريد أن أعرف كيف يمكن أن تؤثروا في السياسة الأمريكية الحالية؟

سؤال مهم جداً، فقد كبرت خلال الستينات، حيث كان الشعر مرتبطاً بالسياسية، وقد لاحظت أن كل شعراء فترة الخمسينات والستينات والذين درستهم، كان لهم هم سياسي وقد ساهموا في تغيير مجموعة من الأشياء داخل وسطهم المجتمعي ومن ضمنهم شعراء (الإيقاع) أو كما يطلق عليهم شعراء (الجيل المهزوم). هنا لاحظت تأثيراً قوياً للكلمة، خصوصاً الكلمة الشعرية، وهذا ما جعلني ألتحق بركب الشعراء للمساهمة في التغيير في فترة الستينات والسبعينات، وواصلت على خطاهم من أجل إحداث تغيير اجتماعي وثقافي وسياسي إن أمكن في جميع بقاع العالم.

أنتم تتحدثون عن فترة الستينات والسبعينات، لكن ماذا عن هذه الفترة؟

بالفعل هذه الفترة تختلف عن فترة الستينات والسبعينات، لكن السؤال الذي يطرح نفسه لأهميته، هو إلى أي مدى يمكن للشاعر أن يغير الوضع الراهن، وكيف يمكن للشاعر أن يساهم في تغيير واقع مفروض، وهل يصغي المجتمع إلى ما يقوله ويكتبه الشاعر، إلى أي مدى يمكن أن يساهموا في تغيير المشاكل الذي يمر منها مجتمع ما؟! هذه أسئلة مهمة جداً، لكن لا يمكن أن تمنعنا من المضي نحو مسارنا الإبداعي ولو أن المجتمع لا يسمع ما يقوله الشعراء، ولا يعتقد أن هناك إمكانية التغيير من خلال الشعر.. هذه كلها أسئلة واع بها، لكن لا يمكنها أن تمنعني من التقدم في مشروعي الثقافي.

جدوى الشعر والشعراء اليوم، إنه سؤال عميق وواسع.. ما يكل نحن جميعاً نعرف أن المجتمع الأمريكي مجتمع مستهلك، وأن السياسيين



100 Thousand Poets for Change

في أمريكا يمارسون شيئاً من الدجل السياسي على المواطن الأمريكي وهناك محطات عديدة برهنت على ذلك.. أنتم كمثقفين أمريكيين ونخبة متنورة، كيف يمكن أن تؤثروا في السياسة الأمريكية عن طريق الشعر؟

لنوضح فكرة أولى، هناك مفكرون ومثقفون بأمريكا تستغلهم الإدارة الأمريكية، لذلك لا يجب أن نعتمد بشكل مطلق أو بشكل محدود على الجهود الذي يقدموها المثقفون، المجتمع الأمريكي يسيطر عليه السياسيون، لذلك لا يمكننا أن نربط آمالنا بهذه النخبة. أما الشعراء المعاصرون بأمريكا، فإنهم تتضارب الآراء اليوم حولهم، إلى أي مدى وفاؤهم إلى القضية الإنسانية الأمريكية، إنهم شعراء نخبويين تستغلهم السلطة الحاكمة في البلاد، الأحزاب السياسية هي أيضاً تعد مجموعة من الشعراء يدافعون عن أيديولوجيتها، ولذلك ينسون قضايا إنسانية مهمة داخل المجتمع الأمريكي، وهذا لا يشجعني أن أتحدث عنهم، بقدر ما يمكنني أن أتحدث عن دوري خارج جغرافية أمريكا عن طريق التواصل مع شعراء في قارات أخرى وربط علاقات مع شعراء في بلدان أخرى خارج أمريكا ومنها المغرب يهتمون بقضايا إنسانية، وقد بلغت إلى حدود الآن 700 أمسية شعرية في دول مختلفة، وهمي اليوم هو ربط علاقات مع شعراء لهم نفس الهم والمشاكل ويسعون إلى إيجاد حلول لها. وهذه العلاقات مع شعراء في بلدان أخرى هو انتصار لي وقد أنقذتني من السقوط في براثن الشاعر الرسمي النخبوي داخل المجتمع الأمريكي.

ولكن كيف هي علاقتك مع الشعراء الأمريكيين.. يبدو أنها ليست على ما يرام؟

يجب أن تعلم أن الشعراء الأمريكيين غير متحدين، لهذا فإني أتطلع إلى إيجاد وحدة تفوق الحدود الجغرافية للولايات المتحدة الأمريكية، وأنا سعيد بعدما أحدثت شبكة عبر الإنترنت مع عدد من الشعراء كلهم يدعون إلى التغيير وتحسين ظروف عيشهم.

أعود إلى شعراء (جيل الإيقاع) أو (الجيل المهزوم) التي شهدتها سنوات الستينات، هل مازال نفس الإحساس يغمر نفسية الشاعر مايكل وزملاءه الشعراء بأمريكا، أعني الانكسار والانهزام؟

أولاً، أريد أن أحدد مفهوم (البيبت) أو حركة (الجيل المهزوم). هذا المفهوم استغل بطريقة وحشية من طرف الأكاديمية، هؤلاء استعملوا هذا المفهوم بشكل مفرط واستغلوه لأغراض شخصية لا علاقة بتوجهاتهم، فكرتي وشعري بدأ مع حركة (البيبت) لكن أسعى إلى تغيير ممنهج وليس كما دعا إليه شعراء حركة (البيبت) وأيضاً أضع أمامي الفترة التاريخية، فحركة (البيبت) ظهرت منذ أربعين عاماً، أما اليوم فقد اختلفت الظروف السياسية، ولهذا يجب أن نضيف إضافة نوعية إلى ما بدأه (البيبت) ويكون التغيير مناسباً للألفية الثالثة وسنة 2014.

التغيير لدى الشاعر مايكل، يعتمد على العالم الافتراضي، هل يمكن لنافذة (الفيسبوك) أن تعطي أكلها وتحقق أحلام الشاعر مايكل وزملاءه؟

الشعراء الأمريكيون غير متحدين لهذا فإني أتطلع إلى إيجاد وحدة تفوق الحدود الجغرافية للولايات المتحدة الأمريكية

النظام الأمريكي قد يكون أحدث زعزعة في البلدان العربية لتفتح المجال للدخول الأمريكي وشرعنة تدخلها في الأنظمة السياسية والاقتصادية

كلنا نعلم أن الربيع العربي مهم جداً في إحداث تغيير عميق في الفكر الغربي بشكل عام، وقد حدثت ثورات أو دعوات إلى التغيير خلال الربيع العربي عبر وسائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجي بالتحديد، إذن (الفيسبوك) ومواقع التواصل الاجتماعي الأخرى، ساهمت في إحداث تغيير جديد في وضع أرضية لتواصل عالمي بين الشعراء والمثقفين والمهتمين والفاعلين الجمعويين وإلى جميع أنواع المجتمع التي تتطلع إلى التغيير والاستماع إلى الآخر واقتراحاته. إذ (الفيسبوك) بالنسبة لي هو بوابة تمكنت من خلالها إلى توسيع علاقتي وزرع بذور الأمل، اعتماداً على ما بدأته حركات التغيير في البلدان العربية، لقد منحنا أملاً لمجتمعات وأناس عبر (الفيسبوك) من خلال حركة (100 ألف شاعر من أجل التغيير). التي انطلقت بذورها عبر (الفيسبوك) فلم يكن يتوقع المجتمع الأمريكي والغربي بشكل عام أن العرب سيدعون إلى التغيير.



إذن أنتم تعتقدون أن (الفيسبوك) أعطى ما كان منتظراً منه لحركتكم؟

دعني أقول لك، أو أنعت هذه الوضعية التي نعيشها اليوم بـ(نافذة فرصة)، لأنني أعتقد أن يوماً من الأيام ستقوم الولايات المتحدة الأمريكية والشركات ذات الرأسمال الكبير بإغلاق هذه البوابات الإلكترونية، وتمنع أي تواصل بين المثقفين والشعراء، لذلك علينا أن نسرع ونرفع من وتيرة التواصل والتوعية والدعوة إلى تنظيم مجتمعاتنا بكل فئاته، فيجب أن تعلم أن وكالة الأمن القومي الأمريكي، تطلع على جميع رسائل الإنترنت، وتسعى إلى التجسس على المكالمات، وعاجلاً أو آجلاً ستعمل على إغلاق كل البوابات الإلكترونية، كي تمنع من ارتفاع الوعي الاجتماعي بأمريكا والدعوة إلى التغيير، فهذه فرصة لا يجب أن تفوتنا.

هذا الربيع العربي التي تحدثتم عنه، ألم يكن من صنع أمريكي خالص، كما تم التداول حوله؟

هذا سؤال عميق ومعقد، لكن يجب أن نوضح شيئاً مهماً جداً في البداية، فالحركة تدعو إلى السلم الاجتماعي والعدالة والتنمية المستدامة، وتجديد الطاقات.. وكلها قيم لا يجب أن يكون ضدها أي إنسان. هذه فكرة أولى. ثانياً أنا لا أدعي أنني محلل أو كاتب سياسي، لكن لدي رؤية أن ما حدث في الدول العربية التي شهدت الربيع العربي، حدث لم يسبق له أن حدث، وأعتقد في نظري أن الحدث لم تساهم فيه أياد خارجية، لأنه مشروع انطلق من العفوية، ولا يمكن أن نتكهن بما سينتهي به هذا المشروع، فرغم الدراسات التي قامت بها وكالة (سي آي أيه) وسياسيون بأمريكا وجامعات أمريكية، فلا يمكنني أن أجيب بشكل قطعي على هذا السؤال.

ألم يكن تورط أمريكا في حرب العراق دافعاً، لكي تغير من سياستها المباشرة والتدخل العسكري من أجل النفط؟

أمر واضح، بأن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى إلى تحقيق أهداف اقتصادية تخدم مصالحها ولها علاقة بالدولة، وأينما وجدت هذه المصالح في أي دولة ستسعى للحصول عليها، ولن يمنعها أي نظام سياسي آخر كيفما كان، وهذا أمر حدث في العراق وأيضاً في أفغانستان، ومؤخراً تم اكتشاف تقرير أعدته منظمة أمريكية يخبر الشعب الأمريكي بأن هناك ملايين الموارد الطبيعية تم اكتشافها في أفغانستان، وهي الدافع إلى الحرب وليس تتبع (القاعدة). وهذه الأمور يعلمها الشعب الأمريكي الآن، لذلك فالمواطن

الأمريكي بدأ يستيقظ من غيبوبته التي أصابته نتيجة اعتقاده وإيمانه المطلق بالقيادات السياسية في البلاد، وأنا لا أنفي أن النظام الأمريكي قد يكون قد أحدث زعزعة في البلدان العربية لتفتح المجال للدخول الأمريكي وشرعنة تدخلها في الأنظمة السياسية والاقتصادية وتجعل لها وتداً في هذه البلدان العربية وأيضاً من أجل التحكم في صيرورة مسارها الاقتصادي والاجتماعي مستقبلاً.

وبما أننا نتحدث عن أهمية النفط، فأيضاً علينا ألا ننسى صناعة أخرى تعتمدها الولايات المتحدة الأمريكية تسيطر من خلالها على أموال طائلة وهي صناعة الأسلحة التي دمرت بها العراق ودولاً أخرى عربية وباعت منها مليارات الدولارات لدول نامية وتستفيد منها عن طريق جعل هذه الدول تابعة دائمة لصناعة الأسلحة وتكنولوجية الاستنزاف.

هذا الجواب يحيلنا على قصيدة (من دمر أمريكا؟) التي كتبها الشاعر الأمريكي أميري بركة، وتطرق فيها إلى سؤال أحداث 11 سبتمبر، فهل شعرية مايكل تذهب في نفس الاتجاه لتقريب العالم الأمريكي حول ما يقع في العالم الآخر؟

اسمع ديواني الأخير (حبس لأجل غير مسمى) لهو دليل قاطع على مدى تعقد المجتمع الأمريكي، حيث أصبحت أمريكا سجناً كبيراً لمواطنيها، بعدما غابت كل القيم التي نادت بها أمريكا في العهد القديم من حرية التعبير، وحرية التنقل، والديمقراطية وحقوق الإنسان، كل هذه القيم تختفي الآن في الحياة الآنية للإنسان الأمريكي. فالسجون أصبحت ممتلئة، وصارت الحكومة الأمريكية تحدث سجوناً كبيرة مثل غوانتنامو، حيث يتم الزج بأناس كثيراً ما يكونون أبرياء، وأضحينا نقتل العنصر البشري، باعتباره عنصراً لا قيمة له في الحياة، وأيضاً نقتل الإنسان الأمريكي. ففي ما قبل كان الإنسان الأمريكي يحاكم الإنسان الأمريكي داخل جغرافية أمريكا، الآن يمكننا أن نقتل الإنسان في وطنه وخارج حدود جغرافية أمريكا.

وهناك قصيدة في ديواني بعنوان (ربما سأذهب إلى كندا) تعالج قلق الانتماء والهوية، ويطرح تساؤلات عن الديمقراطية الأمريكية، وفي هذه القصيدة أعبر عن مدى رغبتي في أن أصبح مواطناً مهاجراً في دولة أخرى، لأن الوضعية الحالية في أمريكا لا تشجعني على الانتماء إلى هذه البلاد. فأنا أتطلع إلى ديمقراطيات أخرى في دول أخرى.

أنا أيضاً أريد أن أطلع حول رأي الشاعر مايكل في الشعر العربي ومن خلاله الشعر المغربي؟

لقد اطلعت على تجربة الشعر العربي عن طريق اطلاعي على كتابات كتبها الشاعر أدونيس، وقد أعجبني التقديم الذي طرحه حول أصول الشعر العربي وبداياته، وأنا لا أدعي أني أعرف الشعر العربي معرفة عميقة، وليست لي علاقة وطيدة بالشعر العربي، ولكني معجب بالشعر العربي. وكان لي اطلاع على تجربة أنطولوجيا الشعر المغربي المعاصر التي اشتغل عليها الشاعر لحبيب الواعي، وقد نشرتها شخصياً في مجلتي بيغ بريدج بأمريكا سنة 2012. وهي فرصة اطلعت من خلالها على الشعر المغربي المعاصر. وكانت هذه الأنطولوجيا وسيلة لربط العلاقات مع شعراء مغاربة وعرب عبر الفيسبوك. وأنا معجب وأستمتع باللسان العربي. فأنا لست أكاديمياً أدرس بإحدى الجامعات الأمريكية، ولكني شاعر أولاً وأخيراً وأتطلع إلى خلق صداقات مع شعراء عرب معاصرين وحركة (100 شاعر من أجل التغيير) هي الأرضية.

تقرير أعدته منظمة أمريكية يخبر الشعب الأمريكي بأن هناك مليارات الموارد الطبيعية تم اكتشافها في أفغانستان وهي الدافع إلى الحرب وليس تتبع (القاعدة)





المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي



د.خاليد فؤاد طحطح: المغرب

نشير بداية إلى قلة الدراسات في المغرب التي حاولت تسليط الضوء على الفئات المهمشة، وبالخصوص خلال الحقبة الوسيطية. كما أن هناك مشاكل واجهت هذا النوع من الأبحاث في إرهاصاته الأولى، ومنها: الاصطدام بغياب تصورات منهجية واضحة حول الإشكاليات الواجب تتبعها، ونوعية المقاربات التي وجب تبنيها، مما أسقط عدداً من الباحثين في فخ الإسقاط والتنميط. وهو الأمر الذي تجاوزته الدراسات اللاحقة التي استفادت من الأدوات المنهجية الجديدة التي صاغتها الدراسات التي اهتمت بالمهمش عموماً. حيث تم التركيز على فئات مختلفة من العامة، فحضر الفقراء، وكذا الرقيق والمجذومون والمتسولون، والثوار.. وغيرهم من الفئات الاجتماعية الدنيا التي لا صوت يُسمع لها في التاريخ الرسمي المكتوب خلال هذه الفترة الزمنية، في تأثر مباشر بإشعاع الأبحاث الاجتماعية لمدرسة الحوليات الفرنسية.



هـذا دون أن ننسـى المجهـودات التـي قـام بهـا المـؤرخ المصـري الأسـتاذ محمـود إسـماعيل الـذي أشـرف علـى مجموعة من الأطروحات والرسـائل التي اهتمت بالشـرائح المستضـعفة فـي التاريـخ الأندلسـي خصوصـاً. وفـي هـذا السـياق تحضُر إحدى أهم المسـاهمات التي قام بها المؤرخ المغربـي الأسـتاذ إبراهيـم القادري بوتشـيش، الـذي انتقل مـن مجـال الإشـكاليات النظرية فـي التاريخ المنظـور إليه مـن أسـفل إلى مجـالات التطبيق، مـن خلال اسـتعادة حياة نماذج دالة تهم فئات مقصية من التاريخ الرسمي الوسيطي، حيـث قـدَّم دراسـات لحـالات عينيـة مـن الفئـات المهمشـة اجتماعيـاً فـي تاريـخ الغـرب الإسـلامي، مـن قبيـل حركـة المتنبئين والسحرة والأيتام والمتسولين والفقراء والعبيد والطوائف الصوفية، وكذا الأحياء المهمشة بمراكش.. إلخ. ولعـل هـذا من بين أهم مميزات هذا الكتـاب الذي قارب فيه مؤلفه موضـوع المهمشين في تاريخ الغرب الإسلامي بعُدَّة منهجيـة وحس تاريخي، ويبدو هذا الحس في انفتاحه على المقاربات الجديدة، وبالخصوص في بعدها النظري.

يتكـون هذا الكتاب، الذي صـدر في طبعته الجديدة سـنة 2014م عـن دار رؤيـة المصـرية، بعنـوان (المهمشـون فـي تاريـخ الغرب الإسـلامي.. إشـكاليات نظريـة وتطبيقية في التاريـخ المنظـور إليـه مـن أسـفل)؛ يتكـون مـن مجموعة مـن المقالات والبحوث التي سـاهم بها صاحبها في ندوات وملتقيـات علمية داخل وخارج المغرب. وهي أيضـاً جزء من الحـوارات الدائرة حول التاريخ ومكانـة المعرفة التاريخية التـي أفرزتها دراسـات المهمش، وتتجلـى أهميتها في كونها ثمـرة متابعة لصيقة من الكاتب للنصوص والمخطوطات المغمورة، لذا فإنها قد أضافت الكثير في مجالها، وأسهمت فـي تسـليط الضـوء علـى بعض الإشـكالات المطروحـة، وأزاحت النقاب عن فئات اجتماعية ظلت غير مصـنَّفة لدى المؤرخين الرسميين ممن تناولوا فقط الأحداث السياسية والعسكرية لدولهم.

مـن بيـن الأهداف المهمة التي سـعى إلى تحقيقها كتاب (المهمَّشـون فـي تاريـخ الغرب الإسـلامي)، إبـراز جزء من تاريـخ العامـة، الـذي يمثل وجهـا رئيسـاً من ملامـح الفترة الوسـيطية المغيبـة. فبالإضافـة إلـى اسـتحضـاره الـرؤى المنهجيـة التـي شـكلت تحدياً رئيسـاً أمـام الباحثين؛ نقف مـع الكتاب أمـام عوائق أخرى سـاهمت بدورها في التعثرات التـي رافقـت هـذه الأبحاث، ومـا تـزال، حيث نبَّهنا الفصـل الثانـي إليهـا، ويتعلـق الأمـر بإقصـاء الفئات المهمَّشـة في مصـادر التاريـخ الإسـلامي الرسـمي للحقبـة الوسـيطية، والتـي اهتمـت بالأسـاس بتسـجيل حوليات السـلاطين وما يرافقها من الأحداث السياسـية والعسـكرية، فأغلب الكُتَّاب والمؤلفيـن تخصصـوا فـي كتابـة سـير الملـوك والأمـراء والرؤسـاء والأسر الحاكمة، وهذا الصنف وُجد منذ العصور الغابـرة، وهـو موجود إلى اليوم، وسـيبقى موجـوداً ما دامت الإمـارات والرئاسـات قائمـة. ومـن الملاحـظ أن أغلب من كتبوا في سـيرة الدول وملوكها، إنمـا قاموا بذلك طمعاً في التقرب من أولي الأمـر، وأملاً في الحصـول على امتيازات شخصـية، ومنهـم من كتب بتشـجيع مباشـر من سـلاطين وقتهـم، ممـن تنبهـوا إلـى أهميـة تدويـن سـيرتهم وتخليد أعمالهـم ومحاسـنهم في التاريـخ، لأن من شـأن ذلك الرفع مـن مكانتهـم بيـن الملـوك. ممـا نتـج عنـه وجـود فجـوات كثيـرة تغطـي مراحـل كثيـرة مـن التاريـخ الوسـيط للغرب الإسـلامي، حيث تسـكت خلالها المصادر سـكوتاً يكاد يكون تاماً عن أخبار الفئات المهمشة وأحوال عامة الناس، ويرجع غيـاب ذكـر هـذه المجموعـات عـن كتابـات المؤرخيـن إلـى النظـرة الدونيـة التي كان ينظر بها هؤلاء في الماضـي إلى العامـة باعتبارهم (رعاعاً) و(سـوقة) و(جهلة) و(سـافلة) و(دهماء)، إذ ألصـقت بهم العديد من النعوت السـلبية، وإذا ما اصـطدموا بالسـلطة المركزيـة وأوامرها فهم (عصـاة) و(فسقة) و(مفارقون للجماعة) بل (خارجون عن الشرع). ولـذا ففيمـا يخص الناس العاديين، وبخلاف الشخصـيات المشهورة؛ يصطدم المؤرخ مع صمت النصوص، إذ لا توجد أي كتابـات لهـا علاقـة بالـذات، فهم أشـخاص غير مرئيين، ولا تُعطى لهم أية قيمة ولا أية رمزية، إلا إذا ارتكبوا جرائم





خارقة، أو نالوا عقوبات قاسية، حينئذ فقط يُسَلَّط عليهم بعض الضوء، وتلصق بهم النعوت القادحة.

يُسبِّبُ تعاقب فترات تضاؤل الأخبار إلى درجة الانعدام مشاكل كبيرة للباحثين، الذين يجدون صعوبة في مواصلة أبحاثهم بخصوص هذه الفئات الاجتماعية، إذ يتطلب البحث توافر مصادر ونصوص مكتوبة، فالوثائق هي التي تشكل الذخيرة الحية التي تنبثق منها الأبحاث الناجحة، فكان اللجوء إلى المصادر الأخرى، من قبيل كتب التراجم والمناقب والنوازل والرحلات؛ حلاً بديلاً، ساعد في الكشف عن جزء مهم من الغموض الذي أحاط بهذه الفئات المنبوذة، حيث نجد إشارات ومعلومات بشأنها في معرض حديث هذه المصادر التي لم يكن هدفها التعريف بهم بالضرورة، وإنما اقتضى سياق الحديث ذكرهم. وهنا يلعب المؤرخ دور المتسكع الذي يبحث في المزابل عما تبقى من الآثار والأشياء حسب ميشيل دوسيرتو، لأنه يعطي الأولوية للبحث في الهوامش، وفي المواضيع المسكوت عنها، إنه يصنع -مثل المتشرد- بما يجده ويجمعه من وثائق أو ما تبقى منها، من أجل إعادة عَالَم لم يُعْرَف من قبل عن طريق التنقيب في الأرشيفات والوثائق المختلفة، فإذا كان المرء ضئيلاً لا يُرى وجب حمله إذن على الأكتاف ليُرى بشكل أفضل.

وبالفعل، إننا نجد تردد صدى نصوص من هذه المتون المتعددة المشارب في عدد من الأبحاث التي قام بها المؤرخون الحاليون، والذين وجدوا فيها إشارات مستفيضة حول قضايا أصبحت محورية في حقل الدراسات التاريخية. ويأتي هذا في سياق ما ميَّز القرن العشرين من انفتاح الحقول المعرفية المرتبطة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والأدبية على بعضها البعض، مما حذا بها إلى الاستفادة من استعمال هذه المتون المختلفة في إطار دراساتها، كل باحث حسب تخصصه ومنهجه. وبلا شك تلعب نوعية المصادر المتوافرة، وحجم حضور الفئات المهمشة بها كذلك؛ دوراً في تحديد نوعية المقاربات المعتمدة، حيث وجب دائماً إعطاء قيمة للأحداث الدالة التي قد تبدو في الظاهر هامشية، فالتفاصيل الصغيرة جداً دائماً تكون هي الأهم، فحسب المؤرخ الإيطالي كارلو جيزبورج يمكن استخدام الأدلة الضئيلة والمبعثرة والغامضة بشكل جيد للوصول إلى معلومات مهمة.

يساهم كتاب المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي إعادة الاعتبار للتاريخ الاجتماعي، بغية إحياء الذاكرة في شموليتها واستعادة جزء من المفقود، الذي لن يتأتى إلا من خلال إعادة الاعتبار للجزئي، من خلال التركيز على تاريخ الفئات المهمشة والأماكن المهمشة والأفراد المهمشين. وقد ترك الكتاب هذه المسألة مفتوحة لجيل من المؤرخين الجدد الذين بدؤوا في تناول مثل هذه المواضيع، سواء أكان ذلك على مستوى المنهج أم على مستوى المجالات.

طائر الوفاء



عبدالسلام كامل يوسف: السودان

(طيور مهاجرة من أقصى شمال العالم تأتي للسودان وتعود عند مجيء الصيف لبلادها الباردة.. إلا طائراً)

بالأمس مرّ أولُ الطيور فوقنا
ودار دورتين قبل أن يغيب
لمحتُـه.. رأيتـه يكاد يستريح فـوق بيتنا بأيكةٍ
وفجأة يقرر الغياب
وذاب في مواكب الغروب
وخلتـه يجـيء ثانيـا ليسـتجمّ عنـد دارنا الرحيب
أهـل تـرى يعود فـي مواسـم الخريف مقبلا؟
أهـل تـرى يسـوق رحلـة لأرضـه التـي هناك؟
أمـا لـه أقـارب تعيـده لعالـم الشـتاء والهلاك؟
أما هناك زوجُه المهيضة الجناح؟
تود لو تطير كالجميع في ارتياح
تود لو تكون حرّة كما الضياء
كنسمة تجيء من صبا
تقول مرحبا.. يا مقبل الصباح
وتفرد الجناحَ بينما
يخونها صديقها الجناح
تغازل الشموس والزهور والأقاح
ويضحك الجنون ملء ما يشاء

فقبلما يزورنا ككل عام
صديقُنا القديم..
فتضحك المروج والغصون والأديم
يعيـده حنينـه إلـى التـي هنـاك فـي سجون قيدها
ويهـزأ الزمـان بالغـرام والهـوى وبالشجون
ويرجع الحبيب للحبيب
للشتاء والمنون
ليحضن القرين
وقـد تدثـرا كلاهمـا بحلـة مـن الصقيـع والجليد والبَرَد
وأغمضا كلاهما لواحظ- الحنين والهيام في جلَد
ومثلما تلاقيا في سالف الزمان والمكان
ومثلمـا تصاحبـا فـي رحلـة غريبـة إلـى هناك
إلى عوالم تضجّ بالوفير من غذاء
وتحضن الجسوم والقلوب في اعتناء
تصاحبا في رحلة الفناء
وعندما سترجع الطيور عند صيفها
ستبصر اللذيْنِ أصبحا هياكلاً.. دليلَ كبرياء
وقصةً لمنتهَى الوفاء..



الجوانب المشرقة للحرب العالمية الثانية

د. إيمان نوري الجنابي: العراق

تعود أسباب الحرب العالمية الثانية وجذورها التي أطنبت في التاريخ، إلى الحرب العالمية الأولى وخسارة بروسيا وهنغاريا، وذوبان الإمبراطوريتين العثمانية والألمانية وتقسيمهما، وإلى معاهدة (فرساي) وتكبيل ألمانيا، وحدوث الثورة البلشفية في روسيا، وفشل عصبة الأمم في مهامها، ولكنها بدأت رسمياً بغزو ألمانيا لبولندا في الأول من شهر (أيلول - سبتمبر من عام 1939).. أعقب ذلك وبعد يومين فقط، إعلان كل من المملكة المتحدة وفرنسا الحرب عليها. ومن المؤرخين من يبدأها بالحرب اليابانية الثانية في السابع من (تموز - يوليو 1937)، لأن الثانية اندمجت بالأولى وأصبحت جزءاً منها بعد تدمير ميناء (خليج اللؤلؤ - pearl Harbor) من قبل اليابانيين في السابع من شهر (كانون أول - ديسمبر عام 1941)، وانتهت عند اعتراف اليابان بهزيمتها في (14 و15 حزيران - أغسطس عام 1945) في كل من اليابان والولايات المتحدة الأمريكية وجزر المحيط الهادي الشرقية، بالنظر لفارق التوقيت. أما التاريخ الرسمي لانتهائها فهو اليوم الثاني من شهر (أيلول - سبتمبر من عام 1945) وهو تاريخ توقيع اليابان على استسلامها من على ظهر البارجة الأمريكية (ميزوري).



يعود فجر أسلوب العلاج الكيمياوي للأمراض السرطانية لاستعمال الألمان للأسلحة الكيميائية خلال الحرب العالمية الأولى

لعل في وصف الحرب العالمية الثانية بأنها غيّرت وجه العالم فقط إجحافاً بحقها، أو استصغاراً لذلك الصراع الدولي العملاق لأنها كانت قد تدخلت فعلاً وغيّرت كل شيء، بما في ذلك قيادة وتوجيه التقدم التقني والعلمي البشري بصورة لم تكن ممكنة أبداً لولاها. لا شك بأن الوجه الكالح لهذه الحرب ولغيرها من الحروب هو الطاغي عليها جميعاً، ولكن دعنا نتلمّس بعضاً من جوانبها العلمية الفذة واختراعاتها الرائعة ونتفحّص وجهها المشرق الذي وسم أهم ملامح حياتنا الحديثة ومكننا من التمتع برفاهيتها.

والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

1 - قمرات الطائرات معدّلة الضغط: لم تكن الطائرات الحربية مجهزة إلا بأقنعة الأكسجين حتى تم إطلاق القاذفة الأمريكية العملاقة (بي 29) في عام (1944)، والتي كانت بقمرة معدلة الضغط كاختراع أمريكي فذ مكّن من ترجيح كفة الحلفاء بطيرانها على ارتفاعات شاهقة أمّنتها من نيران دفاعات الألمان الأرضية. تم استقدام هذه التقنية وتطوير استخدامها على متن الطائرات التجارية المدنية بعد الحرب موفرة الراحة والأمان لمسافريها.

2 - جهاز الراديو للملاحة الجوية ولهبوط الطائرات: لقد نالت قيادة القوة الجوية البريطانية خير ما تستحقه من اهتمام وتقدير ولاسيما صنف القاذفات فيها بالنظر لكونها السلاح البريطاني الوحيد الذي كان قادراً على رد صاع الهجمات الألمانية صاعين لهم في عقر دارهم، ورد شيء من الاعتبار والأمل لأمة كانت على شفا حفرة من الهزيمة وعلى وشك الانهيار. لقد كان ثمن ذلك باهضاً، حيث كانت حظوظ رجال القاذفات الإنجليز في النجاة من خطورة مهامهم أقل بكثير من حظوظ نجاة رجال مشاة الحرب العالمية الأولى في تقدمهم، حيث قُتل ما لا يقل عن (55573) من مجموع (125000) رجلاً منهم خدموا خلال تلك الحرب.

عانى طيارو تلك الحقبة من مشاكل جمّة، منها معضلة تحديد وإيجاد الأهداف المعادية وقصفها، ومن ثمَّ العودة بطائراتهم إلى قواعدهم سالمين. لم تكن أنظمة الملاحة الجوّية قد اخترعت حينذاك بعد، الأمر الذي حدى بالكثير من الطلعات أن تخفق في إيجاد أهدافها، بل وتطير بعيداً عن المناطق التي تتواجد فيها، الأمر الذي عرّضها لنيران المضادات الأرضية المعادية أينما رُصدت. أما ما زاد من طين هذه الإشكالية بلّة فكان قرار قادة سلاح القاذفات بأن تغير طائراتهم ليلاً، آملين أن يلفهم الظلام بستره فلا تراهم أعين الأعداء.

لتخطي شيء من تلك الصعوبات، تمكن البريطانيون من تطوير أنظمة ملاحة منها نظام (كي - GEE) الراديوي لمخترعه (روبرت دبي - Robert Dippy)، تساعد نبضات الجهاز القياسية الطائرات الحاملة له على تحديد مواقها نسبة لبعضها البعض وتحديد أهدافها المشتركة كما يمكنها حساب المسافات الفاصلة فيما بينها وبين أهدافها بدقة لا بأس بها.

3 - العودة إلى أرض الوطن: لقد كان إقلاع الطائرات



وقصفها لأهدافها في تلك الحرب إشكالية تختلف جذرياً عن صعوبة تحقيق هبوطها بسلام عند عودتها مع طواقمها على الأرض. كان جهاز (ريبيكا - Rebecca) للبث والاستقبال من أول تلك الاختراعات، وإن كان قد صُمم أصلاً لتمييز المقاتلات الصديقة من العدوّ.

يعمل جهاز (ريبيكا - Rebecca) مع منظومة الإرسال الأرضية (يوريكا - Eureka) لتسهيل هبوط الطائرات. تُطلق المقاتلة المقتربة من مدرجها إشارات من جهاز (ريبيكا) الذي تحمله، تعمل هذه الإشارات على تشغيل جهاز (يوريكا) الأرضي الذي يرسل الإشارات إلى (ريبيكا) على الطائرة فيرشدها إلى مدرج هبوطها ويحسب لها المسافة التي تفصلها عنه. مكّنت فكرة هذين الجهازين من تطوير الكثير من أجهزة الملاحة الجوية الحديثة ومن بينها أنظمة (بيكون - Beacon-Based) و(نظام التموضع الكوكبي - Global Positioning System - GPS)، ونظام (باباس - -Blind Approach Beacon System BABAS) لمساعدة الطائرات على الهبوط بسلام على مدارجها ليلاً. تعد (أنظمة وأجهزة الهبوط الحديث - Instrument Landing System - ILS) المستعملة اليوم من قبل كافة الطائرات تطويراً حديثاً لما سبق.

4 - البنسلين: اكتشف الطبيب الجراح وعالم الأحياء والصيدلاني الأسكتلندي (ألكسندر فلمنج) هذا المضاد الحيوي الشهير في عام (1928) ولكن لم يتمكن الطبيب والصيدلاني الأسترالي (هاورد فلوري) وفريقه من إجراء تجاربهم السريرية واكتشاف مفعوله الحقيقي حتى حلّ عام (1939)، الأمر الذي أهلهم لاستلام جائزة نوبل في الطب وعلم وظائف الأعضاء لعام (1945). لقد اتخذت وزارة الدفاع الأمريكية قرارها بتوزيع البنسلين إلى كافة قوات الحلفاء المنتشرة في أوروبا، وما أن أقبل عام (1944) حتى كان مجمل الكميات المُنتجة منه قد بلغت الـ (2.3) مليون جرعة كان لها الفضل في إنقاذ ما بين (12 - 15%) من مجمل الإصابات.

5 - الزيت والمطاط الصناعيين: لقد دفع النقص الحاد في توفير وإمداد المحروقات والوقود للجيوش النازية ألمانيا دفعاً إلى استنباط بدائلها عن ذلك، الأمر الذي أدى إلى استمرار تحليق طائرات الرايخ الثالث وإلى إطالة زمن تلك الحرب. كما تمكن الأمريكان من جانبهم من اختراع عدة أنواع من زيوت الوقود الصناعية واستعملوها بكثرة في قواتهم الجوية ولاسيما بعد إثبات كفاءتها في سرعة إدارة المحركات المزوّدة بها شتاء.

6 - الرادار: تمكن عالم الفيزياء الألماني (هنريخ هرتز) في (1886) من إثبات قابلية الموجات الراديوية على الارتداد والانعكاس عند ارتطامها بالأسطح المعدنية والمواد الصلبة الأمر الذي مهّد للدراسات والأبحاث التي أثمرت اختراع (الرادار) وأجهزة الطبخ بـ(الموجات الميكروية). كان قد أُشيع قبل الحرب بزمن عن تطوير العالم الألماني (نيكولا تسلا) لما وُصف بـ(أشعة الموت) التي أكد اختصاصي الأشعة الراديوية البريطاني (روبرت

ساهمت الاختراعات والمبتكرات العلمية التي تمت خلال الحرب العالمية الثانية في دفع عجلة التقدم العلمي إلى الأمام



بسبب الحرب العالمية الثانية تم ابتكار أول جهاز حاسوب بالمفهوم العلمي الحديث

واتسون واط) ضعف احتمال وجودها، إلا أنه أشار إلى احتمال استخدام تقنيتها للكشف عن الأجسام الصلبة عن بعد. أثبتت تلك الفكرة جدواها بالتحقق من توثيق مرور إحدى القاذفات البريطانية ما بين برج محطة إذاعة الـ (بي.بي.سي) وأحد أجهزة الاستقبال. أما من أطلق اسم (الرادار) على هذا الجهاز فكان الأمريكان الذين سكّوا اسمه كناية عن (اكتشاف وجود الأجسام - عن بعد - باستخدام الأشعة الراديوية - Radio Detection and Ranging).

عم استعمال الرادار اليوم ليشمل الآلاف من الأجهزة والمعدات العسكرية منها والمدنية والمستعملة في تحذير الطائرات من العوائق الطبيعية وتحديد ارتفاعاتها عن الأرض وتحذير السفن لتلافي الاصطدام بالعوائق المائية، ولرجال الشرطة لتحديد سرعات المركبات.

7 - صواريخ (ف2 - V): لقد كان (لهتلر) سلاح طائر آخر (بجانب الطائرات والمناطيد)، ذلك السلاح الذي كلف الحلفاء ما يقارب الـ (2500) قتيل، والألمان (2000) ضحية خلال تجاربه وتصنيعه، ولكنه وحده الذي مكّن الإنسان من وضع قدمه على سطح القمر والتمكّن من استعمال (أنظمة التموضع الكوكبية - Global Positioning System)، والاستفادة من (خرائط جوجل - google Maps) واتصالات (الأقمار الصناعية) وحيازة (الصواريخ البالستية عابرة القارات).

كان الحدث (فون براون) قد بدأ لعبه وتجاربه لصنع (صواريخه الخاصة) في وقت مبكر في حياته، ثم توجها بصنع (ف1 - 1V) التي كانت عبارة عن قذيفة بدائية، طوّرها إلى الجيل الثاني منها (ف2 - V2) التي مثّلت سلاحاً متطوراً وفعالاً بحق، نال الإعجاب الذي استحقه. لقد كان لأول سلاح بالستي من هذا النوع إمكانية حمل شحناته التفجيرية إلى ارتفاع (60) ميلاً، ودفعها لمدى فاق الـ (200 - 225) ميلاً بحيث كان بإمكانها أن تدك (لندن) بعد ما لا يزيد عن (3) دقائق من إطلاقها من هولندا.

يكفي ل (ف2 -V2) فخراً أن يكون الجد الأول لكافة أنواع الصواريخ الحديثة وكافة المركبات المماثلة التي وضعت القمر الصناعي الروسي (سبوتنك) في عام (1958) في الفضاء، وأوصلت أول أمريكي، وهو (نيل أرمسترونك) عام (1961) إلى القمر.

8 - المحركات النفاثة: لم تعر الحكومة البريطانية أي اهتمام يذكر لجهود (السر فرانك وتل) عند اختراعه للمحرك النفاث لأول مرة رغم عمله على ذلك منذ عام (1937) وظلت تجارب تطويره محدودة، ولكن الفضل يعود للألمان في دفع تقنيته إلى الأمام قبيل هذه الحرب وخلالها، الأمر الذي مكّنهم من وضع المقاتلة النفاثة الألمانية من نوع (ماسترخت - M 262) في الخدمة لأول مرة والتي بزّت مقاتلات الحلفاء ذوات الدفع المروحي الاعتيادية من حيث السرعة وحريّة المناورة في الجو. دخلت هذه الطائرة الخدمة خلال عام (1944) وادّعى طياروها بأنهم تمكنوا من إسقاط (5) أضعاف ما فقدوه



منها.

استمر الألمان في جهودهم لتطوير محركات مقاتلاتهم النفاثة حتى تمكنوا من إنتاج القاذفة (أرادو - Ar 234) التي كانت آخر نوع من القاذفات النازية التي دكّت بريطانيا خلال شهر (نيسان - أبريل) من عام (1945) قبيل انتهاء الحرب. لقد كان من المستحيل تقريباً اعتراض هذه القاذفة بالنظر لسرعتها على الرغم من محدودية استخداماتها. استمرت أبحاث المحركات النفاثة في التقدم حتى تم إنتاج محرك المقاتلة النفاثة من نوع (هينكل - He 162) ذات المحرك الواحد قبيل انتهاء الحرب. أما ما قام به البريطانيون من جهود في هذا المجال فقد تمخّض عن إنتاجهم لمقاتلتهم النفاثة من نوع النيزك الساطع - Gloster Meteor التي كانت قد رأت النور عام (1944) بالاعتماد على جهود شركة (القدرات النفاثة - Jet Power Inc.) لمالكها (السر فرانك وتل) سالف الذكر. لقد كانت المهمة الأساسية التي أسندت لهذه المقاتلة هي إسقاط القنابل الطائرة الألمانية من نوع (ف1 - V1)، ولكنها سرعان ما مُنعت من الخدمة نهائياً خوفاً من احتمال وقوع واحدة منها بيد الألمان والتعرف على أسرار صنعها.

9 - القدرة النووية: لقد عُرفت جسامة الطاقة المُدّخرة في الذرّة منذ زمن بعيد نسبياً، إلا أن بداية سباق التطوير الفعلي لهذه القدرة والتوصل إلى استخدامها لم ير النور إلا خلال الحرب العالمية الثانية حينما توصلت الولايات المتحدة الأمريكية إلى هدفها من خلال تحقيق (مشروع منهاتن - The Manhattan Project) الذي توصل إلى إنتاج أول قنبلة ذريّة في التاريخ.

لا داعي للخوض في كيفية دخول الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الصراع العالمي إثر خسائرها المروّعة بعد تجرؤ اليابانيين على قصف ميناء (خليج اللؤلؤ - Pearl Harbor)، فما يهمنا هو قرار إلقاء القنبلة الذرية الأولى التي كان اسمها السري (الولد الصغير - Small Boy) على مدينة (هيروشيما) اليابانية في صباح يوم (6 آب - أغسطس عام 1945) من على ارتفاع (33000) قدم، مخلفة دماراً شاملاً في دائرة نصف قطرها ميل واحد مع أضرار وحرائق هائلة على مساحة (11) كيلو متر مربع. بلغ عدد القتلى من جراء عصفها وكرة النار التي ولدتها (70000 - 80000) شخص. أعقب ذلك بثلاثة أيام إسقاط القنبلة الثانية التي كان اسمها السري (الرجل السمين - The Fat Man) على مدينة (ناكازاكي) وبلغ عدد القتلى فيها ما بين (150000 إلى 240000). لم ولن يمكن إنكار فاجعة السلاح الذري والخطر المحدق بالبشرية من احتمال انتشاره، ولكن لا شك بأن ذلك الاكتشاف كان قد مهّد لولوج عالم الذرة وما له من مزايا الأمان والنظافة في توفير احتياجات البشرية من الطاقة اللازمة لتوليد الكهربائية الضرورية لدفع عجلات صناعته وتقنياته إلى الأمام، ناهيك عن فتحه لأفق عالم (النظائر - المشعة والمستقرة) واستعمالاتها اللامحدودة في العلوم والطب.

10 - الأجيال الأولى من الحواسيب: دأب الألمان على

بداية سباق التطوير الفعلي للقدرة النووية والتوصل إلى استخدامها لم ير النور إلا خلال الحرب العالمية الثانية

(تشفير) كافة مراسلاتهم وخطاباتأوامرهم العسكرية أثناء الحرب، الأمر الذي أوجب استحداث أنظمة متكاملة من قبل الحلفاء لفك ألغازها، الأمر الذي منحهم الأولوية ومكّن الفريق العبقري المختص الذي أوكلت إليه تلك المهمة من ابتكار أول جهاز حاسوب بالمفهوم العلمي الحديث. كانت المهمة الأساسية لـ (بلتشلي بارك - **Bletchley Park**) وهو اسم المبنى الرئيس (لمدرسة التشفير والتمويه بالحكومية البريطانية) هي فك شيفرات الأوامر العسكرية الألمانية التي كانت تتم بواسطة جهاز تشفيرهم المسمى (إنيكما - **Enigma**) وذلك بتطوير جهاز فك تشفير مضاد أُطلق عليه اسم (بومبي - **Bombe**). ساهم (بومبي) في فك أسرار الشيفرة التي أوجبها ابتكار الألمان للجهاز الأكبر حجماً والأكثر تعقيداً والأكثر أهمية والذي أُطلق عليه اسم (جهاز تشفير لورنز - **Lorenz Cipher Machine**) الذي استخدمته القيادة الألمانية العليا لبث رسائل غاية في السرية.

ما يهمنا في الأمر أن (بومبي) كان قد استخدم المبدأ الثنائي أي (الصفر 0 والواحد 1) ووضع رمزاً لكل حرف من الحروف الهجائية يتكون من (5) وحدات منهما، وهو ذات المبدأ الذي يستخدمه نظام التشفير الحديث و(المبدأ الثنائي - **Binary System**) هو عين ما يقوم عليه نظام برمجة الحواسيب الحديثة اليوم.

11 - العلاج الكيمياوي للأمراض السرطانية: يعود فجر أسلوب هذا العلاج لاستعمال الألمان للأسلحة الكيميائية خلال الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918)، ولاسيما (غاز الخردل - **Mustard Gas**). أدت الغارة الألمانية في (2 كانون أول - ديسمبر عام 1945) على ميناء (باري - **Bari**) الإيطالي المكتظ بـ(30) سفينة للحلفاء إلى إغراق (17) من ضمنها السفينة الأمريكية (جون هارفي - **SS John Harvey**) التي كانت محملة بـ (100) طن من قنابل (المادة السرية الجديدة) التي انفجرت إثر الغارة. أدى الحادث إلى إصابة المئات، توفي منهم الكثير فكانت البادرة لإطلاق استعمال الأسلحة الكيميائية من جديد في هذه الحرب. أرسل خبير هذه الأسلحة الدكتور (ستيوارت فرانسس ألكسندر) لتقييم الحادث فوجد بعد فحص دم المصابين وتشريح جثث الموتى ضموراً شديداً في أعداد الخلايا اللمفاوية في الدم والغدد. استنتج في تقريره التأثير المثبط لهذا الغاز على تلك الخلايا التي تمتاز بانقسامها السريع، وكان أول من اقترح احتمال استعماله لعلاج سرطاناتها. قام (كودمان وكلمان) لاحقاً بإجراء تجاربهما على الفئران باستحداث (السرطان اللمفاوي) فيها، ومن ثم معالجتها بعقارات (الخردل) وسجلا نجاحهما، ثم تعاونا مع الجراح (جوستاف لندسكوك) على حقن أحد مرضى (السرطان اللمفاوي من غير نوع هودجكن) بـ(المستن - **Mustine**)، وهو أحد مشتقات (نتروجين الخردل) الدوائية ومن أوائل العقارات الكيمياوية المضادة للسرطان، ولاحظا تقلص الأورام السرطانية بصورة ملفتة للغاية فكانت تلك بشارة الأمل في إمكانية استخدامه كمستحضر صيدلاني لمعالجة هذا المرض.

12 - التجارب الطبية النازية على البشر: لقد قام الأطباء الألمان خلال هذه الحرب بالتجارب الطبية على أعداد كبيرة من أسرى المعتقلات النازية الهتلرية من الأوروبيين من مختلف النحل وعلى أسرى الحرب من الروس واليهود ومن الغجر وعلى المعوّقين من الألمان أنفسهم أيضاً. امتازت تلك التجارب بالقساوة واللاإنسانية وأمكن تصنيفها من وجهة النظر الألمانية إلى أربعة أقسام حسب أهدافها المعلنة، وهي:

أولاً: التجارب التي من شأنها مساعدة جنود وأفراد القوات النازية الهتلرية على الصمود والمطاولة في جبهات القتال.

ثانياً: التجارب المُصمَّمة لاختبار وتطوير المواد الصيدلانية لعلاج مختلف الإصابات والأمراض التي من الممكن أن يتعرض لها الجنود في ساحات الوغى أو في الخطوط الخلفية.

ثالثاً: تجارب تحسين وتطوير العرق الألماني (الآري) وفق الأيديولوجية النازية حينذاك، ومنها إجراء التجارب على التوائم بخياطتهم ببعضهم البعض وبتبادل زراعة الأعضاء والأنسجة بينهم وبحقن مختلف الأصباغ في عيونهم بغية تغيير ألوانها.

رابعاً: سلسلة من تجارب الإخصاء والتعقيم الجنسي اللاإنسانية لغرض طوير أفضل السُبل وأرخصها وأسرعها للتخلص من الأجناس غير المرغوبة بتكاثرها لأسباب عرقية.

لقد ساهمت الاختراعات والمبتكرات العلمية التي تمت خلال هذه الحرب، في دفع عجلة التقدم العلمي إلى الأمام، في حين لم تُفلح التجارب الطبية (النازية) على البشر فيها إلا لإثبات قسوته ولا إنسانيته.

وضعت على إثر التجارب الألمانية (مأساوية الطابع) اتفاقية تقنين التجارب الطبية على الإنسان عُرفت باسم اتفاقية (نورمبرغ) للأخلاقيات الطبية وضوابط إجراء التجارب الطبية على البشر، وتعتبر أصل كل ما تلاها من ضوابط وقوانين في هذا الميدان.

بشرى

خالد برية: اليمن

كنت أسير وحدي، أقلب أفكاري وأتصارع معها، أغلبها تارة وتغلبني، كنت موغلاً في التفكير، مبتلى بهمومي وهموم الآخرين، في المسير وحدي أشعر بهدوء يهذب أفكاري، ويهدئ من اضطراب خواطري وهواجسي.. أثناء المسير وجدتني أقف فجأةً! وقد كنت أحث السير للعودة إلى المنزل قبل حلول الظلام، باتت المدينة مسلخاً لأرواحنا، وبات الظلام يتلذذ بإغراقنا وسلبنا كل حقوقنا للعيش بكرامة.. توقفت وأمعنت النظر في الرجل الذي يقف في الجهة المقابلة أمام بائع الكتب الذي يفترش الأرض منذ سنين، كمكتبة هوائية يتخلص فيها من قيود الحيطان والنمطية التي تفرضها ساعات البقاء في مكان واحد.

كنت مذهولاً من رؤية (هلال) منكسر الخاطر، مهيض الجناح، ممتلئ بالحزن، وهو الرجل الذي لا تفارق الابتسامة محياه، دس في جيبه شيئاً من النقود ومضى!

لم أمتلك شجاعةً لأناديه، مضيت مسرعاً لبائع الكتب كالملهوف، صببت عليه عشرات الأسئلة، وكانت له بي معرفة. قال لي: من كان يظن أن هلال الكتب تأتي عليه لحظات يبيع فيها فلذة كبده، ومهجة فؤاده، إنه الزمن الرديء الذي نعيش فيه، إنه الزمن الرديء!

كنت في حال من الألم لا يوصف، جعلت أقلب كتبه صفحة صفحة، كان يقابلني في الصفحة الأولى شعاره الموسوم في كل كتبه: من مكتبة الفقير إلى الله هلال الكتب، عفا الله عنه..! لم أعد أقوى -في تلك اللحظة- إلا على البكاء، كنت أبكي هلالاً وكتبه التي ملأت تلك البقعة المعدة لعرض الكتب، أبكي الجاحظ والتوحيدي وابن تيمية والغزالي والجرجاني والمتنبي، كنت أبكي اللغة والفقه، والحديث والشعر والأدب والفلسفة والمنطق والسياسة والتربية.. كنت أبكي مئات العناوين التي احتفظ بها لعشرات السنين وجمعها كلؤلؤ مكنون، وكان بها ضنين، واليوم تعرض على الأرصفة بأزهد الأثمان!

في صباح اليوم التالي ذهبت إلى منزله للقائه، فأخبرني أحدهم أنه في المستشفى مع زوجه التي تخضع لعملية قيصرية، يممت وجهي نحو المشفى، ذهبت أسأل عنه، فأخبرت بمكانه، كنت أسير إليه وأنا في حرج بالغ من رؤية الهلال وقد تلاشى، وجدتني أقف في بداية الممر المؤدي لغرفة العمليات، خرج هلال ورآني، فبكى، كان يرى فيّ كتبه التي بيعت، كنت أناديه هلال الكتب، ويناديني بسراجها، أحتضنته وهو يجهش في البكاء، قال لي: لم أعد بعد اليوم إلا هلالاً فقط..! بعت حياتي ومهجتي يا سراج، لم أقوَ أن أرى زوجتي تموت، ولم أحتمل ذل الدين الذي أنهك ظهري.. كنت أود أن أكون قوياً رغم الألم المسيطر على كياني، رغم البلل المستوطن في عيني، رغم الإقصاء الذي آلمني، رغم الضعف الذي يعتريني، الضعف الذي قررت أن لا يعلم أحد عنه شيئاً!

قلت له: ليس عيبك ولا ذنبك يا هلال، وإنما عيبنا وذنبنا أن أشحنا بوجوهنا عن حاجتك في وقت غاب فيه الهلال، وكسر فيه القلم، وغابت المبادئ، واختل ميزان العدالة، وتوارى العلم، وبرز الموت وحاملوه!.

أبشر يا هلال الكتب:

فمهجتك وحياتك تزف الآن لمنزلك، فقد عادت إليك..

لم ينهِ سراج بشراه لهلال إلا وصوت الممرضة يزف البشرى بمولودة جميلة تملأ الحياة حياةً.. بكى هلال فرحاً وقال:

حمداً لله على السلامة يا أم بشرى.

من خصائص الملك عبدالعزيز التاريخية 2/2

تباريح



أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري

قال أبو عبدالرحمن: دارس التاريخ بحل وحرية في أن ينظر إلى عبدالعزيز باديئ ذي بدء على أن باعث حركته هموم فردية، ونفع شخصي؛ لأنه خرج من رقعة ذات تاريخ جهوري يديرها أجداده بالتتابع إلى عهد جده القريب فيصل بن تركي رحمهم الله تعالى؛ فعمه عبدالله، فعمه سعود، فأبوه، وأبناء عمه سعود.. خرج من هذا العز الباذخ، والمجد الشامخ مجرداً مسلوباً لا يملك قوت يومه.. ليس على الدارس أن يشعر بهذا الشعور ما دام عبدالعزيز غادر بلاده في هذا المناخ التاريخي، وما دام تغيير هذا المناخ هو مطلبه.. إلا أن الواقع أثبت أنه ذو هم جماعي يعم كافة أبناء جزيرة العرب؛ بل جميع إخوانه المسلمين؛ والبرهان على ذلك أن حركة عبدالعزيز جهاد استمر نصف قرن، ويصحب كل نصر جزئي تغيير وإصلاح، ثم بعد الجهاد المستمر استقرت الأوضاع على نفع جماعي، وإزالة هموم اجتماعية؛ إذن انكشفت النية بأنها بريئة من كل نزعة أنانية، وكثيراً ما ردد عبدالعزيز المثل العامي المشهور: (السيرة تبين السريرة)؛ ومن بيان السريرة ما ذكره معالي الدكتور عبدالعزيز الخويطر.. قال رحمه الله تعالى عن أسباب حب الرعية لعبدالعزيز: (أما حب شعبه له فمن منطلق اعترافهم بالفضل الذي ساقه الله لهم على يديه؛ فأمنوا بعد الخوف، واغتنوا بعد الفقر، وتعلموا بعد الجهل.. ولقد آخى رحمه الله تعالى بينهم بعد أن كانوا متناحرين، وقرب بينهم بعد أن كانوا متباعدين، وجعل منهم أمة واحدة متماسكة.. أحبه أولئك الذين عاصروا عهد الخوف وانعدام الأمان؛ ذلك العهد الذي كان لا يستطيع فيه المرء الانتقال من بلد إلى بلد إلا تحت راية حرب، ولا يسلم فيه بلد من غارة قوي على ضعيف في اجتياح يأكل الأخضر واليابس دون خوف من الله ولا وجل؛ وكان هذا بسبب ضعف الحكم المركزي، وتقسيم المناطق إلى قوى مفتعلة أنهكت الناس، وأرعبتهم، وأيأستهم من حياة هانئة كريمة؛ ولهذا لما نصره الله، وأخذ بيده، ورأوا ما كسبوا على يده: أحبوه، واستماتوا معه في سعيه لإقرار الأمن، وزرع الطمأنينة، والقضاء على الفوضى التي كانت سائدة، والحياة المزرية التي كان يحياها الناس.. ومن أراد أن يعرف ما كانت عليه الحال في تلك الحقب السوداء، والأزمان الداكنة: فليرجع إلى كتاب الكاتب المعروف محمد بن عبدالله بن بليهد.. (صحيح الأخبار 5 / 272 فما بعدها.. الخويطر)؛ ففيه ثلاث مذكرات، وسيرى نموذجاً مختصراً لتلك الحياة التعسة التي كان الناس يحيونها في ظل الفوضى، واختفاء الأمن، والعبث السائد، وعدم وجود حكومة مسيطرة حكيمة).. (يوم وملك ص142 – 144).

قال أبو عبدالرحمن: وعن هذه الحالة قال الدكتور نفسه: (وكان الأمان مفقوداً داخل المدن، والطرق مخوفة، وكان المسافرون لا يسافرون إلا جماعات خوفاً من سطوة القبائل، وتعديهم.. وكان من يحج ويعود يعتبر مولوداً جديداً.. (هذا التفات إلى وصف العرب البحر بأن داخله مفقود، والخارج منه مولود)؛ لأن السرق والنهب متركز على طريق الحاج، وتكاد تكون حياة أهل الصحارى التي يمر بها الحجاج قائمة على نهب الحجاج وسرقتهم؛ حتى أن.. (قال أبو عبدالرحمن: همزة (أن) مفتوحة؛ لأن ما قبلها حرف جر يعني بلوغ الغاية) أمير الحاج يأتي معه بسرية مستعدة، ومع هذا فأطراف القافلة لا تسلم من النهب والاعتراض، وكانت الحال الاقتصادية في وضع سيئ؛ لعدم انتظام تبادل السلع، وبيع المحصول.. وكان المحصول نفسه يتعرض للأذى؛ نتيجة الوقائع التي تقوم بين البادية والحاضرة، وبين الحاضرة أنفسهم؛ مما جعل الناس في شظف من العيش يبحثون عنه في أبسط صوره، وكثرت الهجرات إلى الهند والعراق والشام؛ لطلب الرزق، والبحث عن الأمان والسلامة أحياناً.. واقتصر التعليم على أبسط صوره من التعليم الديني، ولم يكن الوقت يسمح بالتعمق فيه إلا لأفراد قلائل.. كانوا سرج المجتمع في ظلمة كانت مسيطرة، وكان طالب العلم يرحل بعيداً عن وطنه طلباً للعلم، وبحثاً عن مظانه..

يتحمل المشاق والغربة في سبيل ذلك) (يوم وملك ص **148 – 149**).. وقال عن دوره رحمه الله تعالى في حماية الرعية من الأذى: (كان يحمي الرعية من الأذى، ويأخذ على يد العابث، ويزن ظرف المذنب معه.. (قال أبو عبدالرحمن: كلمة (معه) فضول لا داعي لها) قسوةً وليناً؛ وقد يتساهل إن كان الأمر دون الأذى العام، ودون حدود الله، ويتشدد إذا خشي أن يكون الذنب ظاهرة ربما تتفشى، أو أن التساهل قد يغري بالاقتداء السيئ، أو التمادي في هذا الجانب، ويهتم لأمر يظنه غيره صغيراً؛ لأنه مسؤول يدرك ما لا يدركه غيره؛ ويغض النظر عن أمر يعجب من حوله؛ لتجاهله له.. (قال أبو عبدالرحمن: الصواب: بتجاهله إياه)) (يوم وملك ص**66 – 67**).

قال أبو عبدالرحمن: ومن نماذج إصلاحه على الرغم من ضيق ذات اليد، وشح الموارد: ما تحدث به الدكتور عبدالله محمد المكي صاحب ومدير جريدة (صوت الحق) في (بومبي)، ومؤلف كتاب (تاريخ الهند العام).. قال: (وقيض الله لنا نحن في الحجاز حضرة صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز الفيصل آل سعود؛ فسار بالأمة العربية سيراً حكيماً، وتمكن بتوفيق الله تعالى من تقليص ظل كثير من الخرافات والبدع في المملكة العربية السعودية، ونشر لواء العدل والأمان في طول البلاد وعرضها، ونال شرف خدمة الحرمين الشريفين.. (قال أبو عبدالرحمن: والآن أصبح أول لقب رسمي لملوك آل سعود منذ الملك فهد إلى الآن)، وأرسل البعثات العلمية إلى الخارج بقدر ما سمحت به الظروف، ورجع بعضهم يحمل شهادة الكفاءة والنجاح؛ وهذا مما يشرح الصدور، ويسر خواطر المسلمين أجمعين.. ووجه عنايته الكبرى نحو توفير الراحة لوفود بيت الله الحرام، وزوار مسجد المصطفى عليه أفضل التحية وأزكى السلام؛ فأقام لهم وسائل الصحة، ومظلات تقيهم الحر والبرد أثناء الطريق، ووفر لهم الماء، وجعل لهم مراكز لإسعاف المرضى بالأدوية الضرورية مجاناً، ووضع نظاماً خاصاً للمطوفين وما يتبعهم؛ تعميماً لراحة الحجاج.. ونحن حديثو عهد بما كانت عليه الحال في الحكومات السابقة؛ وكانت الفوضى مضرب المثل في الحجاز؛ فصلحت الآن بقدر ما تسمح به الحال، وأصدرت حكومة جلالته رسالة طبعتها بمكة المكرمة بأغلب اللغات الشرقية؛ وهي بمثابة دليل للحاج يجد فيها كل ما يحتاج إليه أثناء إقامته بالحجاز؛ وهذه مأثرة جليلة لها قدرها).. (مجلة الفتح العدد **327** في **15 / 9 / 1351**هـ ص**11** و**14**).. وقال الدكتور محمود بك حمدي حمودة (الذي سمته مجلة الفتح وزير الصحة بالحجاز) في حديث صرح به لجريدة الأيام الدمشقية.. وقد زار وطنه دمشق، وسألته عن الأوضاع الصحية في الحجاز؛ فقال: (دخلت جيوش جلالة الملك عبدالعزيز السعود الحجاز، وكنت مع الجيش الفاتح؛ ففوض جلالته إلي الإشراف على إدارة الصحة والإسعاف؛ فوجدت أن البلاد بحاجة إلى كل شيء، وليس هنالك عمل إلا الجزئي البسيط.. وكان في مكة مستشفى فيه عدة غرف من الورق استحضر في زمن مدير الصحة الحجازية أيام الترك (قاسم بك عز الدين)؛ وهي لا ترد حراً، ولا تدفع قراً، وينقصه.. (يعني المستشفى المذكور آنفاً) شيء كثير من الأدوات والآلات الفنية والأسرة للمرضى والأبنية اللازمة؛ فكان أول ما انصرفت العناية إليه زيادة الأبنية؛ لإيواء المرضى من الحجاج وأبناء البلاد، وتوفير الآلات والأدوات الفنية المطلوبة، واستحضار العقاقير والأدوية اللازمة، وإنشاء الفروع الضرورية لمختلف الأمراض.. (قال أبو عبدالرحمن: رجحت أن (زيادة) وما بعدها هن الخبر؛ لأنه قال: (فكان)، ولم يقل: فكانت)؛ وكان الحجاز حتى ذلك العهد لا يعرف البلاط المصنوع؛ بل إن أراضي الغرف جميعها من الطبطاب المصنوع من رماد قصر الملك؛ وهذا لا يصح أن يكون في مستشفى أو غرفة جراحية على الأخص؛ فاستحضرنا معملاً خاصاً لصنع البلاط، ورصفنا به جميع الغرف القديمة والمستحدثة، ووسعنا المستشفى

ببناء جناح كبير فيـه، وإزالة جميع الغرف التي كانت مبنية من الكرتـون.. وكاد يتم الآن الجناحـان اللذان تبرع بإنشائهما على الطراز الفني الحديث الثري المعروف الحاج (مصطفى بك عز الديـن) أحد أعيان طرابلس الشـام، وخصص أحدهما بسبعة (من) أشعة (رونتكن **x**)، وما يتعلق بها.. (قال أبو عبدالرحمن: الأشعة السينية بالإنجليزية: **X ray**: هي أشعة كهرومغناطيسية ذات طـول موجي (بين **10** و**0.01**) نانومتر، أي أن طاقة أشعتها بيـن **120** و **120** ألـف إلكترون فولت.. تستخدم بشكل واسع في التصويـر الشعاعي وفي عـدد من المجالات التقنيـة والعلمية؛ وقد اكتشفها العالم الألمانـي (وليام رونتجن) عام **1895**م في جامعة فورتسبورغ، ونال عنهـا جائزة نوبل في الفيزياء في عام **1901**م.. قـال أبـو عبدالرحمن: وأبناء عدنـان ويشجب ويعرب يكتشفون كل يوم بحـراً للشعر جديداً، الطريقة الجديدة لصنع وجبة أكل لذيـذة!!)، وخصص الجناح الثانـي لشعبة الجراحة والأمراض النسائية.. ووضعنا أساساً لمستشفى كبير في ظاهر مكة، وفـي أفضل مكان مـن الناحية الصحية وجـودة المناخ.. (النقطتان الأفقيتين (..) لاستئناف الكلام، وشغل بقية السطر بدلاً من ختمه بنقطة وابتداء سطر جديد؛ فيكون في الصفحات فـراغ في السطور يشوهها)، وإني أؤمل أن يكون هذا المستشفى هو المركز الرئيس لجميع مستشفيات الحكومة في المستقبل.. وكان للحكومة في منى وعرفات مستشفى: واحد صغير وقديم.. (الأفصـح: وآخـر قديم) من بقايـا عهد الترك يتخـذ مركزاً؛ ليداوي المرضى من الحجاج، وللأعمال الصحية: فقمنا بإنشاء مراكز صحية تبدأ في مكة، وتنتهي في عرفات؛ وهـذه المراكز صنعـت من الخشب؛ ليجد الحجاج مـا يستظلون به من الحر.. وفي كل مركز طبيب وممرضـون والعقاقير اللازمة للإسعافات الضرورية، كما يجد فيها الحاج الماء الكافي يبل به غليله؛ وكل مركز من هـذه المراكز يقوم بعمل صحي كامل؛ وبهذه الوسيلة (بعد الله) أصبح الحجاج يستفيدون من مراجعة الطبيب حالاً، وتستفيد إدارة الصحة من الاطلاع على حالة الحجيج الصحية، وعلى كل ما يحدث من الوقائع الصحية كضربات الشمس وسواها بين مكة وعرفات، ويبلغ عدد هذه المراكز ثمانيةً يبدأ العمل فيها مـن السادس من ذي الحجة حتى آخر موسم الحج.. وجعلنا في عرفات نفسها مركزاً صحيـاً كبيراً مجهزاً بالأطباء والصيادلة والممرضين وجميع العقاقير؛ وهذا المركز يرسل هيئات صحية لمراقبة الحالة في مخيم الحجاج، وإجراء الإسعافات الواجبة.. وفـي مكة مستشفى غير المستشفى المركزي يسمى (مستشفى القبـان) أو (المستشفـى الأهلـي) يقوم بالخدمـات الصحية، ويكون فيه في غير الموسم طبيب وصيدلي وكل ما يحتاج إليه من الأدوية؛ وحباً لراحة الحجاج، ومنعاً للحوادث الكثيرة التي كانت تقع بين مكة وجدة، ولمـداواة البدو والأهلين في غير الموسم: قامت حكومة جلالة الملك ببناء مستشفى في (بحرة) يستوعب **50** سريـراً، وحفر فيه بئر مـاء تنضح ماءً عذبـاً غزيراً؛ وبهذه الوسيلـة (بعـد الله) أمكن إنشاء سبيل كثيـر لسقاية الحجاج، وغرس حديقة حول المستشفـى.. وفي جـدة مستشفى لا بأس به وبموقعه، وقد قمنا بترميمه وإصلاحه؛ ليكون كالمستشفيات الحديثة، وأسسنا فيه شعبة خاصة للجراثيم وأنواع اللقاح.. وفي جـدة أيضاً مصلحـة الصحة البحرية والكرنتينـات.. (قال أبو عبدالرحمـن: المحجر الصحي (الكرنتينـة) أو (الكورنتينة)؛ وهي تمنع اختلاط مرضى الأمراض المعدية بجمهور الأصحاء، ويجـري الحجر الصحي لمنع انتشار مرض معد إذا اشتبه في إصابة أحد أفراد مجموعة كالمهاجرين والمسافرين والحجاج بهذا المرض المعدي؛ فإذا ما تأكدت الإصابة عزلت المجموعة كلهـا، ومنع اتصالهـا بالنـاس.. ويجب أن يستمـر الحجر مدة حضانـة المرض.. وقد قال رسـول الله صلـى الله عليه وسلم: (إذا سمعتـم بالطاعون في أرض فلا تدخلوهـا؛ وإن كنتم فيها فلا تخرجوا منها)؛ وقـد كان يطبق الحجر الصحي على جميع القادميـن مـن البحر خاصـة من مناطـق الأمراض المعدية، وأمـام جدة جزيرة صغيرة هي (جزيـرة أبو سعد) فيها مصح كبيـر.. وقد ألفـت الحكومة هيئة صحية فنيـة عند استيلائها على الحجاز كشفت على هذا المصح، وشاهدت جميع نواقصه، وأمر جلالة الملك حالاً باستكمالها؛ وهـذا المصح مستعد أتم استعـداد في حالة ظهـور مرض من الأمراض السارية لإجراء جميـع الأعمال الفنيـة من تطهير وغيره مهمـا كانت؛ لأنه جهز بجميع الأدوات والآلات الفنية الحديثة.. وأقمنا مركزاً صحياً في (ينبع)، ومثله في (الوجه) شمالاً، وفي (القنفدة)، و(جيزان) من بلاد عسير جنوباً.. (قال أبو عبدالرحمن: إنما هي من بلاد المخلاف السليماني).. وفي (الطائف) مستشفى ومركز صحي يقوم بمداواة المرضى من الأهلين وإيوائهم، وبإسعاف الحجاج القادمين من اليمن.. أما المدينة المنورة ففيها مستشفى كبير، وأسسنا فيها مراكز صحية أيام زيارة الروضة النبوية المطهرة، وأسسنا أيضاً خارج المدينـة مركزاً صحياً للمراقبة إبان وجود حج بري.. أما نجد فأنا أول طبيب موظف أقام فيها، وفيها اليوم مراكـز صحية في الرياض والحسـا والقطيف.. هذا عدا البعثة

الطبيــة التــي ترافق الركب الملكي في تنقلاته فــي أنحـاء نجد، والأهلون يقبلون على التداوي أعظم إقبال).. (مجلة الفتح العدد 314 فــي 13 / 6 / 1351هــ صـ12 - 13).. وفي أحد تذييلات (كشــك) عزا إلى بعض الدراسات الحديثة الزعـم بأن بداية أمر عبدالعزيـز كانت بلا هدف ديني؛ بل لطلب ملك أجداده.. ثم عقب بأن عبدالعزيز اكتشف فيما بعد دوره الحقيقي.

قال أبو عبدالرحمن: يصح هذا الزعم لو لم يكن ملك أجداده هو أهــم أهدافه الدينيــة، ويصح هذا الزعم لــو أن عبدالعزيز اكتفــى بكرســي الزعامــة، وحكم حكمــاً عشائريــاً، وتخلى عن الأهــداف التي قام عليها امتداد تاريــخ أجداده.. ولقد وجد من الأبالســة العــوام من يشير علــى عبدالعزيز بــأن لا يعلم شعبه؛ حتى لا يطمح ويثور عليه؛ ليبقى الجهل والتخلف عامل خنوع كما حصل في بعض البلاد المجاورة.. ولكن عبدالعزيز في سباق مع الزمــن: يشفع كل نصر عسكري بتمدين للمجتمع، ونشر للتعليم علــى مختلــف مستوياته ومظاهره مــن الكتاتيب إلــى المدارس النظامية؛ بل كان يبعث لأهل القرى من يقنعهم بابتعاث أولادهم للتعليــم، وكان في أوقافه وأوقاف أجــداده ريع للتعليم؛ بل كانت دور الأيتام موجودة في عهد الإمام فيصل بن تركي رحمهم الله تعالى جميعاً؛ فلما أفاء الله عليه لم يجعل التعليم مجانياً وحسب؛ بــل وضع له الحوافــز والمغريات مادياً ومعنويــاً.. إن جهاده في فرض التعليــم علــى الأميــين العوام الذيــن يريــدون أولادهم للحــرف البدائيــة كان في مستوى جهاده العسكــري.. نضر الله ذلك الوجه، ورحم شيبته، ونوّر ضريحه؛ فلولا الله ثم عبدالعزيز لبقينا على حرف الآباء الساذجة، ولبقينا في ظلمة الجهل؛ فهل مــن شاكر أبوة هــذا الزعيم القائم لنا مقــام الأب والأستاذ؟.. كان في آخر حياته يدف على عربية وقد أولم لطلبة العلم، وكان يستقبلهم، ويسير معهم في عربيته إلى المائدة، وكان مما حفظ لي شيخي محمد بن عبدالرحمن بن داوود رحمه الله تعالى قوله: (يــا عيالي قمت إن شاء الله بما يجب علي، وأدى أباؤكم دورهم في الجهاد، وبقي دوركم أنتم في تحصيل العلم وتعليمه).. (قال أبــو عبدالرحمن: وكنت بصحبة ابن داوود رحمه الله تعالى عام 1383هــ بعــد وفاة الملــك عبدالعزيز بعامين؛ وكنــت ابن ستة وعشرين عاماً تقريباً)، ولا يخلو زعيم من مناوئ، ومن شانئ له بحق أو بباطل، ومن متقول عليه.. (قال أبو عبدالرحمن: لـما بعد المستثنى منه أصبح المستثنى مفصولاً عن المستثنى منه؛ وهذا يشبه الانقطاع؛ فناسبــت علامة الحذف والاستئناف؛ وهي:..) إلا عبدالعزيز؛ فلم يستطع أعداؤه وأعداء بيته وتاريخه وسلفيته أن ينالــوا جهــاده وبرنامجــه السياســي بكلمة تعيبــه؛ بل أذعن لإخلاص الثناء عليه كبار المثقفين كالعقاد وهيكل وكل من حج واعتمــر؛ لـمــا رأوا واقع حاله وحال رعيته؛ بــل حكم (وندربيل) بأن إنجاز عبدالعزيز هو النموذج الوحيد الذي تحقق في الواقع لكل دعاة القومية والوطنية، ولــكل رواد الجامعة الإسلامية، ثم الجامعة العربية.

قال أبو عبدالرحمن: هذا صحيح؛ فمثلاً مصر أوسع وأحفل بلــد بالزعامــات القومية والوطنيــة.. إلا أن وحــدة أرض مصر دولــة ووطنية لم تتغيــر.. كانت قطراً واحــداً، ودولة واحدة قبل النهضــات الوطنية والقومية؛ وعبدالعزيــز جاء ولم يكن الوطن واحــداً، ولا الدولة واحــدة، ولا التنميات قائمــة.. ودعك من أن تكــون منتظمة، فوحدهــا بدعايــة الإسلام؛ فتحققــت القومية والوطنيــة ثمرة ونتيجة؛ وكانــت المزايدة بالقومية والوطنية مع هــذا معدومة فــي كل أوجه إعلامه.. ولـما قســم (فيلبي) أدوار الدولة السعودية: ذكر أنها في عهد سعود الأول دينية بحتة، وفي عهــد الإمام تركــي سياسية بحتة، وفي عهــد الملك عبدالعزيز دينية سياسية.

قــال أبو عبدالرحمن: هذا تقسيم مــردود؛ فما السياسية في لحن (فيلبي) إلا الامتداد الجغرافي وتوحيد السلطة، وكل ذلك موجود بين مد وجزر في الأدوار السياسية لآل سعود.. وما الدين إلا حكــم الشريعة للحياة العامة، وصــدور الدولة عنه؛ من حيث تكــون جهاز حماية له، وتنفيــذ لبرامجه الحضاريــة؛ وكل هذا أيضــاً موجود فــي الأدوار السعودية بمقدار نفــوذ الدولة وقوتها وامتدادهــا.. لقد نقــل الدبلوماسي (باركر هــارت) وكيل وزارة الخارجية الأمريكية الأسبق، وأول قنصل أمريكي في الظهران قول الـملك عبدالعزيز لـه: (دولتنا قائمة على الإسلام، ولا شيء أهــم عندنا من عقيدتنــا وعاداتنا).. (الملــك عبدالعزيز رؤية عالميــة صــ 510 و511)؛ وإنما تميــز عبدالعزيز بميزة الجمع بين الحركتين؛ لأنهما استقرتا معاً في عهده وفي عقبه في عصر تواصلت فيه الدول، وكان للعالـم مواثيق دولية؛ ولأنه أراد أقصى ما يكون من الامتداد الجغرافي، وأقصى ما يكون من قوة ونفوذ، ووحدة السلطة للدين والدولة؛ واستقرار ذلك بحمد الله سبحانه وتعالى؛ فأتــم الله له ما أراد؛ وهذان الهدفان لا مطلب لأسلافه غيرهما إلا أن الرعوية لم تستقر؛ بل كانت في مد وجزر؛ وكانت سيــادة الدين والدولة ثابتة قائمة فيمــا في أيديهم من الرقعة.. وإلى لقاء إن شاء الله تعالى في الشهر القادم، والله المستعان.



الشعر الكردي بين القديم والحديث

سيبان حوتا: تركيا

في اللغة الكردية العديد من اللهجات أهمها الكرمانجية الشمالية والكرمانجية الوسطى والكرمانجية الجنوبية والكورانية. وتنقسم كل واحدة من هذه اللهجات الرئيسة إلى عدة لهجات محلية. اسم اللغة الكردية بلغة الكرد هي كرمانجي، وتنقسم الكردية إلى ثلاثة أقسام:

القسم (الأول) اللهجة الشمالية: وتعرف باسم الكرمانجية

القسم (الثاني) اللهجة الوسطى: وتعرف باسم السورانية

القسم (الثالث) اللهجة الجنوبية: وتعرف باسم الكرمنشاهية





لهجات الكرمانجية الرئيسة

الكرمانجية الشمالية:

وهذه اللهجة ينطق بها معظم الكرد في تركيا وسوريا وشمال كردستان العراق وأكراد خراسان والحدود الشمالية الغربية لإيران، وتنقسم إلى اللهجات المحلية التالية: البايزيدية، الهكارية، البوتانية، الشمدينانية، والبهدينانية.

وتجدر الإشارة إلى أن الأقاليم الكردية التي تتحدث بهذه اللهجات متصلة جغرافياً باستثناء الكرد في خراسان، وذلك لأنه تم ترحيلهم من كردستان إلى خراسان في زمن الملوك الإيرانيين. وعدد الناطقين بهذه اللهجة أكثر من عدد الناطقين بأية لهجة أخرى.

الكرمانجية الوسطى:

وجرت العادة على تسميتها خطأً بالسورانية نسبة إلى (إقليم سوران) الناطق بإحدى اللهجات المحلية للكرمانجية الوسطى، ويعود سبب ذلك إلى غزارة النتاج الأدبي الكردي بهذه اللهجة، وتنقسم الكرمانجية الوسطى إلى اللهجات المحلية التالية: الموكرية، السورانية، الأردلانية، السليمانية، والكرميانية.

يقطن الناطقون بهذه اللهجة إقليماً متصلاً في وسط كردستان العراق، وينقسم الناطقون بهذه اللهجة بين إيران والعراق.

الكرمانجية الجنوبية:

وتسمى اللورية نسبة إلى (إقليم لُرستان) الناطق بإحدى اللهجات المحلية لهذه اللهجة. تنقسم الكرمانجية الجنوبية إلى اللهجات المحلية التالية: اللورية، البختيارية، المامسانية، والكلهورية.

ويقطن الناطقون بهذه اللهجة في إقليم متصل، مقسم بين العراق وإيران.

اللهجة الكورانية:

تختلف هذه اللهجة عن باقي اللهجات بكون الناطقين بها مُبعثرين ولا يقطنون في إقليم متصل، فقسم منهم يقطن المناطق الواقعة قرب حدود انتشار الكرمانجية الجنوبية والوسطى والكرمانجية الجنوبية، قرب منابع نهر سيروان (ديالي)، وقسم منهم يقطن قرب حدود انتشار الكرمانجية الشمالية والكرمانجية الجنوبية، ويقطن قسم آخر منهم بين الرافدين الرئيسين لنهر الفرات في تركيا، كما يقطن قسم منهم في منطقة قونيا جنوب أنقرة، وهم يشكلون أغلبية الكرد في منطقة قونيا، تنقسم هذه اللهجة إلى اللهجات المحلية التالية: الكورانية الأصلية، الهورَمانية، الباجلانية، والزازائية.



الشعراء الكرد.. لمحة تاريخية

فقي تيران:

ولد الشاعر الكردي (فقي تيران) سنة 1302 في قرية (مسكي) التابعة لمنطقة (جولمرك) في تركيا حالياً، حيث اشتهر بأشعاره المدافعة عن الفقراء، ولم يكتب للملوك والأمراء. وكانت أشعاره منتشرة بين عامة طبقات المجتمع؛ لأنه يعتمد على لغة بسيطة وسهلة، كان يفهمها الجميع. كان فقي تيران في قصائده منفتحاً على الشعوب الأخرى أيضاً، حيث كان ينادي إلى المساواة والأخوة بين الشعوب. توفي فقي تيران سنة 1375.

الملا أحمد الجزيري:

عاش 1570 - 1640 ميلادي، وهو كاتب كردي وشاعر صوفي. ولد في جزيرة بوطان، جزيرة ابن عمر. وكانت إمارة بوتان الأكثر تأثيراً في تاريخ كردستان، في الوقت الحاضر تقع الجزيرة في مقاطعة شرناخ جنوب شرقي تركيا. وبسبب موقعها الجغرافي كانت مركزاً مهماً للثقافة الكردية، أنشئت فيها أول مدرسة للشعر الكلاسيكي الكردي في اللهجة الكرمانجية، والملا الجزيري هو الممثل الرئيس لهذه المدرسة، وهو ممثل للشعر الكلاسيكي الشرقي ككل.

في شعره ليست هناك حدود واضحة بين الحب البشري والإلهي. والقارئ غالباً ما يتساءل عمّا إذا كان شعره يقصد به محبة الله، أو سلمى - يقال إنها ابنة أو أخت أمير الجزيرة التي أتت بالنيران على قلب الشاعر.

كان مكانه المفضل لإنشاد قصائده مقبرة قريبة من الجزيرة، يتردد عليها الملا لإنشاد قصائده هناك، وتعرّفت امرأة لزمان ومكان الملا فكانت تذهب وتلصق عجينة الخبز على الشاهد الذي يتكئ الملا عليه آن إنشاده، هذا لأن درجة عشقه وولهه كانت تجعل الشاهد ساخناً ليكون ملائماً للصق الخبز عليه، هكذا تتداول قصته في مقدمة عمله الرائع (العقد الجوهري).

أحمد خاني:

شاعر وأديب كردي، وهو صاحب الملحمة الشعرية مم وزين، ويعتبر أحمد خاني واحداً من كبار الأدباء الذين أنجبتهم الأمة الكردية طوال قرون. ولد أحمد خاني في مدينة بايزيد الواقعة في كردستان تركيا سنة 1651، وتلقى خاني علومه الابتدائية في الكتاتيب والجوامع على أيدي شيوخ زمانه، ثم في المدارس التي كانت متوافرة آنذاك في المدن الكبيرة، مثل تبريز وبدليس، حيث ظهرت فيه علائم النبوغ مبكراً، وهو لم يتجاوز الربيع الرابع عشر من عمره. زار أحمد خاني مدناً كثيرة، مثل إسطنبول ودمشق،

كمـا زار مصـر أيضـاً، وكان خاني يتقن عدة لغـات كالعربية والفارسـية والتركيـة، بالإضـافة إلـى الكرديـة لغتـه الأم. وكانت تلك اللغات هي اللغات السـائدة في المنطقة، فانكب خانـي عليها جميعاً، وعرف معانيها، ثم التفت إلى الأطفال فوضـع قاموسـه الكردي/العربي الذي خصـهم به، وأسماه (الربيع الجديد للصـغار)، وذلـك عام (1094هـ - 1682م)، بهدف تسهيل عملية التعلم، وتذليل المصاعب فيها. توفي أحمد خاني في مسقط رأسه بمدينة بايزيد سنة 1707م

شيخموس حسن، جكر خوين:

هو شاعر كردي ولد في عام 1903 في قرية هيسار الكردية القريبـة مـن مدينـة ماردين التركيـة، داخـل الإمبراطورية العثمانيـة آنـذاك، والآن هـي في جنوب شـرق تركيا. في عام 1914، مـع بداية الحرب العالمية الأولى؛ أصبـح مع أسـرته لاجئيـن حيـن فـروا من بطش الأتـراك إلى مدينـة عامودا بالقـرب مـن مدينة القامشـلي، شـمال شـرقي سـوريا. درس جكر خوين اللاهوت، وأصبح رجل الدين في عام 1921. وفي عام 1946 انتقل إلى القامشلي. وقد اعتقل وسجن في دمشق في عام 1963 لنشـاطه السياسـي. وفي عـام 1969 انتقل إلى كردسـتان العراق، حيث شـارك في قيادة الانتفاضـة الكردية من قبل مصـطفى البارزاني. وفي عام 1973 ذهب إلى لبنان حيـث نشـرت لـه علـى نطـاق واسـع مـن الدعايـة مجموعته الشـعرية الأولـى (من أنا). وفـي عام 1976 عاد إلى سـوريا، ولكـن بعد ثلاث سـنوات، وعمـره 75 عاماً لجأ إلى السـويد، حيـث نشـر هناك عدة دواوين شـعرية، وقـد تُرجمت العديد من دواوينه إلى العربية. توفي في السويد سنة 1984، ودفن في مدينة القامشلي شمال شرق سوريا في باحة منزله.

الشاعر شيركو بيكه س:

ولـد فـي العـام 1940 بمدينـة السـليمانية، وهـو نجـل الشاعر الكردي الكبير فائق بيكه س الذي كان أحد الشعراء الكرد المشهورين والمناضلين الوطنيين.

انضـم إلـى الحركـة التحرريـة الكردية في العـام 1965، وعمـل فـي إذاعـة (صـوت كردسـتان)، كمـا التحـق ثانيـة بالثـورة الكرديـة عـام 1974، وبعـد انتكاسـة الثـورة أبعـده النظـام البعثي إلـى الأنبار، وبقي في ناحيـة بغدادية ثلاث سـنوات. عاش فـي المنفى من العـام 1987 إلى العام 1992، في السـويد، ثم عاد إلى كردسـتان في العام 1991، وانتخب في أغسطس 1992 نائباً في أول برلمان لكردستان العراق. تسـلَّم بعدها منصـب وزير الثقافة في أول حكومة تشـكَّلت في إقليم كردستان.

وقـد اختيرت قصـيدة له مـع نبذة من حياتـه، حيث تُدرس في كتاب عن الأنطولوجيا في كل من الولايات المتحدة وكندا للمرحلة الأولى من الدراسة المتوسطة منذ العام 1988.

أخـذ الشـاعر شـيركو بيكـه س دوراً بـارزاً فـي الأدب الكـردي الحديـث، وقـدم عنصـراً جديـداً فـي الشـعر الكـردي. ترجمـت أعمـال شـيركو بيكـه س إلـى اللغـة العربيـة والسـويدية والدانماركية والهولنديـة والإيطالية والفرنسـية والإنجليزية. في عام 1987، حصـل على جائزة (توشولسـكي) لنادي القلم في ستوكهولم، وفي العام نفسه حصل على جائزة الحرية من مدينة فلورنسا.

نشـر الشـاعر الراحـل باللغـة الكرديـة منـذ إصـدار أول ديـوان لـه عـام 1968، أكثـر من ثلاثيـن مجموعة شـعرية، وتضـم هـذه الدواويـن القصـائد القصـيرة والطويلـة والنصوص المسرحية والقصص الشعرية.

وفـي عـام 2001 منـح جائـزه بيـره ميـرد للشـعر فـي السـليمانية، وحصـل فـي عـام 2005 علـى جائـزة العنقـاء الذهبية العراقية.

توفي في العام 2014 في السويد.

من الشعر الكردي

من خلال السـطور التالية سـنحاول تسليط الضوء على قصائد عدة شعراء أكراد، ممن تقع مواطنهم ضمن أراضي الأكراد في سوريا، وهم:

من الشعر الكردي الحديث

حسن حليمة:

مـن مواليد عامودا 1975، يكتب الشـعر باللغة الكردية من بداية التسـعينات، يترجم من وإلى الكردية. مؤخراً بدأ العمل بإخراج الأفلام القصيرة في مدينة عامودا شمال شرق سوريا.

أحلام القش اليابس

هكذا، يعبق الريح برائحة خيال الغائبين

أحـلام القـش اليابـس ولـون التـراب، يمكثـان فـوق ظـل أشباحهم

يؤلمني الطوفان الجاثم فوق الأرض

صراع الطبيعة مع نفسها، توشَحت الجدران به

أغدو عبد صوت دمدمة أقدامهم

أخفي أمر اشتياقي لهم، بسيطرة الغرور علي

وددت الخيبة، لئلا التحق بالغائبين

آن اقترابهم من تذوق طعم هالة قمرهم

ظهـور أشباح بلا لـون، تنمـو في زوايا الأسـلاك الشـائكة،

تنتظر غيابها..
اصمتوا ما هذا الصوت؟
ليَنَم حبلُ الغياب
هكذا تفقد الخطوات نُبلها، رويداً رويداً
في ماء بريق العيون..
المسافرون والأشباح فيه مارون
يغسلون هيئتهم وخطاياي
أسترق النظر لما حولي، ربما أجدكم
عودوا، لقد اشتقتكم..

أردلان عبدو

من مواليد عامودا 1986، درس المرحلة الابتدائية والإعدادية في عامودا، أنهى دراسة الأعمال في جامعة تشرين في اللاذقية، هاجر إلى فنلندا عام 2011.

يضيف أردلان: «كان لوالدي الأثر الكبير في تقدم كتابتي على المستوى الشعري من خلال تشجيعي على المضي في هذا الطريق». في العام 2010 أصدر هو ومجموعة من أصدقائه كتاباً بعنوان (Landika Hesta - أرجوحة الأحاسيس).

هذا الصباح

هكذا كادت تسقط أصابعي من يدي
تذكرتُ كل الأشياء التي أسقطتها
أجل، في هذه الجغرافية لو أردت السير في الطريق
ستتعثرُ كثيراً، تُسقط الكثير من الأشياء
هذا الصباح صوت العاصفة كان يشقُّ مسمع الكون
مثل أغلب الأحيان..
في الوحدة كنتُ أرمى
أفكر بلا شيء
موجات الأفكار في تصادم
أردتُ كما اعتدتُ القول (هذه المرة لن أنجو)
تساقطتْ الكثير من الأشياء
تفتّحت شفاه الجروح من جديد
مقيدٌ باب الأحلام
كل هذا، واللهات لفَ الاشتياق، الموت مشدوه يحدق بعينيّ
كأنه يود إخباري بشيء..
لم يحن وقت الاشتياق بعد، وددتُ إخبار الموت بشيء..
لكني نظرتُ إليك وقلت: (حُسْنُك لم يترك للأشياء حُسناً)
نظر الموت إلينا نحن الإثنين
ابتسم
وغادر

- جوان قادو:

من مواليد عامودا 1980، أنهى دراسته من جامعة دمشق قسم علم النفس، مقيم حالياً في ألمانيا ومتفرغ للكتابة. له مجموعة شعرية مطبوعة بعنوان (Marên Kor) (الأفاعي العمياء)، وأخرى لم تطبع بعد بعنوان: (خلسةً بداخلي أنشدتُ - bi dizî min di Dilê xwe de stira).

يترجم من وإلى الكردية والألمانية:

1
نقطة دماء تيبست على خرزة
الخرزة التي شدت لخيط فخ
الفخ الذي اصطاد أبي الحناء
2
العصفور الأسود ذو المنقار الأصفر
تهادى على الشجرة
الشجرة التي أسقطت آخر ورقة للخريف
3
الورد لا يعرف مدح نفسه
ولا يعرف الجَفاء
كامل مصدره من البهاء والعبق دون مقابل ينثره حوله
الورد لا يعرف التكبر أو الحقد..
صامتاً في الظل وفي الظلام ينبتُ
الورد لا يعرف النفاق أو الفراق
الورد النابت فوق الجبل تزيّن بكل زينة
عن النفايات والمزابل رفع رأسه
4
في أثرنا خلف الفهم
أضعنا جمال كل الأشياء
يجب أن ننظر لغضبنا وكأننا ننظر لصحراء
وأن ننظر لأنفسنا مثل شجرة وحيدة في منتصف تلك الصحراء
5
مطلبنا بعد كل خطأ هو أن نَعتَبِر من خطئنا ذاك
لكن هذا بحد ذاته خطأ.. لأنه لولا الخطأ لن نفكر أن نفهم من أخطائنا
من الخطأ تعلموا..
لا يكفي ألا أخطئ لأكون سعيداً.. ما يهم ألا يكون هناك شيء يهمني..
والآن إذا ما كنت أرتكب خطأً
فهو أني أتحدث عن ذاك الخطأ، وحسب..

6

خلسة، على دراجة

أنشدت أغنية بداخلي.. أحببتُ أغنيتي كثيراً

بسرعة تناسيتُ أغنيتي، بذلتُ قصارى جهدي لأتذكرها

لكن عبثاً..

خلسةً..

بداخلي أنشدتُ..

- ريبر يوسف

من مجموعته: حجلاً أعبر الحقل

أمشي في الظلام

اعتدتُ الأمر

أغمض عيني

لأميِّز دمدمة أقدامي

***

أنتَ عاجزٌ عن رؤية الأشياء الصغيرة في المنظار

الأصوات التي تسمعها

تعود لِمَن جاورك جلوساً

لا لِمَن يقطن وراء الحدود

***

في غرفتي

قطتنا، تُطارد الذبابة

تحتمي الذبابة بي

لتختلط خطواتي وخطوات الذبابة

***

لو أني لم أكتب عن أولئك الأطفال في القصيدة تلك..

أكنتِ ستسألين عنهم؟

***

تَصدُق والدتي آن تقول: «إن الشّعر فراغٌ»

وحدي، ألحَظُ الفَراغ ذاك كثيراً

***

في مكان بعيد من هنا

شخصٌ في غرفةٍ ما

يسكن الطابق السادس

هو يعلم أنك مُنهَمكٌ بهِ

واسعةٌ جداً عيناه

***

في القطار تتخبط الجهات كلها

تخال أن الدُوري الذي حلَّق من خَلف الفتاة

سرقَ شيئاً ما من ذاكرتك

***

يسير القطار عبر الظلام

سيمكث الظلام حتى بعد مرور القطار

لا يُفسد القطار الظلام

الآن قطار يسير على خاصرتي

الظلام وحده يَسمَعُ صوتهُ..

***

استمع

هذا الصوت ليس ما يسمعه الشجر

عندما يكون وحيداً

استمع

هذا ليس بصوت!!!

***

أنا أيضاً آن يحل الليل

أتغيَّر

تُرى

ماذا يغدو اسمي آنذاك؟

كبرياء الوهن

عبدالحق وفاق: المغرب

خُذِيني إلى منفاكِ على مهلٍ
شُدِّي وثاقي بخصلةِ شَعْرٍ
لأغدو كناية..
تَخيطُ الأعضاءَ الشّارِدةَ
في سُهادِ اللّيل
لأَغدوَ أُنشودة تَدِينُ لإيقَاعِ التَّمَاهِي
***
لا تَجعليني أسيرَ اللَّحظِ المُنسابِ من مُقلَتيكِ
وحيداً أرقُبُ انبِلاجَ الرِّضا
مِن ابتسامة تَشُقُّ الثَّغرَ على مهل
***
أَنا هُنا.. وحيدٌ في الانشِطار
بِقَلبٍ يخفقُ السُّهاد
ونَظراتٍ تُوَدّعُ التّسامي
وَعقلٍ يسبَحُ في الهَذَيان
أستَجْدي أسرابَ القَطا
أَعُدُّ النّشازَ في خُطى العابِرين
سمفونية وأد الشقاء



ذكريات من الصُّفَّة

الخبز المعجون بالدمع والألم



د. عاصم حمدان

كانت في البلدة الطاهرة مواسم معينة لها طقوسها وعاداتها الاجتماعية، فمن تلك المراسم التي تنشط الحياة الاجتماعية من خلالها، هو قدوم الركب المكي في شهر رجب. وكانت المرة الأولى التي رأيت فيها دخول الركب، أو وصوله للبلدة الطاهرة، كان ذلك في عام 1388هـ، أيّ قبل نصف قرن من الزمن، فلقد كنت أسير في شارع العينية المتصل من أحد أطرافه بشارع المناخة، وهو أكبر شوارع البلدة الطاهرة في الحقبة نفسها، أما الطرف الآخر فلقد كان يتصل ببرحة باب السلام، والممتدة بين بابي السلام والرحمة، وهما من أشهر أبواب المسجد النبوي الشريف في الحقبة الماضية.

في ذلك الصباح البهيج من أيام الصبا، سمعت أصواتاً غريبة، فالتفت، فإذا بسرب من البهائم المزينة، ويمتطيها رجال لهم لباسهم الخاص بهم، والمتمثل في الكُوفية البلدي، التي يعتمرها مع العمامة أولئك القوم. وكان بعضهم يتمنطق بحزام، يربط به وسطه. أما الثياب التي يرتدونها فكانت ذات أشكال مختلفة، كما كانت سحنات القوم الذين يحفظون تلك البهائم ذات أشكال مختلفة تبعاً للأعراق التي ينتمون إليها، وربما تبعاً للحارات المكية، التي عرفتها في حقبة تالية.

وعندما بلغ هذا الركب نهاية شارع العينية، نزل أولئك القوم من فوق مطاياهم، ثم قام أحدهم برفع صوته بقصيد يدخل في باب المديح النبوي، والذي يتشوق فيه مبدعوه إلى الأراضي المقدسة، وكثيراً ما سكب أصحابه حنينهم ولوعتهم في أبياته، والتي تُنشد وفق الأنغام التي اختصرها البعض في عبارة (بُحمر دسج)، فالباء كما يقولون تدل على نغم (البنجكة) والحاء للحراب، والميم للماية، والراء للرصد، والدال للدوكا، والسين للسيكة، والجيم للجاركة، والأصل في هذا السلم الموسيقي سبعة أنغام، كما أوردها صاحب كتاب الأغاني تحت مسمى (الأصوات)، والبقية تتفرع من هذه الأصول. وهناك أنغام مركبة، أيّ من نغمين مختلفين، مثل يماني الرصد، ويماني السيكة.

وللإيضاح فلقد كان القُراء والمؤذنون يجيدون أداء هذه الأنغام، ولا يزال البعض من الجيل الصاعدي من مؤذني الحرمين الشريفين يجيدون أداء هذه الأنغام بأصولها وضوابطها، ولقد تلقوها سماعاً ممن سبقهم من الأجيال التي سبقتهم من المؤذنين، طبقة بعد طبقة. واشتهر في الماضي مؤذن المسجد النبوي الشريف: الريس عبدالستار بخاري، فلقد كان حافظاً لكتاب الله، ومُدرساً في مدرسة القراءات بالمدينة المنورة، ومُنشداً في المجالس، إضافة إلى تمتعه بثقافة أدبية واسعة، استقاها مع مجايليه من كتب الأدب المشهورة، مثل: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والعقد الفريد

لابن عبد ربـه، والبيان والتبيين للجاحظ، وغيرها من مصـادر فـن الأدب الذي كان حاضراً بقـوة في البيئة العلمية والثقافية، عند خاصة الناس وعامتهم.

يضـم الركب شخصـاً يُدعى بالمزهـد، وهو الذي ينشـد قصائـد المديح، وكان ممن سمعـت بأسمائهم ولـم أدرك شخصياتهـم: كردوس، ثم تبعـه جيل من أصحـاب الأصـوات الندية في مكة المكرمـة، وبينهم من طائفة المؤذنيـن، مثل: حسن لبني، وعبدالرحمن مـؤذن، وصالح فيدة، وعبـدالله بصنوي، وعلي معمر، وأحمد توفيق، ويعقوب شاكر، وخطاب شاكر، وإدريس كنو، وعبدالحفيظ، وعبدالملك خوج، وعلي رمل، وعلي ملة، وهؤلاء جميعاً ينتمون لطائفة المؤذنين في الحرم المكـي الشريف، وبعضهم جمع إلى مهمة الأذان مهنة الإنشاد، وبعضهم اقتصر على أداء الأذان، وإني لأروي هذا من الذاكرة، فلعل البعض يعرف أكثر مما أعرف. وتلك سنـة الله في عباده، فلقد جُعـل النقص والفناء للعباد، واختص عز وجل وحده بالكمال والخلود والأزل، فسبحانه مـن رب كريم، سبقت رحمته عذابه، ورضاه عقابه.

ينتهـي التزهيـد أو الإنشاد، فيسوق القـوم ركابهم بأيديهـم، ولكنهـم لا يمتطونهـا، ثـم يتوجهـون إلـى المناخة وزقاق الطيار، وتفتـح الدور أبوابها للقادمين من أهل البلد الحرام.

وقـد حدثني بعضهم أن البعض مـن أصحاب الدور فـي المدينة المنـورة لا يتقاضون أجراً مـن الضيوف القادمين، ويزيـدون على ذلك بأنهـم يقومون بإعداد الطعـام لهـم، كما يقـوم البعض من الشبـاب برعاية بهائمهم المزينة، وهي بهائم لها أسماء خاصة، وتفنن أصحابهـا في تزيينها بالحناء، وينشط فيما يعرف في المدينة باسم (الحلة) شـراء وبيع البهائم التي كانت وسيلـة المواصلات قبـل أن تنتشر الوسائـل الحديثة كالسيـارات وسواهـا، وهذا الموسم يحلـو للبعض من صغـار القوم وشبابهـم أن يقيموا لعبـة المزمار، وهي لعبـة جذابة، إذا ما خلت مـن العنف وما شاكله، ولكن اللعبة أكثـر أمناً وسلامة، هي ولعبة الرديح، ويحبذها أقوام من قبيل حرب، وخصوصاً لأولئك القادمين من وراء الصفـراء، ويسكنون حوش الراعي، كما يشارك فيها لاعبون مهرة من حارة النخليين (نسبة إلى زراعة النخيـل)، وهـي تعتمد علـى أداء قصيد عابـر يُسمى الكسـرة، بعضها يُحفظ ويختزن في الذاكرة، والبعض الآخـر يرتجله مبدعـوه ارتجالاً. ولقـد شاهدت حلقة الرديح ولاعبوها المهـرة وهم يلعبون بالسيوف، ولمن يبـدو أن وقت وزمـن الركب وما يصاحبـه من طقوس دينيـة واجتماعيـة قد ولـى، وأضحى اليـوم يتعلق بما يتلاءم مع ذوقه العصري، وتلك سُنة من سنن الله في خلقه. فاللهم رحمتك وعفوك ورضاك.

مساعد بن عبدالرحمن أمير الفكر والسياسة والإدارة

د. راشد سعد القحطاني :الرياض

لقد منَّ الله على هذا الوطن المبارك برجال مخلصين أوفياء كانوا إلى جانب الملك المؤسس -غفر الله له- نذروا أنفسهم وأوقاتهم وجهودهم في خدمة هذا الوطن والعمل لرفعته وتقدمه ومدنيته.

ومقالنا هذا يسلط الضوء على أخي مؤسس الكيان وباني حضارته في عهده الزاهر، ذلكم هو سمو الأمير مساعد ابن الإمام عبدالرحمن ابن الإمام فيصل بن تركي آل سعود -غفر الله له ورحمه-.


الملك فيصل وعلى يمينه الأمير مساعد بن عبد الرحمن

ما يطالعه القارئ العربي اليوم في مقالي هذا ما هو إلا جهد سبقته جهود علماء ومفكرين ومؤرخين كتبوا عن الأمير، إن من قريب، وإن من بعيد، كالشيخ حمد الجاسر ومحمد الجبير وعبدالعزيز الخويطر وعبدالرحمن الشبيلي ومتعب الفرزان ونوف العجران ومحمد القشعمي وغيرهم.

علماً أن الكاتب له كتاب تحت الطبع عنوانه (الإيضاح والبيان في الكتب المهداة للأمير مساعد بن عبد الرحمن)، قد بسط فيه القول عن الأمير مساعد، وعن حياته الأسرية والعلمية والعملية.

مولده ونشأته العلمية

ترجح بعض المصادر (ومنها كتابات الأستاذين خير الدين الزركلي وعبد الرحمن الرويشد) أنه ولد في قصر الحكم بالرياض سنة 1333هـ، ويذكر الأمير مساعد نفسه أنه عندما توفي والده الإمام عبدالرحمن الفيصل في ذي الحجة 1346هـ لم يكن في سن يسمح له باستيعاب الأمور.. ولذا يرجح كونه آنذاك في حدود الخامسة من العمر، وهو ما أخذ به عبدالله فيلبي في كتابه (الذكرى العربية الذهبية).. حيث جعله من مواليد عام 1922م (1340م) كما يرجحه أولاده أيضاً..

ولعل في تاريخ إهداء إمام الحرم المكي الشيخ أبي السمح كتاب عمدة الفقه له ما يفتح أفقاً للقارئ والباحث في محاولة الوقوف على سنة ميلاد الأمير ولو تقريباً (تنظر الصورة المرفقة).

والأمير يأتي ترتيبه قبل الأخير من أبناء الإمام عبدالرحمن ابن الإمام فيصل ابن الإمام تركي (مؤسس الدولة السعودية الثانية). ووالدته هي سمو الأميرة عمشة بنت فراج العجران الخالدي.

وقد تلقى الأمير مساعد علومه في أعرق كُتاب عرف في مدينة الرياض.. وهو كتاب محمد بن مرحوم المعروف بـ(المصيبيح).. ثم تنقل في حِلق تدريب العلوم الشرعية والعربية على يد المشايخ سعد بن عتيق وحمد بن فارس ومحمد بن عبد اللطيف ومحمد بن إبراهيم وابن سحمان وغيرهم، كما انصرف إلى القراءة وتلقي العلوم ومجالسة المتعلمين.. وكان له ولع بإثارة الموضوعات العلمية ومطارحة العلماء والمثقفين من السعوديين والوافدين.

كما ذكر الدكتور عبدالعزيز الخويطر أنه أقبل على قراءة كتب العلم الحديث في وقت ندر فيه وجود من يقبلها، وكان -رحمه الله- يحرص على جلب الكتب واقتنائها فور صدورها أيام الحرب العالمية الثانية مع صعوبة المواصلات في ذلك الوقت.

ويقال إن الأمير مساعد الوحيد بين إخوانه الذي حصل على شهادة جامعية.

حسّه العلميّ

كان سمو الأمير مساعد رجلاً رزين العقل، حاد الذكاء، منظماً، غزير التجربة في الحياة، فقيهاً متضلعاً في أمور الدين، بسيطاً وواقعياً.

كما ذكر الشيخ صالح الحصين -الذي عمل معه ما يقارب عشرة أعوام- أنه -رحمه الله- كان واسع الثقافة، متنوع المعارف، وكان في مناقشته الفقهية والقانونية والاقتصادية كثيراً ما يحرج ذوي الاختصاص من الخبراء في هذه العلوم.

ونمّى هذه الملكة العلمية والفكرية لديه وجود مكتبة لديه، نهل منها، ونهل منها طلاب العلم والمعرفة آنذاك، في وقت لم يكن للمكتبات العامة في حياة الناس أثر يذكر، وذكر الشيخ محمد بن جبير والشيخ حمد الجاسر والأستاذ عبدالرحمن الرويشد أن مكتبة الأمير مساعد المنزلية هي أول مكتبة خاصة تفتح للعموم في الرياض منذ عام 1363، وكان طلبة العلم يأتون إليها، وكان يجلس فيها ويتناقش معهم ثم طورها ونقلها من مقرها الأول في (الحلة)، شرق الرياض.

وقد أُهديت بعد وفاته إلى مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وفيها مجموعة من الكتب النادرة. وبلغ من عنايته بالمكتبة أن وضع لوحة في مدخلها للإعلان عن الكتب الجديدة الجديرة بالمطالعة، وعيَّن موظفاً قيّماً عليها وعاملاً آخر لتقديم الضيافة. وكان من روادها حمد الجاسر ومحمد بن بليهد وعبدالله فلبيي ورشدي ملحس وعبدالله خياط وعبدالرحمن القويز وعبدالكريم الجهيمان.

وفي بحث نشره المؤرخ حمد الجاسر -رحمه الله- في جريدة البلاد عام 1367هـ / 1948م عن نشأة المكتبات في المملكة العربية السعودية، ذكر أوائل من قاموا بإنشاء المكتبات في المملكة، وقال: إنه في سنة 1364هـ قام الأمير مساعد بن عبدالرحمن بإنشاء مكتبة عامة في الرياض، جمع فيها أشهر الكتب.

وذكر الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري -رحمه الله- صاحب مجلة المنهل بمناسبة مرور ربع قرن على تأسيس مجلته، وأشاد بدعم وتشجيع الأمير مساعد بن عبدالرحمن للمنهل.

آثاره العلمية

لا بد للعالم من تزكية علمه الذي يحمله، ولذلك كانت نفس الأمير تواقة لنشر العلم، والحث على التعليم، وذلك ما نلمسه من خلال هاتين الرسالتين اللتين ألّفهما سمو الأمير -رحمه الله- وهما (نصيحة إلى إخوتي في الدين والنسب، تأليف مساعد بن عبدالرحمن آل سعود، القاهرة) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1360هـ، رسالتان 4+38 ، 4+38 صفحة، فهذا الكتاب الوحيد الذي صدر للمؤلف في طبعة واحدة، وبخلاف موضوعه في الدعوة المبكرة لتعليم المرأة، إلا أن له ميزة شكلية وغريبة، حيث لم يصرح المؤلف باسمه باللغة العربية على صفحة العنوان أو داخله، وإنما كتب اسم المؤلف بحروف لاتينية فيها شيء من التعمية، فقد استخدم رسم الحروف اللاتينية ليقابل الأشكال التقريبية للحروف العربية وليس نطقها مع استخدام النقط لإعجام الحروف، ومن ينظر إلى الكتابة اللاتينية فسوف يبدأ القراءة من اليسار لأول وهلة، ولكنه لن يفهم شيئاً أو يصل إلى دلالة بالحروف اللاتينية، إلا إذا تخيلها حروفاً عربية تبدأ من اليمين.

وتجدر الإشارة إلى أن الأمير مساعد أصدرهما سنة 1360هـ / 1945م، فالرسالة الأولى منهما بعنوان (الغايات التي يرمي إليها الإسلام، وموقفنا منها وبيان بعض ما يجب عمله). والرسالة الثانية بعنوان: (التربية والتعليم)، وما ورد فيهما يكفي للتدليل على سعة أفقه ومداركه واهتمامه بالصالح العام ومستقبل أمته.

ويهمنا ها هنا ما ورد في الرسالة الثانية، حيث نجده يقول عن تأسيس مدارس للبنات ما نصه: وتأسيس مدارس للبنات يدرس فيها نساء يجلبن من سائر البلاد العربية، مع مراعاة الديانة فيهن والصيانة والاحتشام، وفتح معهد يدعى معهد المعلمات، ويكون تأسيسه بعد فتح المدارس بسنوات ويجلب له أيضاً معلمات كسابقاتهن، أما متخرجاته فيعهد إليهن بالتدريس في مدارس البنات. وفتح معهد آخر يدعى معهد المرشدات، ومتخرجاته يعهد إليهن بالإرشاد والمحاضرة في الأندية النسوية. وفتح ناد في كل حي من أحياء المدن يحتم على كل نساء الحي قصده، ويجعل فيه مرشدات يرشدن النساء إلى ما يجب عليهن لربهن وأزواجهن وإخوانهن المسلمين، وكيف ينظمن بيوتهن ويعاملن أزواجهن ويربين أطفالهن ويعنين بصحتهم وتنمية أخلاقهم، والإكثار من التشكيلات والأعمال الرياضية وخاصة الفروسية وتعميمها. وقال: (... وقد يظن الكثير أن لا حاجة إلى تعليم النساء وأن مفاسده تربو على مصالحه، وقد يستند بعضهم في ظنه على حالة نساء الأمصار المتعلمات، فنجيب بأن هذه الظنون ضباب حجب الحقيقة عن ظنها، فتعليم المرأة واجب من وجوه: منها أنها المدرسة الأولى للطفل وعلى كفاءتها تتوقف صحة الطفل وسلامة أخلاقه في الطور الأول من حياته، الذي هو عبارة



الأمير مساعد ووصفي التل رئيس وزراء الأردن

عن الأساس لنمو قوى الطفل وملكاته، ومنها أن النساء شقائق الرجال فعليهن من الحقوق والواجبات لله ولجماعة المسلمين شبيه ما على الرجال من جهة التكليف ووجوب الأداء، ولهن حق في العناية المراد بها تعميم المنفعة الإنسانية، ومنها أنه يحصل من تعليم المرأة صلاح الحياة الزوجية، وهي من الأغراض السامية للدين الحنيف وإعانة للرجال على أداء واجبهم لما تتحمله الزوجة من حسن تدبير البيت وشؤونه على شكل يطمئن الزوج إليه فيطرح عنه عناء ذلك، ولما تدخله على الزوج من السرور أيضاً لإتيانها بما يسره من الأفعال والأقوال، ومنها أن في تعليم المرأة سبيلاً شريفاً لارتزاق اليتيمات والأرامل والعوانس، وهو خير لهن من تكفف الناس، هذا ولو أردنا إيراد الأدلة



الأمير مساعد بن عبدالرحمن خلال تفقده محطة التلفزيون بالرياض

على فوائد تعليم المرأة لملأنا منه الصحائف، ويقيني أن هذا القدر كاف، أما ما يظن في تعلم المرأة من المفاسد فلا يحصل إلا من التوسع في تعليمها توسعاً يخرجها عن منزلتها التي خلقت لها، ومن هذا التوسع حصل بعض ما نراه في نساء الأمصار من التهتك.

أما جملة ما نراه فيهن من ذلك فسببه غير التعلم وقد شرحناه فيما سبق، وخير للبنت ألف مرة أن تقضي معظم وقتها في المدرسة تكسب علماً وأدباً من أن تقضيه في اللعب في الطرقات والتمرغ في التراب، وخير للمرأة أن تقضي بعض وقتها في النادي تتعرف على واجباتها من أن تقضي أكثر وقتها بين صويحباتها في الاشتغال بالفضول وأكل أعراض المسلمين وشب نيران العداوة.)

ولذلك لا عجب أن يسبق الأمير مساعد بدعوته هذه لتعليم المرأة قبل عشرين عاماً من صدور الأمر الملكي بافتتاح تلك المدارس التي خرجت أجيالاً من فتياتنا اللاتي تبوأن أعلى المراكز العلمية والإدارية.

هذا، وقد كرمت الأمير مساعداً وزارةُ التعليم العالي على هامش معرض الرياض الدولي للكتاب 2006م، ضمن رواد المؤلفين السعوديين، على كتابه المذكور وعلى دعوته إلى الأخذ بزمام المبادرة في تعليم الجيل العلوم الحديثة.

مهماته السياسية والوزارية

لقد بدأ مسيرته الاستشارية بحضور مجلس الملك عبدالعزيز مع كبار مستشاريه، ثم تركزت وظائفه الإدارية في عهدي الملك سعود والملك فيصل -رحمهما الله- والتي استمرت اثنين وعشرين عاماً (1373 - 1395هـ) بدأ بتعيينه مستشاراً للملك سعود.

ومن المناصب التي تولاها -رحمه الله- رئاسة ديوان المظالم حيث أسند إليه الملك سعود إنشاء وتنظيم ثم رئاسة ديوان المظالم عام (1374هـ)، وديوان المراقبة العامة عام (1377هـ)، ثم تولى وزارة الداخلية عام (1382هـ)، ووزارة المالية والاقتصاد الوطني (9 / 10 / 1382هـ - 8 / 10 / 1395هـ)..

كما أسندت إليه مسؤوليات سياسية شارك فيها بوصفه أحد أعضاء الأسرة المالكة الذين يؤخذ برأيهم، ويستشارون في أمور السياسة الخارجية، مثل المشاركة في معالجة الخلاف السعودي اليمني، والقيام بجهود وساطة بين الهند وباكستان، ممثلاً المملكة مع الرئيس أنور السادات ممثلاً لجمهورية مصر وسمو الأمير يمثل المملكة العربية



كتاب

عمدة الفقه

على مذهب ... (أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني)

الامام العالم العلامة الشيخ موفق الدين بن قدامة

رحمهما الله ورضي عنهما وجزاهما عنا أحسن الجزاء آمين

طبع على نفقة

(الشيخ أبي السمح عبد الظاهر محمد)

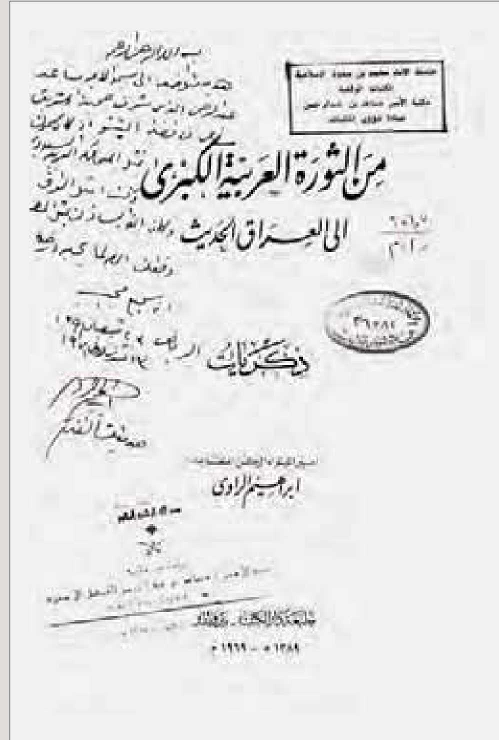
إمام الحرم المكي

(والشيخ ابراهيم الشوري)

وكيل المعارف الحجازية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى في مطبعة المنار بمصر في سنة ١٣٥٢



من الثورة العربية الكبرى

الى العراق الحديث

ذكريات

ابراهيم الراوي

١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

السعودية. وعلى صفحة عنوان الكتاب الموسوم بـ(من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث- ذكريات) لمؤلفه اللواء الركن إبراهيم الراوي بأن المؤلف كان يمثل بلاده وأنور السادات يمثل مصر (تنظر الصورة المرفقة).

الأمير مساعد وحديث الذكريات

هنا أيها القارئ الكريم أحاديث سجلها التاريخ، مما رواه بعض معاصري الأمير في مراحل حياته العلمية والسياسية والإدارية. فقد ذكر الأستاذ محمد بن عبد الله الشريف الذي أمضى نحو (14) عاماً في ديوان المراقبة العامة، وأدرك العمل مع الأمير مساعد عندما كان يجمع بين رئاسة ديواني المظالم والمراقبة العامة قائلاً: (عرفنا نحن العاملين في ديوان المراقبة العامة في ذلك الوقت في الأمير مساعد بن عبدالرحمن صفات الورع والتقى والعفة والنزاهة، أما الجوانب الإدارية في شخصيته فهي تفيض بالإخلاص والحكمة وعمق الرؤية، وكان يعمل يومياً في كل من الديوانين ويتابع ويشرف إشرافاً مباشراً وكنا نأنس ونرتاح عندما يؤمنا في صلاة الظهر).

وتحدث عن هذه الفترة معالي الأستاذ محمد أبا الخيل الذي خلف الأمير وزيراً للمالية والاقتصاد الوطني حيث قال: (كان أسلوب إدارته للوزارة يتسم بالتركيز على النظر فيما يُعرض عليه ودراسته من حيث مدى الالتزام بالقواعد المحددة في إدارة المال العام.

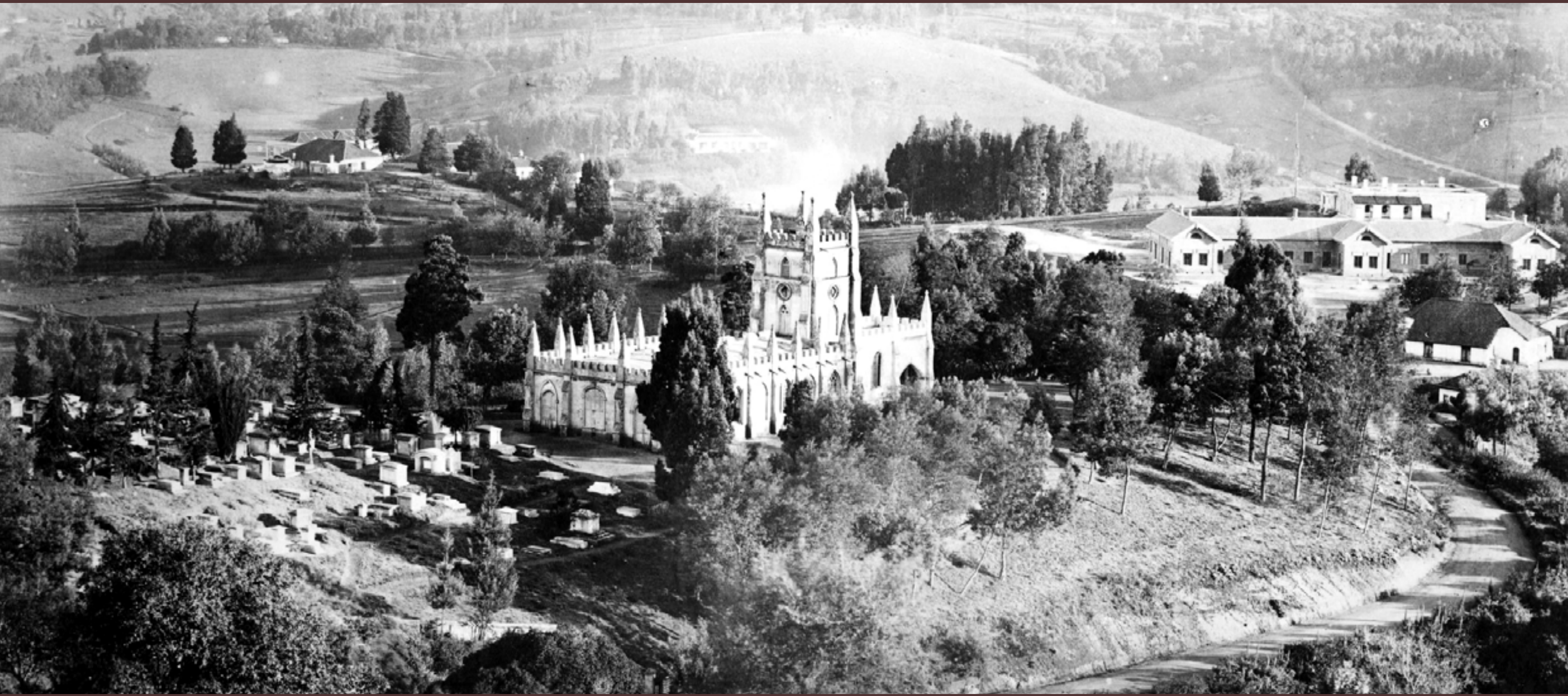
وكان يتوجب على من يعمل معه من مساعديه أن يثبت له من خلال ما يقدمه وما يعده أن يكون مطابقاً لهذه القواعد وأن استنتاجاته وتوصياته كانت متفقة مع الفهم الصحيح لهذه القواعد).

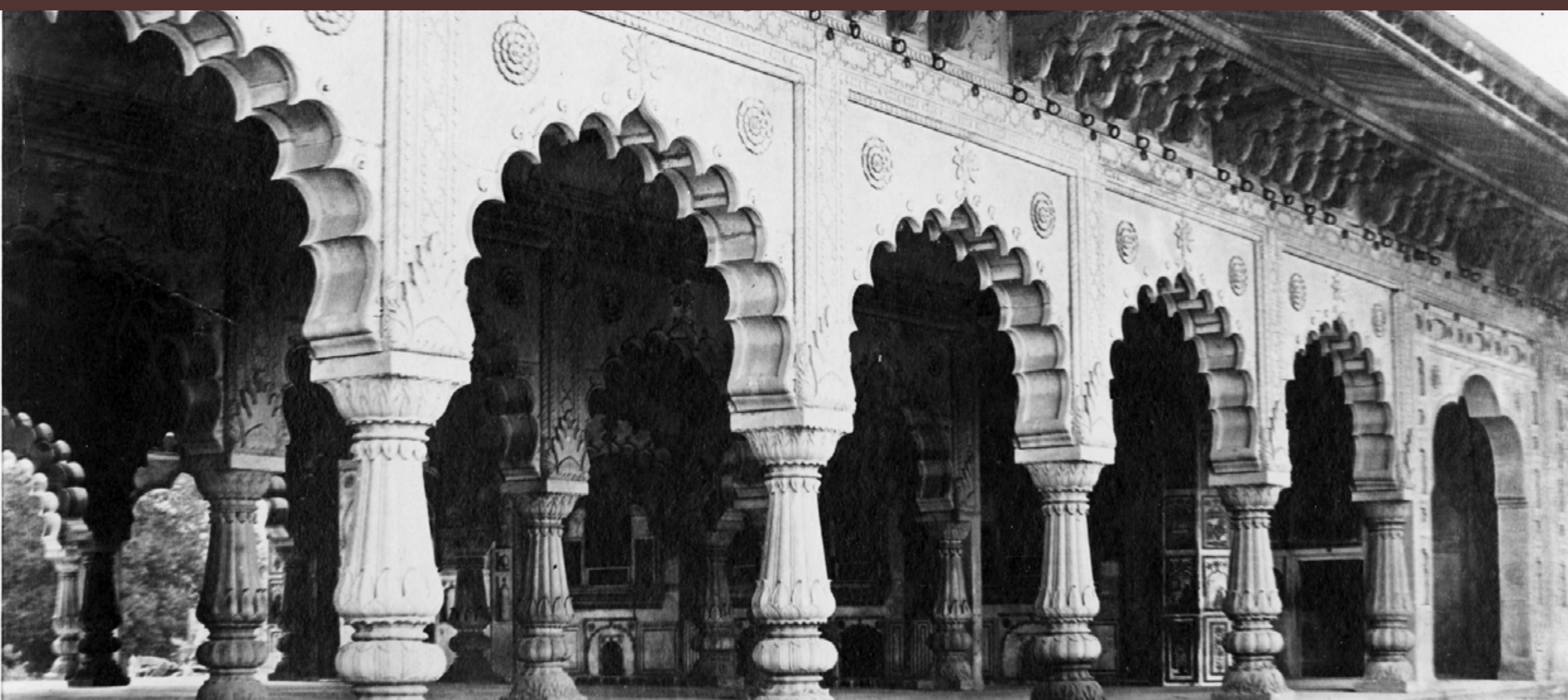
وفاته

وسنن الله تجري في خلقه، ومنها الموت الذي وافى الأمير مساعد ابن الإمام عبدالرحمن ابن الإمام فيصل بن تركي آل سعود -رحمه الله- صباح يوم الثلاثاء 8 / 4 / 1407هـ، في مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض، عن عمر ناهز السبعين عاماً.

ومع أنه رحل إلا أنه يظل في ذاكرة التاريخ الوطني والعربي بطلاً من أبطال مقاومة الجهل والتخلف، وداعياً من دعاة النور والتقدم والحضارة والمدنية الصحيحة، مع الحرص على الالتزام بالثوابت الشرعية.

تجار نجد في الهند (عنيزة نموذجاً)





نوير مبارك العميري: الدمام

شكلت الهند في نهاية القرن التاسع عشر ملجأ آمناً للتجارة مع بلدان الخليج والجزيرة العربية، والمركز التجاري والاقتصادي، بل وحتى السياسي الأول في معظم آسيا، وبسبب قوة الهند البشرية الهائلة والمساحات الزراعية الضخمة والصناعات التي راحت تغزوها، علاوة على وسائل المواصلات البحرية المتوفرة من وإلى الخليج والجزيرة، دفعت كل هذه المغريات إلى هجرة بعض تجار الخليج العربي والجزيرة العربية إلى الهند واتخاذها مقراً رئيساً لممارسة تجارتهم المتنوعة في تصدير المواد الغذائية ومواد البناء والأقمشة وغيرها إلى بلدانهم، واستيراد اللؤلؤ وغيره من المنطقة للمتاجرة به في أسواق الهند الكبرى.



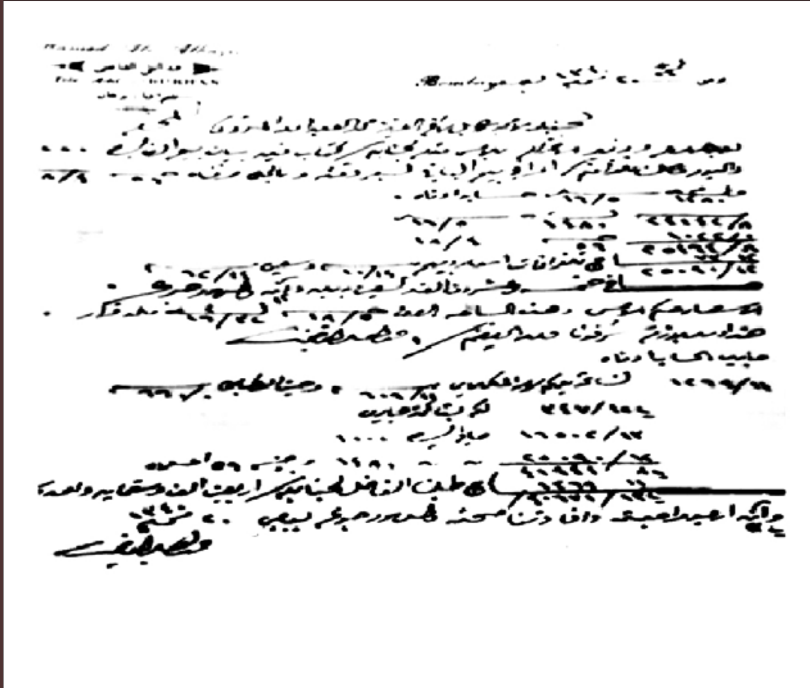


تجار عرب في أحد مقاهي الهند

لضيق العيش في نجد خرج كثير من أهلها لطلب الرزق إلى العراق والشام وفلسطين ومصر والخليج العربي لصيد اللؤلؤ بل اتجهوا إلى الهند حتى قيل (الهند هندك ليا قضى ما عندك). وقد تكونت في الهند طائفة من التجار النجديين، شكل فيها أهل عنيزة طبقة تجارية مثقفة، وقد اشتهرت إلى جانب ثقافتها الجيدة بالسمعة الطيبة.

وقد برز في الهند عدد من البيوتات التجارية، ومن أبرزها بيت آل فوزان التجاري، وكان ممن عمل فيه الشيخ عبدالله بن سليمان الحمدان، الذي أصبح وزيراً للمالية في عهد الملك عبدالعزيز، ما ساعده في تكوين خبرة تجارية، كما برز منه الشيخ عبدالله بن محمد الفوزان، الذي ولد في عنيزة ونشأ بها وتزوج فيها، ثم غادر إلى الهند وهو في السابعة عشرة من عمره مع والده محمد حيث كان يتاجر بين نجد والعراق والهند، وقد عين وكيلاً للملك عبدالعزيز في الهند، وكان له إسهامات في التواصل مع زعماء الطوائف الدينية لتوضيح أهداف الملك عبدالعزيز، إلى جانب ما قدمه من خدمات للحجاج الصينيين الموجودين في الهند، وقد تركز نشاطه التجاري على الاستيراد والتصدير حيث يستورد من العراق التمور، ويصدر إلى نجد جميع أنواع المؤن، وقد توفي في مدينة بومباي في 1380هـ عن عمر ناهز المئة عام.

ومنها بيت الفضل، وكان بيت آل فضل في الهند مأوى لكل ضعيف من أهل نجد، وقد برز منه صالح العبد الله الفضل، الذي استقر في بومبي أواخر القرن التاسع عشر، وكان على اتصال وثيق بالملك عبدالعزيز، وكان ممن استقبل الأمير فيصل بن عبدالعزيز عند مروره في بومبي، كما كان ممن يكلفه الملك عبدالعزيز لبعض المشتريات والمهمات الثقافية، لم تنقطع صلته بعنيزة وقد خصص



رسالة من التاجر حمد العلي القاضي في بومبي إلى التاجر محمد العبدالله المتروك في البصرة عام 1340هـ - 1922م

جزءاً من صدقاته لعنيزة، فيما توفي في كراتشي سنة 1923م.

ومن هذه البيوت الشهيرة بيت القاضي وقد برز منه حمد بن علي بن عبدالله بن إبراهيم القاضي، الذي قال عنه الشيخ محمد القاضي (وكان من أثرى أهل زمانه ومشاهير بلده في الخارج)، وقد رحل من عنيزة إلى الهند في مقتبل شبابه للعمل في التجارة فمكث فيها قرابة ستين سنة حتى عام 1948م، حيث أرسله أعمامه إلى بومباي للعمل لدى أحد أفراد عائلة البسام في تجارة الشاي، تنقل بين عدة بلدان بين باكستان والهند وتركيا والكويت، ثم سكن بيروت وفيها توفي.

ومنها بيت البسام، ويذكر عبدالعزيز الشايع أحد تجار الكويت عن مكاتب التجارة في الهند (أما السعوديون فلهم ثلاثة مكاتب وهم: محمد علي زينل علي رضا، وصالح ومحمد العلي البسام، وعبدالرحمن وعبدالله البسام، وكان مكتبهم الأول الذي أسسه والدهم عبدالعزيز في كلكتا وبعدها انتقلوا إلى بومباي)، وقد برز من أسرة البسام: عبدالرحمن حمد محمد عبدالعزيز حمد البسام، ولد في عنيزة عام 1887م، ثم سافر إلى الهند، واستقر في بومبي وعمل فيها لعدة سنوات أتقن اللغة الإنجليزية والأوردية، وكان ملماً بالشعر والأدب ثم عاد إلى عنيزة في عام 1940م، ثم سافر إلى البصرة وتوفي فيها عام 1986م، ومنهم صالح عبدالله حمد سليمان حمد البسام، قد هاجر من عنيزة إلى بومبي عام 1887م وهو في الخامسة والعشرين من عمره وأصبح ذا تجارة واسعة في التمور والذهب والعملات والأقمشة من الخليج العربي، وقد ازهرت تجارته في الهند بعد عام 1928م حيث نال وكالة (الشماغ الأحمر) التي عرفت فيما بعد باسم شماغ البسام، وقبل الحرب العالمية انتقل صالح البسام إلى البصرة وترك إدارة شركته لأبن أخيه (محمد علي البسام) ولولديه عبدالله وعبدالعزيز، وقد توفي في البصرة عام 1942م.

وقد تعرض النشاط التجاري بين الهند والخليج إلى صعود وهبوط نتيجة للأحداث السياسية والعسكرية، ولاسيما أثناء الحربين العالميتين، والتي أثرت على نشاط التجار ومعاملاتهم نلمس ذلك من خلال الرسائل التجارية التي تبودلت بين العديد من التجار التي عبرت بجانب طابعها التجاري عن أحوال البلاد وظروفها السياسية، ومن هذه الرسائل نجد رسالة من التاجر عبدالله بن محمد الفوزان في بومبي إلى التاجر سليمان الحمد البسام يستعرض فيها أحوال التجارة والزراعة في الهند في أواخر الحرب العالمية الثانية بتاريخ 1364هـ / 1945م، يقول فيها: (الأمطار كثيرة عندنا وزراعة العيش في كلكتا حصل عليها نقص كبير بسب كثرة الأمطار. سوق اللؤلؤ واقف نهاية خصوصاً بعد صلح الجابان الأسعار بدون مشترى)، في حين نجد رسالة من إبراهيم بن عبد الله الفضل في بومبي إلى التاجر عمر بن عبدالرحمن العمري يتحدث فيها عن توقف أحوال التجارة في الهند مدة بسبب قيام فتنة بين الهنود والمسلمين في عام 1347هـ / 1929م يقول فيها: (وقد حصل فتنة في الأيام الماضية في بومبي بين الهنود والمسلمين وجميع المحلات التجارية توقفت حركتها توقفاً عاماً).



الطهي بنكهة السياسة



د.علاء عبدالمنعم إبراهيم: مصر

يقف الطاهي -السمين في الغالب- بملابسه البيضاء الأنيقة، وبشموخ وثقة يجذبان إليه عدسة الكاميرا التي تمرس على اقتناص زواياها بمهارة، تهبط الكاميرا من أعلى الأستديو المتخذ شكل المطبخ، لتستقر أمام وجه نجم البرنامج الذي يرحب بها بابتسامة مصطنعة مرفودة بعبارات الترحيب بالسادة المشاهدين الذين صاروا حافظين لهذه الافتتاحية التي ستتضمن قائمة طعام اليوم الموزعة بين الحاذق والحلو، مشفعاً هذا كله بتحديد وسائل الاتصال المتعددة التي يمكن للجماهير استعمالها للتواصل الحي معه، خاتماً افتتاحيته بدعوة جماهيره لاستمرار متابعتهم له بعد الفاصل الإعلاني.

صار المشهد السابق أحد المشاهد اليومية المألوفة للمشاهد العربي الذي ألفى نفسه في فترة زمنية وجيزة في مواجهة مجموعة كبيرة من برامج الطهي التلفزيونية الموزعة على عدد كبير من القنوات الفضائية، أو المجمعة في قناة واحدة تم تخصيصها لهذه النوعية من البرامج كممارسة استثنائية في الهيكلة التلفزيونية.

وإذا كان وجود هذه البرامج على الساحة التلفزيونية أمراً معتاداً منذ فترة طويلة، فإن هذه الكثافة الكمية والكيفية في إطار زمني ضيق لا يجاوز السنتين، قد دفعت المتلقي الحصيف إلى طرح تساؤل مشروع حول أسباب هذا الحضور الناجز لهذه النوعية من البرامج، وعوامل نجاحها اللافت وعلاقة هذا كله بملابسات السياق المؤطر لها والذي تغلغلت فيه السياسة بعناصرها كافة في الفترة الأخيرة، إننا هنا نسعى لفهم طبيعة هذا التمدد غير المسبوق لبرامج الطهي من خلال الاتكاء على المؤشرات التي يطرحها السياق الجامع، ولنتجاوز المدار المباشر ونحلق إلى المدار الأوسع برحابته المفهومية وعمقه الجدلي.

ينظر المؤرخون إلى الطعام بوصفه أحد أنجز الأدوات السياسية التي يفيد منها المتنافسون السياسيون في تحقيق مآربهم

الطهي والسياسة وجهان لعملة واحدة

يبدو هذا العنوان الجانبي للوهلة الأولى أحد الممارسات الساخرة التي تعتمد فلسفتها على تأسيس علاقة مماثلة بين شيئين يبدوان مختلفين لتحقيق هدف محدد يتمثل في تدنية /تخفيض قيمة أحدهما بربطه بالطرف الآخر الذي يحتل مرتبة أقل منه في إطار الوعي الجمعي الشائع، وعلى الرغم من وجاهة هذا الأمر فإننا نعتذر عن تخيبنا لتوقعاتهم الرصينة ومجاوزتنا هذه اللعبة اللفظية لصالح الواقع بمؤشراته الدالة وشواهده التاريخية.

فالواقع التاريخي الذي لا يكذب -وإن تجمل في بعض الأحيان- يؤكد أن ثمة علاقة راسخة بين السياسة بمؤامراتها ودسائسها من جانب، والطهي بعناصره المتعددة من جانب آخر، الأمر الذي جعل العديد من المؤرخين ينظرون إلى الطعام بوصفه أحد أنجز الأدوات السياسية التي يفيد منها المتنافسون السياسيون في تحقيق مآربهم بعيداً عن المعايير الأخلاقية التي لا مجال لها في السياسة وإن ادعى الساسة غير ذلك.

فعلى مدار تاريخ قيام الممالك وانهيارها وتولي الحكام المختلفين مقاليد أمور ممالكهم ودولهم وتخليهم عنها أو تخليها عنهم؛ كان الطعام عنصراً متغلغلاً في السياسة بشكل لافت باعتباره المسار الوحيد الذي يمكن أن يسلكه المتطلعون للسلطة للقضاء على الحكام الذين تحصنوا خلف أسوار قصورهم العالية، وأحاطوا أنفسهم بمجموعة كبيرة من الفرسان الشجعان الذين كانوا على استعداد دائم للتضحية بحياتهم فداء لملكهم، كلمة السر إذن كانت المطبخ، ويكفي في هذا السياق مطالعة تاريخ الدول على اختلاف امتداداتها الجغرافية والثقافية والاجتماعية للتأكد أن الطعام كان أحد الأبواب السحرية التي يدلف منها المتنافسون للنيل من خصومهم السياسيين، فحوادث موت





الملوك والحكام والرؤساء عبر تناول طعامهم المفضل المدسوس فيه جرعة قاتلة من السم السعاف؛ أكثر من أن تحصى، ولا يستثنى من ذلك مملكة أو دولة، فمن أخناتون الفرعوني إلى أرسيس الفارسي إلى جين هوي تي الصيني إلى أريك السادس عشر السويدي إلى ياسر عرفات العربي.. إلخ، تنوعت أسماء الضحايا وظل الطاهي الخائن أو المخدوع وطهيه سببين رئيسين في طوي صفحة تاريخية وبدء صفحة جديدة. وقد أدرك الحكام منذ القدم ما يمكن أن تؤديه شهوة الطعام من موت محقق فاستحدثوا وظيفة المتذوق الذي يشكل أداة الاختبار الناجعة التي يمكن أن تكون منجاة للسياسي من مكيدة دبرها له حاسدوه، ولعل الرئيس الروسي (بوتن) هو آخر هؤلاء الحكام حين تمسك بوظيفة المتذوق في العلن.

إن هذه العلاقة التاريخية بين السياسة والطهي تتعضد عبر مظاهر سيميولوجية متعددة تغتني بالفهم التأويلي لها، ومن ذلك أن القيمية الوظيفية لكل من السياسي والطاهي على مستوى المجتمع تتحقق عبر قدرة كل منهما على استقطاب الجماهير، بحيث يغدو توسيع دائرة المؤيدين هو الهدف الأول لكل منهما، وبقدر نجاح السياسي أو الطاهي في مغازلة الجماهير بقدر ما يتحقق نجاحه، ويضمن لنفسه مستقبلاً واعداً. ولا يرتبط الأمر بما يقدمه كل منهما فقط لجماهيره، بل يرتبط بآلية التقديم كذلك، فالسياسي البارع منذ عهد سقراط كان يتعلم البراعة في التلاعب بالألفاظ حتى يستطيع أن يطرح وجهة نظره للجماهير فيحول ببلاغته البخل إلى حرص والتبذير إلى كرم والنفاق إلى مجاملة والوقاحة إلى صراحة، والسياسي البارع أيضاً هو القادر على تقديم رؤيته بملفوظ جذاب، واعياً أن طريقة التقديم الجيدة والمنمقة المتناغمة مع طموحات المتلقين قد تكون شفيعاً له حال عجزه عن تحقيق ما وعد به، كذلك الطاهي الذي يدرك أن رائحة الطعام الشهي ومذاقه المميز غير كافيين لإرضاء طموح الجماهير، فالتزيين بمصطلح الطهاة لا يقل أهمية عن طبيعة المقدم، فالطاهي المحنك يدرك أن العين تتذوق قبل اللسان، وليس هناك ما يحول دون ممارسة بعض مظاهر التلاعب كإعداد الطعام بشكل مسبق، والتذرع بضيق الوقت أمام الجماهير لاستخدام هذا الطعام المعد سلفاً، تماماً كما يفعل الكثير من السياسيين بخداعهم الجماهير ببرامج انتخابية مكررة ومسروقة.

العلاقة الحميمة بين السياسة والطهي تطرح مزيداً من التفسيرات حول مصطلح (المطبخ السياسي) الذي حالت سطوته التداولية دون فهمه بعمق

كما أن الترويج للذات والنيل من الخصوم بطريقة ناعمة -لا تكشف عن تضخم الإحساس بالذات- تشكل أداة يستعين بها كل من السياسي والطاهي، فكلاهما لا يعيب على خصومه بطريقة مباشرة في الأحيان معظمها ليس بوازع أخلاقي شخصي وإنما حرصاً نفعياً على عدم خسارة طبقة من الجماهير التي يشكل المعيار الأخلاقي عنصراً رئيساً من عناصر اختيارها ممن تؤيده أو تدعمه أو تتابعه، فيحاول كل من السياسي والطاهي أن يتصيد أخطاء الآخرين بتقديم وجهة نظر أو طريقة مضادة أو مبتكرة أو أكثر تنظيماً تفضح المستوى المتدني المقدم من قبل الخصم. وتشكل الإشارات والتلميحات والتعريض أدوات بالغة التأثير في هذا السياق.

التوابل هي كلمة السر في الطهي، وبقدر معرفة الطاهي بمقدار ونوعية التوابل المقدمة في الطعام بقدر ما يحقق تفوقاً في مذاق طعامه وتنوعاً في معرفة نوعية المطابخ التي تشكل التوابل عنصراً حاسماً في تصنيفها. والتوابل السياسية تتنوع أيضاً، فإذا كانت جودة التوابل العربية أحد أسباب الحملات الصليبية على الشرق، فإن السياسي يضع توابله في حواراته وأخباره الأمر الذي يصل في بعض الأحيان إلى حد وضع الشطة الحارة بنفسه في طبقه السياسي بتسريب بعض الأخبار الكاذبة عنه حتى تتاح له الفرصة لتفنيدها كخطوة مهمة لكسب تعاطف الجماهير واقتناص إعجابهم وشفقتهم.

الكفر بالسياسة.. الإيمان بالمطبخ

إذا كانت السياسة هي فن الممكن، وإذا كانت القاعدة الثابتة في السياسة هي أنه لا ثوابت في السياسة، فإن



السياسة حاولت استغلال الجماهيرية العريضة التي يتمتع بها الطاهي في الترويج للمواقف السياسية المختلفة، وبخاصة في فترات الأزمات والتخبط السياسي، حيث بدا الطاهي مغازلاً لمشاعر جماهيره ومروجاً في الآن ذاته لمذهب سياسي محدد يتم اختزاله في شخص أو مجموعة أشخاص تحت شعار مسكوت عنه مفاده أنا أطهو إذن أنا ومذهبي السياسي موجودان.

ويبدو أن وعي أصحاب القنوات الفضائية -بحكم تمرسهم في مخاطبة ذهنية الجماهير- بطبيعة جمهورهم كانت هي العامل الحاسم في اختيار الاعتماد على هذه النوعية من البرامج في هذه الفترة التاريخية التي تمر بها العديد من البلاد العربية، فقد أدرك القائمون على القنوات أن المتلقي العربي وبخاصة في دول الربيع العربي يشعر بإحباط شديد جراء النزاعات السياسية التي لم يعتدها بحكم ميراث تاريخي ثقيل كان ينظر إلى مشاركة المواطن في الحراكات السياسية بوصفه أمراً ديكورياً أو شكلياً، ألفى هذا المواطن المنفي خارج دائرة السياسية لعقود طويلة غارقاً في لججها، وبفضل محدودية خبرته السياسية شعر بالسعادة لمشاركته في هذا الأمر الجديد في بدايته، ولكن مع ثقل الشعور بالمسؤولية وعدم اعتياد هذا الدور وزوال بريق اللعبة الجديدة بدأ يتسرب إليه الإحساس بالقلق الذي تضاعف مع غياب المواجهات السياسية الممثلة في أشخاص أو مؤسسات يمكن الاعتماد عليها في تحديد القرارات أو المواقف، بحيث غدت الوسائل الإعلامية منهلاً له لتحديد موقفه السياسي من الأحداث، غير أن هذا لم يحقق له ما كان يصبو إليه من راحة، بل لا نبالغ إذا قلنا إن الأمر ازداد سوءاً لتعارض مواقف هذه القنوات الاتصالية، وتحكم الأيديولوجيا السياسية في كل موجهاتها، فلا يكاد المتلقي البسيط يقتنع بوجهة نظر هذه القناة حتى يلفي نفسه في مواجهة قناة أخرى تتبنى وجهة مضادة وتستدعي معها مبرراتها المنطقية على المستوى الشكلي، مما جعل هذه الجماهير العريضة -أو كما يسميها البعض حزب الكنبة- تفقد ثقتها في السياسة التي لم تجلب لها سوى الحيرة والتشتت.

وهنا بدأ المواطن غير المعتاد على هذه الجدالات السياسية والإشكاليات الأيديولوجية، في البحث عن طوق نجاة له من أتون السياسة بمرفقاتها من برامج توك شو ووسائل إعلامية موجهة، وطبيعي أن يجد في الرياضة ملاذه الأخير، غير أن السياسة أبت إلا أن تضيق عليه دائرة الصراع فتسببت الصراعات السياسية والفوضى المصاحبة لها في تعليق الأنشطة الرياضية ومصاحباتها من برامج رياضية تتغذى على هذه الأحداث وتشبع رغبة الجماهير في الإحساس بالمشاركة في صنع الأحداث، وهنا تتصاعد الأزمة وتتعقد خيوط اللعبة وتختفي المنافذ التي يمكن أن ينفلت منها المتلقي الكافر بالسياسة واليائس من أصحابها.

وهنا تأتي برامج الطهي التلفزيونية لتحقق الهدف المتغيا، لا على مستوى المتلقي النافر من لعبة السياسة وجدلها وصخبها فقط؛ ولكن أيضاً على مستوى خدمة مصالح أصحاب المواقف السياسية، ممثلين في أصحاب بعض هذه القنوات المتغلغلين في السياسة المتعالقة بمصالح اقتصادية، فقد سعى هؤلاء إلى تغذية هذا الشعور بالكفر بالسياسة لدى طبقة عريضة من الجماهير، رغبةً في إبعاد هذه الطبقة الجماهيرية عن ملعب السياسة وإلهائها بمساحة تلفزيونية تجد فيها نفسها وترى بعينها منجزاً يتحقق (الطعام)، تسعد برؤيته وهو ينتقل من دور التحضير إلى طور الكائن المكتمل، لتمارس لاحقاً متعة التجريب المرتبطة بالنجاح في صنع شيء من لا شيء، هذا الشعور الإيجابي الذي يعمق من ارتباط هذه الجماهير بهذا النمط من البرامج، ويحدث -في الآن نفسه- مزيداً من القطيعة المعرفية بين الجماهير والسياسة اللعينة، مما يخدم مصالح الساسة المدعومين من وسائل إعلامية في الفوز بسهولة بتأييد هؤلاء المتابعين الذين صاروا أكثر ترويضاً واستعداداً للخضوع لعملية التوجيه السياسي الذي غدا أيسر بفضل ما أصابهم من حالة الخمول الذهني المترتبة على حالة استراحة المحارب السابقة.

إن هذه العلاقة الحميمة بين السياسة والطهي تطرح مزيداً من التفسيرات حول مصطلح (المطبخ السياسي) الذي حالت سطوته التداولية دون فهمه بعمق في ضوء علاقة التداخل والتشابك بين هذين العالمين اللذين مهما بدا بعدهما فهما قريبان إلى حد التشارك.



ماقل ودل



سعد البواردي

كلمات

الرحمة تسبق الحب بدرجات.. الحب عاطفة وجدانية بشرية.. أما الرحمة من بابها الإنساني الواسع فقد تفرد بها الرحمن الرحيم اسماً وصفة كأحد أسمائه الحسنى.. الحب قد يقوي حدوده لحظة ضعف أو انفصال فيقسو!

فقسا ليزدجروا ومن يك عادلاً
فليقسُ أحياناً على من يرحم

وتبقى الرحمة في فضائها الواسع متجاوزة مساحة الحب إلى ما هو أسمى بعيدة عن القسوة (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء).

•••

منابر التواصل الاجتماعي تحولت إلى مقابر للآمال والسلم الاجتماعي بما تلفظه ونرفضه من أكاذيب وإشاعات مغرضة هدفها الفوضى الضاربة في أطنابها على ما سواها.. إنها في حاجة ماسة إلى وقفة جادة لتصحح مسارها بكل الوسائل المتاحة وصولاً إلى لجمها.. أو تحجيمها على الأقل درءاً لمخاطرها المدمرة.

•••

الجهل المركب أن تصنع لنفسك المشكلة.. وحين تعجز عن حلها تلجأ إلى عدوك كي يعقدها ويزيد الطين بلّة.

•••

يَكفرون.. ويُكفِّرون.. ويرددون هتاف (الله أكبر) وهم يرتكبون أكبر وأكثر المجازر في حق الأبرياء.. ألا ساء ما يفعلون.

غانم وحماته



إنها التاسعة من مساء يوم باردٍ، الريح فيه سيدة المكان، يحاول غانم سد كل فتحات النوافذ والباب حتى ينعم بنوم هادئ خالٍ من قرصات الزمهرير وقرعات الريح، ولكن الريح لا تهدأ.. توسد يده مؤمناً بهزيمة الرياح، صابراً يحاول النوم.. أطفأ قنديله ونام. في كل ليلة يحلم، ولكن هذه المرة طَرْق الباب يقطع مشاهد الحلم. فز من نومه.. أشعل القنديل، اتجه نحو الباب يحث السير.. فتح جزءاً بسيطاً من الباب ليرى طارق خيرٍ أم طارق شر.. رفع القنديل للأعلى قليلاً ليرى ملامح وجه الطارق.. رأى وفزع ثم أغلق الباب بسرعة وقال سائلاً: لمن هذه الملامح الكالحة؟! وتلك الرائحة التي بها، ومن؟! قالت بصوت هادئ وحزين: أعرفتني؟! قال وبكامل الخوف والدهشة: لست أدري من أنتِ؟! ولكن كأن الزمان جمعنا ذات يوم؟! قالت: ذات يوم؟! منذ أن ولدتَ وأنا معك، كنت مرجعك إن نسيت، وأرقك إن بُليت، وحبك الصادق، وعيشك الزاهد. والآن نسيتني. قال مشحوباً صوته: زدتني حيرة، وأشعلتِ فضولي، وأربكتِ مشاعري، ولا أذكركِ. قالت: لا تذكرني لأنك تركتني ثم رحلت.

قالت بصوت جهوري وغاضب: لماذا تركتني، وجعلتني أعيش بين جدران منزلك القديم تائهة؟! خلعتني أواسي ألمي تارة، وتارة أواسي ألمك؟! سكت قليلاً وهدأت الريح وسكنت أغصان الأشجار، ثم استأذنته بالدخول للجلوس معه، وافق.. أدخلها للدار وتلفت يمنة ويسرة على عتبات الدار ثم أدار ظهره نحو الضيفة وأغلق الباب.. جلسا.. قالت له: تراب القرية، وكظامة الوادي التي طالما غرست قدميك في وحلها وتحرف مجرى الماء كل صباح، كيف تخليت عنها؟!.

غانم: والله إنها لأحب الديار إلى قلبي، ولولا ما حصل من خلاف في القرية لما هجرتها وسكنت في أعلى جبل بعيداً عن البشر!. ولكن من أنتِ؟ قالت: في الصباح انطلق إلى القرية.. قاطعها قائلاً: أخشى أن يراني أحد من الجماعة.

وضعت يدها مبسوطة بالقرب من صدره وقالت: إذن قف بأعلى جبل يطل عليها. وستعرف من أنا وكيف أتيت إليك، والآن عليّ الرحيل.. كن بالموعد.

لم ينم تلك الليلة، سراجه ظل يحرق الزيت حتى الفلق، أسفرت الأرض، خف وميض المشتري من ناحية الشروق، احتزم والسلاح ثالث أطرافه. يتوكأ عليه كلما صعد عراقاً، ويحمله على كتفه إذِ استوى الطريق، وقف على رأس جبل (فاران) بشموخ استمده من طبيعته الجبلية، أجحظ عينيه وقال: ماذا جرى لهذه الأرض؟! لم أرَ لها من باقية؟! أهي القاضية؟! ظل يؤشر على كل مكان يذكر ما حدث له: هذا الجرين، آخر مرة دُست فيه الحنطة قبل خمسة وثلاثين عاماً، وهذه الوجرة اندلقت ساقي من حافتها وسقطت فيها وظلت بنات القرية يضحكن علي، وتلك الرقاعة كنا نأكل فيها الفال.. ثم هم بالنزول.

يسمع صوتاً خلفه، قال تعال أجلس إني أحطت بما لم تحط به علماً. وسأنبئك بما جرى. لقد كانت تلك العجوز -حين كنت تحلم كثيراً- كنت تعيش خيالك أكثر من واقعك، كنت تسعى جاهداً أن تجعل الحُلم حقيقة تعيشها، سعيت في المستحيل، حتى قررت أن تغير موقعك بدلاً من واقعك، بؤسك في الحياة، الحمل السوداوي الذي في صدرك على جماعتك قادك لأن تهاجر وتترك ما نشأت عليه.

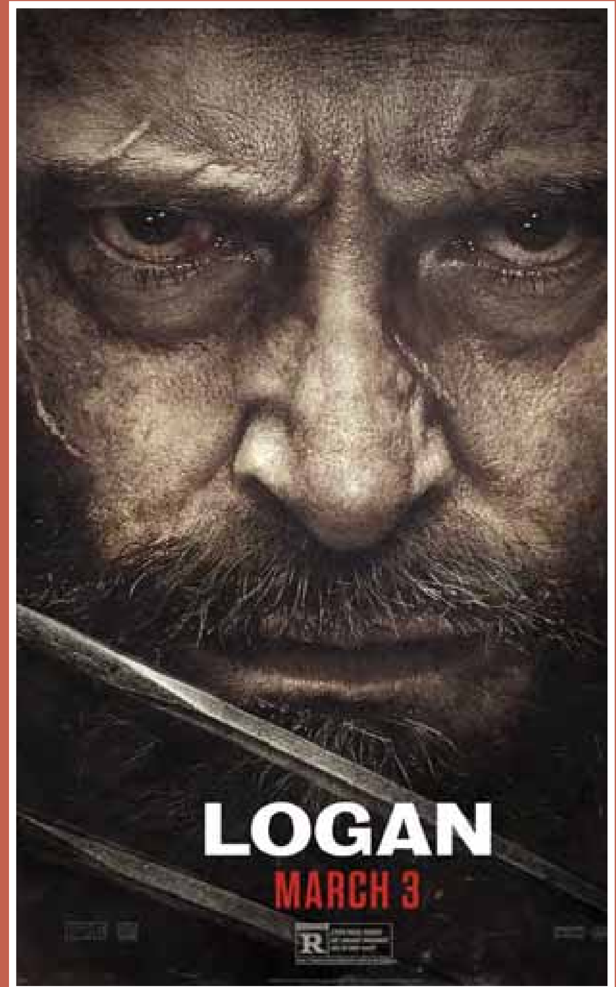
- يا ابني صعبٌ عليك أن تغير ما كنت فيه مُسير، ما كسبته في الطفولة لن يتغير في كِبرك حتى لو هربت، فلديك مخزون من الذكريات لا يمكن أن يُمحى أو يزول.. هل لاحظت بأنك لا تزال تذكر أدق التفاصيل وأتفهها في طفولتك؟!..

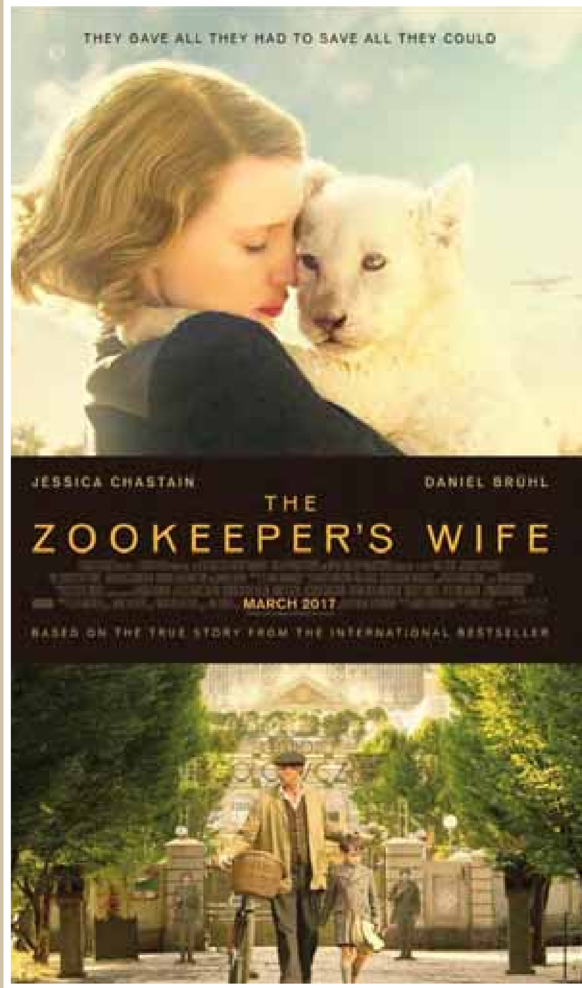
- ومن أين لك كل ذلك؟!. وكيف عرفتِ تفاصيلي؟

- أنا التي وفيت لماضيك فلم أضيعه، وأعطيتك ما لدي إن طلبت.. أنا الذاكرةَ!

أدرك غانم معاني الانتماء ومفاهيم التغيير، مهما حاول الهروب من الواقع إلى النأي بعيداً عنه ستجره الذاكرة إلى حيث كان، وأدرك أنه كان عليه أن يستمر في تغيير جماعته ويصبر على أذاهم لينجح في إبعادهم عن الخرافة. عزم على البحث عن جماعته ولمّ شتاتهم. وجد أن الزمن كفيل في تغييرهم وانتقالهم للمجتمع المدني.

الفيلم: **Logan**
التصنيف: أكشن - خيال
العرض: مارس **2017**
إخراج: جيمس مانغولد. بطولة: هيو جاكمان
تأليف: مايكل جرين
ملخص الفيلم: يبدأ لوجان والبروفيسور تشارلز بمواجهة الشركة التي سببت خسائر كبيرة وتسعى لتدمير العالم، ولكن تشارلز يصيبه داء الزهايمر وتبدأ قدرات لوجان الخارقة بالتلاشي.. في نفس المرحلة تظهر الفتاة الشابة لورا بقدرات لا تُعقل بمساعدة لوجان في مواجهة الشركة بكامل منسوبيها وتبدأ المتاعب والمشاكل تتراكم عليهما.





الفيلم: **The Zookeeper›s Wife**
التصنيف: سيرة ذاتية - دراما
العرض: مارس **2017**
إخراج: نيكي كارو. بطولة: جيسيكا شاستين
تأليف: مقتبس من كتاب للكاتبة الأمريكية ديان أكيرمان
ملخص الفيلم: يحكي الفيلم قصة الزوجين البولنديين اللذين يعملان في حراسة حديقة الحيوانات.. ولكن بعد الاحتلال النازي وكثرة وجود اللاجئين يبدآن بالعمل سراً لمساعدتهم من خلال إخفائهم داخل الحديقة، ولكن بعد العديد من الأحداث تبدأ العيون والشك بالتوجه للزوج وزوجته وعائلتهم ويصبحون في وضع خطير لارتكابهم هذا الخطأ الكبير.

الفيلم: **Before I Fall**
التصنيف: دراما - غموض
العرض: مارس **2017**
إخراج: راي روسو يونغ. بطولة: زوي دويتش
تأليف: مقتبس من رواية الكاتبة لورين أوليفر
ملخص الفيلم: ماذا لو حدث شيء وغيّر حياتك كلياً؟ سامانثا تعيش حياة مكتملة تملؤها السعادة والفرح والأصدقاء حولها، وفي ليلة يحدث لها حدث تستيقظ بعده بلا معرفة بما أصابها.. يبدأ معها انعدام الثقة بالناس باستثناء الشخص الذي وقف معها في مصيبتها، فتبدأ معه بفك الألغاز ومعرفة كيفية حياتها السابقة وما كانت عليه.





الفيلم: **Free Fire**
التصنيف: أكشن - كوميدي
العرض: مارس **2017**
إخراج: بين ويتلي. بطولة: سيليان ميرفي - بري لارسون
تأليف: أيمي جامب
ملخص الفيلم: تعود أحداث هذا الفيلم لعام **1978**م، حيث يكون مكان التقاء عصابتين في أحد المخازن غير المشبوهة.. والمقصد من هذا اللقاء هو بيع الأسلحة ولكن يحدث اختلاف في الاتفاق بينهم، ويبدأ معه إطلاق النار ومحاولة كل شخص بالنجاة من هذه الموقعة ما يؤدي إلى إصابة بعضهم البعض عن طريق الخطأ.

إعداد: عبدالملك الشايع | الرياض



من شيرلوك المتخفي إلى هولمز المفكر



أحمد راضي: مصر

بعد مرور مئة عام على ظهوره على شاشة السينما، لا يزال شيرلوك هولمز هو الشخصية الأكثر تجسيداً على الشاشة الكبيرة والصغيرة، ولا يزال هو أشهر محقق جرائم معروف، ولا يزال مصدر إلهام لعدد كبير من الفنانين الذين يقدمون تنويعات ومعالجات جديدة باستمرار بناء عليه، شيرلوك هولمز شخصية مثيرة للإعجاب، فهو يمثل أيقونة الذكاء، ومثال للعقل اللامع في أبهى صورة، العقل الذي يعتبر أكثر العناصر تفرداً في الطبيعة، والذي ميّز الإنسان عن كافة الأحياء، ولأن قصص وروايات شيرلوك هولمز هي احتفاء بتلك الجوهرة النادرة، فهي قادرة على استحواذ مشاعر ودهشة القراء والمشاهدين في مختلف الوسائط البصرية، لما يمكن أن يفعله ذلك العقل إذا تم تمرينه بشكل صحيح وأُحسن استخدامه، ولكن بعد مئة عام من تقديم شيرلوك هولمز بصرياً، ما الذي يمكن أن يضيفه هذا المسلسل إلى كل ذلك الإرث؟





تم تهميش مهارات التنكر واستبدالها بمهارات التفكر.. وقدم المخرجون حلولاً بصرية لمعرفة ما يدور داخل عقل هولمز

الصعوبة الأساسية في إنتاج أي عمل بصري عن هولمز، هو الالتزام بحرفية ما جاء في القصص الأصلية للسير «آرثر كونان دويل» مبتكر شخصية شيرلوك هولمز، لأنه قام بتوزيع تاريخ حياة شخصيته بشكل متناثر جداً على جميع الروايات والقصص، لا توجد قصة أو رواية مؤسسة للأحداث بالتفصيل، لا يوجد سرد تفصيلي كامل عن كيفية نشوء وتطور شيرلوك بشكل واضح، ولذلك.. فإن من يريد أن يؤسس عملاً بصرياً جديداً من الصفر لهذه الشخصية، سيجد نفسه أمام فوضى عارمة، ولذلك فإن إعادة ترتيب كل شيء هو أمر حتمي لا مفر منه، ليس فقط ترتيب حياة هولمز، بل حتى ترتيب مغامراته، من غير الممكن تقديم مغامرة واحدة كما جاءت تماماً في الأعمال الأدبية الأصلية، سيضطر كاتب السيناريو إلى اجتزاء المغامرات إلى ما يشبه القصاصات وإعادة لصقها من جديد، وهو ما حدث سابقاً في فيلمي المخرج «غاي ريتشي»، فقد قدم اثنين من أجود الأفلام المقتبسة عن هولمز، وستجد أنه في الفيلمين ومن خلال معالجات السيناريوهات قد أعاد بناء الكثير من التفاصيل من خلال مختلف القصص والروايات، وهو ما سنجده أيضاً في هذا المسلسل.

الجديد هنا أنه ولأول مرة يتم تقديم عالم المحقق شيرلوك هولمز بشكل كامل في القرن الحادي والعشرين «باستثناء حلقة خاصة من الموسم الرابع عرضت بشكل مستقل بمناسبة الكريسماس»، جميع الأعمال السابقة التزمت بالحقبة الزمنية الأصلية لأحداث الأصل الأدبي، والتي كانت تدور في القرن التاسع عشر، صناع المسلسل قرروا طرح سؤال، ما الذي يمكن أن يفعله شخص بهذا الدهاء، لو وقعت تحت يديه كل هذه المعرفة المتاحة على الإنترنت وكل هذه التكنولوجيا اللامحدودة، والإجابة على هكذا سؤال تمثل مزيجاً من الفضول والترقب والكثير من التحدي، فقبل كل ذلك هناك الكثير من مريدي وعشاق الشخصية ممن لن يتقبلوا هذا الأمر، ثم كيف من الممكن تقديم تحديات حدثت قبل مئتي عام في عصر تختلف تحدياته في كل شيء، ولذلك فهو تحد فني وإنتاجي من صناع العمل، والحقيقة أنهم نجحوا فيه إلى حد بعيد.

البداية التي قرر أن يبدأ منها كل من «مارك جاتس» و«ستيفن موفات» مطورا المسلسل، هي عودة جون واطسون من حرب أفغانستان، وهو يعاني من إصابة في القدم، إضافة إلى أزمة نفسية بين ما رآه في الحرب وبين عدم تقبله للحياة المدنية، يذهب إلى طبيبة نفسية تنصحه بأن يكتب مذكراته في مدونة إلكترونية، ولكنه لا يجد ما يكتبه «لاحقاً سيكتب عليها جميع مغامراته مع شيرلوك»، يبحث عن شريك للسكن، وعن طريق صديق مشترك بينه وبين شيرلوك، يتعارف الاثنان بطريقة غريبة، فبعد لحظات قصيرة من تواجد جون في المعمل دون أن ينطق حرفاً، يسأله شيرلوك العراق أم أفغانستان؟، ولمن لم يقرأ أو يشاهد أي شيء عن شيرلوك هولمز من قبل، سيتخيل أن ذلك مجرد استعراض مهارات سخيف ومبتذل، ولكن بعد أن يقدم هولمز تفسيره بداية من مشية جون ووقفته وتصفيفة شعره وردود أفعاله ولون بشرته وشكل إصابته وموديل جواله، يصبح كل شيء منطقي للغاية، الأمر لم يكن يحتاج أكثر من مجرد دقة ملاحظة وتحليل للتفاصيل.

الخليط المُعقّد الذي يقوم به مطورا المسلسل، هو تقديم الجديد والمختلف عما سبق والالتزام قدر المستطاع بالنصوص الأصلية حتى لا ينحرف قطار المسلسل عن مساره، ومن بين الأمور الجديدة في الموسم الأول هو تقديم شخصيتين أساسيتين في عالم هولمز بطريقة مبتكرة، الأول شقيقه الأكبر مايكروفت، لا يظهر في المرة الأولى بشكل ودي أو حميمي أو متوقع، بل يقوم بما يشبه اختطاف رفيق سكنه الجديد جون واطسون بعدما قام بتهديده وإبهاره عن طريق جميع كاميرات والهواتف العامة





التي يسير بجوارها، فمن يستطيع التحكم في كل ذلك بل وحتى إشارات المرور، فهو بالتأكيد لا يقل عن مجرم دولي، وبعد السير طويلاً في شوارع مظلمة يظهر مايكروفت أخيراً في مكان مهجور دون أن نعرف هويته، ويطلب من واطسون التجسس على شيرلوك بمقابل مادي، وكل ذلك في إطار مغلف بالسرية والغموض، لنكتشف في النهاية أنه شقيق شيرلوك الأكبر الذي يعمل في منصب رفيع للغاية في المخابرات البريطانية، ويريد فقط أن يطمئن على شقيقه الأصغر، بينما يتم تقديم جيم موريارتي أذكى ألد وأشرس أعداء شيرلوك هولمز بطريقة معاكسة تماماً، حيث يظهر ببساطة كأحد العاملين في المعمل ويبدي إعجابه بالمحقق العبقري هولمز دون أن يثير اهتمام الأخير، وهو الأمر الذي يثير الدهشة في كلا الحالتين، ويصل الأمر إلى ذروته عندما يتم تقديم آيرين إدلر المرأة الوحيدة التي تعلق بيها شيرلوك عاطفياً والتي تنافسه في مستوى ذكائه، فهي تعلم تماماً طريقة تحليله للأمور، ولذلك تظهر له بمظهر يجعله عاجزاً عن قراءة أو معرفة أي شيء عنها، كل ذلك وغيره من الأمور مخالف للنصوص الأدبية الأصلية، ولكنه متوائم تماماً مع المعالجة العصرية التي يقدمها العمل.

من بين المشكلات الرئيسة في التعامل البصري مع تحليلات هولمز، أنها كثيرة للغاية ومركبة ومكثفة، فكل شيء تقع عليه عيناه من الممكن أن يقوم بشرحه وتحليله، وهو ما قد يتسبب في ترهل إيقاع العمل في حال توقفت الأحداث كل فترة لشرح ما يدور داخل عقل هولمز، ولذلك ابتكر المخرج «بول مكيغان» وبقية مخرجي العمل، عدداً هائلاً ومتنوعاً من الحلول البصرية، فعلى سبيل المثال في الحلقة الأولى عندما يعاين هولمز جثة في مسرح جريمة، فإن كل ما يراه ويفكر به يظهر مكتوباً على الشاشة، عندما يلمس المظلة يُكتب على الشاشة جافة، وعندما يلمح خاتم الزفاف يُكتب مهمل وهكذا، وهو ما يضع المشاهد في منتصف الطريق وينتظر فقط ربط المعلومات ببعضها البعض مع الاستنتاج النهائي، وعندما يفعل شيرلوك ذلك نكون مدركين كيف وصل إلى هذه النتيجة دون الكثير من الشرح حتى تنتقل الأحداث إلى مكان آخر بسرعة، في حلقة أخرى يقوم باستجواب عدة نساء ضحايا لرجل قام باستدراجهن إلى شقته واعتدى عليهن، هولمز يقوم بالاستجواب على الإنترنت، أمامه عدد من أجهزة الكمبيوتر المحمول، ويتنقل بينهم بسرعة لاستخلاص أكبر قدر ممكن من المعلومات، وبدلاً من أن يكون مشهداً شديد الطول والبطء، ينتقل المشهد بشكل تخيلي إلى مكان يشبه البرلمان، ويتم الاستجواب وجهاً لوجه اختصاراً للوقت.

من أهم التطويرات التي أضافها المسلسل، أنه تخلى عن مهارات شيرلوك هولمز غير الضرورية في الأصل الأدبي، وقام بتتويج مهارات العقل كحجر أساس في بناء العمل الجديد، فمثلاً من أهم تلك المهارات التي استخدمها تقريباً في جميع مغامراته، هي مهارات التنكر والتخفي، من أجل التواجد في أماكن غير مسموح له بالتواجد بها، أو الوصول إلى أعدائه دون أن يلحظوا ذلك، وهي المهارة التي استفاد منها أدب وسينما الجاسوسية فيما بعد، من أمثال جيمس بوند وايثان هانت «مهمة مستحيلة»، وحتى أدهم صبري «رجل المستحيل» في العالم العربي، بل إن المسلسل في المرة الوحيدة التي يستخدم بها شيرلوك التنكر، يكون تنكراً هزلياً للغاية لا يزيد عن نظارة طبية وشارب مرسوم بقلم حبر من أجل المزاح مع جون واطسون، وأصبحت المهارات الأساسية في المسلسل الجديد هي، القدرة على الملاحظة، القدرة على جمع المعلومات واستخرجها واستنباطها، القدرة على تحليل جميع تلك المعلومات سوياً، والقدرة على ربطها لاستخراج نتيجة نهائية، بل حتى إن مهارات التذكر يتم الاحتفال بها في حلقة كاملة، هناك فكرة تقوم على أن داخل عقل كل منا قصر كبير

المسلسل يقدم الجديد بعد إرث بصري طويل.. وينتقل بهولمز من القرن التاسع عشر لعالمنا المعاصر



مليء بالغرف والأدراج والملفات، نستطيع أن نقوم بإيداع جميع المعلومات التي نحصل عليها في مكان مميز، ومن العودة إليها من جديد عند الحاجة إليها، والمسلسل لا يكتفي بذكر ذلك كمهارة لهولمز، بل إن أحد أعداؤه الكبار تشارليز ماغنسن، وهو رجل شديد الأهمية والنفوذ داخل بريطانيا، يملك الكثير من الأسرار والخفايا التي يقوم بها بالضغط على البعض للحصول منهم على ما يريده، أو حتى لمجرد إذلالهم، وفي الوقت الذي يبحث فيه الجميع عن الأرشيف الضخم الذي يخبئ فيه ماغنسن كل تلك الملفات والمستندات، تكون المفاجأة الحقيقية أنه يمتلك كل ذلك داخل قصر ذاكرة عقله، المسلسل يمثل كرنفال احتفال بذكاء العقل البشري وقدراته وتفرده بين جميع أشكال الحياة، والجميل أنه لا يقدم ذلك باعتباره خاصاً ببعض البشر دون غيرهم، بل يؤكد أن في قدرة الجميع امتلاكه مع التركيز والتدريب، قدرات جون واطسون في الملاحظة تتطور بشكل ملحوظ على مدار الحلقات، بل إن أحد المشردين مدمني المخدرات الذي صادقه هولمز أثناء إحدى المغامرات، تتطور لديه مهارات الملاحظة والتحليل بشكل مذهل للتأكيد على أن هذا الأمر يمكن للجميع القيام به.

الأمر السلبي الوحيد في المسلسل هو عندما حاول صنّاعه في ختام الموسم الثاني تحويل هولمز المُفكّر إلى هولمز ديفيد كوبر فيلد الساحر، الأمر بدأ عام 1891م عندما قرر كونان دويل التوقف عن كتابة مغامرات شيرلوك هولمز والتفرغ لكتابة الروايات التاريخية، فقام بقتل هولمز في مغامرة «المشكلة الأخيرة»، ولكن بعد أعوام من رفض القراء تلك النهاية ومطالبته المستمرة بالعودة لكتابة مغامرات جديدة، ما اضطره في القصة الجديدة التي عاد بها «مغامرة المنزل الفارغ»، إلى اختلاق فكرة أن موت هولمز لم يكن سوى خدعة لينجو من أعدائه، وتحول هذا الأمر إلى تقليد يتم تقديمه في كل مرة يتم فيها تحويل مغامرات هولمز إلى السينما أو التليفزيون، بل وتسرب حتى إلى العديد من أفلام الحركة المختلفة، في القصة الأصلية يسقط كل من مورياتي وهولمز في شلالات الرايشنباخ بألمانيا، ولأن الاقتباس الجديد اقتباس عصري تدور أحداثه في بريطانيا، فقد نقل كتاب السيناريو الحدث إلى سطح إحدى البنايات المرتفعة، وقاموا بابتكار معضلة على يد مورياتي شديدة العبقرية والدهاء، والتي تقضي بموت هولمز لا محالة، ولأن هناك من ينتظر سقوط هولمز من جميع الأطراف، ولأن ذلك يحدث أمام المارة، فإن الموسم الثاني يختتم أحداثه بتتابع نهاية شديدة الروعة والغموض، ولكن عندما يتم تفسير ذلك الأمر في بداية الموسم الثالث، تجد العديد من الثغرات التي وقع بها السيناريو، إلى الدرجة التي تجعل أن كل ما حدث لم يكن له أي معنى، أكثر من مجرد الالتزام بتقليد شيرلوك هولمز الشهير في تزييف موته.

لكن كل ذلك تم تعويضه وأكثر من خلال الموسم الرابع والختامي للمسلسل، كتاب السيناريو قرروا أن يقدموا ختاماً لا ينسى، ومن أجل ذلك قاموا بجميع الحيل الدرامية الممكنة، بل وقاموا بحيلة استطاعت أن تخدع حتى مريدي هولمز المخلصين، وذلك باختراع شخصية درامية جديدة تماماً ووثيقة النسب بهولمز، وهي شقيقة شارلوك القابعة في واحد من أعقد سجون العالم، والتي يدور حولها الموسم الجديد، ويصل إلى الذروة في حلقته الختامية، السؤال الذي يطرحه الموسم الجديد هو: إن كان شيرلوك بكل هذا الذكاء، لديه شقيق أكبر يفوقه ذكاء ولكنه يفضل الأعمال المكتبية، فكيف سيكون شكل الذكاء الأقصى الذي يمكن أن يتوافر لدى شقيقة ثالثة، وخاصة أنها تستخدم ذكاءها في الشر، الموسم الأخير عموماً والحلقة الختامية خصوصاً هما النموذج العملي على تقديم أشد أنواع الدراما تعقيداً وذكاءً بصورة لا يمكن أن تمحى من الذاكرة.

المسلسل كرنفال احتفالي بالعقل البشري.. وتم الحفاظ على دعائم الأصل الأدبي مع معالجة عصرية.. والموسم الختامي شديد التعقيد والذكاء

القادم من عمق اليتم

علي سليمان الدبعي: اليمن

أخي العربي
هل قدر للفرقة أن تبقى
على أرض القلب
ونبرر سبباً للتيه
هل تذكر زمن العقل المصمت
والراكع للحجر الصلب
هل تذكر وأد الإنسانية
والقهر الجاثم والشرر المشتعل للحرب
وحين بزغ النور
وهو القادم من عمق اليتم
من أرض باركها الله
من صبرٍ كسر القلب الصلد
ملأ الدنيا إخاءً
وأحال الليل نهاراً
واحتمل الحق شعاعاً
ياهذا القلب مد للقلب يداً
ولنبقَ على مساحات القلب

بول غوغان
رسم لوحاته من الشقاء والترحال










وليد رمضان: مصر

يعد الرسام الفرنسي بول غوغان (1848-1903) من أهم وأبرز الفنانين الذين تركوا بصمات مضيئة في مسيرة الفن التشكيلي الحديث. فقد تأثر غوغان بالمدرسة التأثيرية وفنون الشرق التي استوحى منها أهم دعائم اتجاهه التركيبي الرمزي الجديد. كما كان غوغان وراء ظهور جماعة الأنبياء التي تميزت بروح الصوفية وطابع الرمزية والغموض. وكان غوغان أحد قطبين يمثلان البداية والنهاية بالنسبة للمدرسة الوحشية وعلاقتها بالفن الإسلامي؛ فقد كان غوغان الممهد الأول للوحشيين، والفرنسي هنري ماتيس (1869-1954) زعيم الوحشيين ورائدهم.







الفنان التأثيري هو ذلك الفنان الذي لم يدنس طهره ونقاءه بقبلة خداعة من قبلات القيود التقليدية في الفن الجميل

صاحب أغلى لوحة

في عام 2015 بات بول غوغان صاحب أغلى لوحة في العالم (متى تتزوجين؟) التي رسمها عام 1892، وتظهر لنا فتاتين من جزر تاهيتي، وقد باع اللوحة مالكها رودولف ستايشن لمتحف قطر الوطني مقابل 300 مليون دولار لتكسر الرقم القياسي الذي بيعت به لوحة (لاعبة الكوتشينة) للرسام الفرنسي بول سيزان أبي الفن الحديث (1839-1906). ولو كان غوغان يعيش معنا اليوم وشاهد إحدى لوحاته تباع بهذا الرقم لأصيب بالجنون، وهو الذي عاش رحلة عمره ما بين اليتم والشقاء والترحال والإفلاس والفشل في عدد من الوظائف، فضلاً عن فشله الأسري، وتخلى زوجته عنه، وموت إحدى بناته وهروب ابنه، وعدم قدرته على توفير قوت يومه، ثم فشله في بيع لوحة واحدة عندما أقيم معرض بباريس وشارك فيه، كل ذلك قاده في النهاية للانتحار هرباً من هذا العالم الذي لم يقدر موهبته.

بداية مؤلمة

ولد أوجين هنري بول غوغان عام 1848 في باريس، لأب فرنسي وأم من البيرو، ولم يكمل غوغان سوى ثلاثة أعوام من عمره حتى مات والده لتقرر الأسرة الرحيل إلى البيرو، خصوصاً أن المناخ السياسي في فرنسا اتسم بالتوتر، ليعيش غوغان مع أخته في بيت الخال، ولكن بعد أربعة أعوام عاد غوغان إلى فرنسا ليعيش مع جده في محاولة لتعلم اللغة الفرنسية، لكنه لم يحب المدرسة، فكان يهرب منها دائماً، وعندما أصبح شاباً التحق بأكاديمية البحار ليصبح طالباً عسكرياً يجوب دول العالم، كما كان يستغل أي لحظة تتاح له ليرسم ما يشاهده ويلفت نظره وينال إعجابه، وبعد ستة أعوام التحق بوظيفة في سوق الأوراق المالية (سمسار)، ليتزوج من سوفي ابنة أحد الموظفين الكبار بالدنمارك، وينجب منها خمسة أطفال.

كان غوغان يبحث في ذاته فكان يرسم خلال أوقات الفراغ، ويزور المعارض والصالات التي تعرض لوحات الفنانين، ويتأملها جيداً، وقد ارتبط بعلاقة صداقة مع الرسام الفرنسي كاميل بيسارو (1830-1903) الذي قدمه إلى عدد من الرسامين، مما شجع غوغان على الرسم بشكل أكثر اهتماماً، واستأجر مرسماً ليعرض لوحاته الانطباعية في المعارض عامي 1881-1882، ولقد تأثر غوغان بالانطباعية أو التأثرية في بدايته بعد أن وجد أنها تناسبه، حيث تعتمد الانطباعية على الأسلوب الفني في الرسم بنقل الواقع أو الحدث من الطبيعة مباشرة، كما تراها العين المجردة، بعيداً عن التحيل والتزويق. وقد ظهرت هذه المدرسة عام 1880، وشارك غوغان بتسع عشرة من لوحاته التأثرية في معرض التأثريين الثامن والأخير عام 1886.

كانت المدرسة التأثرية تقوم في التصوير على أساس نظريات التحليل الضوئي، وجوهر هذه النظرية فنياً هو أن اللون ليس صفة مطلقة للأشياء؛ إذ إن ألوان الأشياء ليست ثابتة، بل تتوقف على انعكاس ضوء الشمس على هذه الأجسام التي تمتص بعض الألوان وتعكس بعضها الآخر.





لقد كانت التأثرية بمثابة الضوء الذي كان يبحث عنه الفنان للخروج على تقاليد الفن الأكاديمي والتحرر من قيود القواعد الجامدة، وهو الأمر الذي جعل النقاد يهتمون ويشيدون بهذه المدرسة، فقالوا إنها ستفتح الباب لحركات تقدمية أخرى في مسيرة الفن الحديث.

فان جوخ والتأثرية

كان الفنان الهولندي فينسنت فان جوخ (1853-1890) أحد أبرز الفنانين الذين بهرتهم التأثرية، فقال بعد مشاهدة معرض التأثريين بباريس عام 1880م: هذه اللوحات لم أرها قط في حياتي، ولا أحلم بأن أراها؛ لوحات غارقة مجنونة بالنور والضوء والهواء، لوحات مرحه تنبض بالحياة. ثم ذهب إلى مرسمه ليركل لوحاته بقدميه ساخطاً، وهو يقول: بالله إنها كلها معتمة قاتمة ثقيلة، لا حياة فيها ولا قيمة لها.

أما غوغان فقال عن الفنان التأثيري: (إنه ذلك الفنان الذي لم تدنس طهره ونقاءه قبلة خداعه من قبلات القيود التقليدية في الفن الجميل). وكانت علاقة الصداقة بين غوغان وبيسارو -أحد رواد المدرسة التأثرية- سبباً في تقدم فن غوغان الذي كان يملك شخصية مستقلة ومتقلبة أحياناً، وهو بعد أن شارك بيسارو في تصوير الموضوع الواحد في كثير من الأحيان؛ تمرد عليه بعد فترة مع بعض الفنانين، وعلى الأسلوب التأثيري، عندما أدركوا أن تحليل الصورة إلى مجرد ميلودية ضوئية يبتعد بالتصوير عن أي أساس واضح يربط الأشكال والعناصر وينظمها في نسق مجدد، ثم صدم غوغان المتابعين والفنانين عندما قال إن التأثرية تدلل زائد بالفن أو مداعبة غير لازمة، ليس فيها فكر.

لقد كان هؤلاء المتمردون على التأثرية يرون أن للفن إمكانات أبعد من مجرد تسجيل لحظة عابرة، لكن هذا لا ينكر أن التأثرية بالرغم من أنها لم تقم بتحول جذري في أوضاع الفن الأكاديمي المطابق للطبيعة، كما كان أثرها في خلق رؤية فنية جديدة محدوداً؛ إلا أنها -بلا شك- قد أفسحت الطريق ومهدته أمام حركات فنية أخرى جاءت بعدها، فقد كان التأثريون أول من سعوا إلى تطبيق نظريات العلم الحديث في قوانين البصريات وفيزيائية الضوء وكيميائية الأصباغ، وكانوا أول من نقلوا إلى لوحاتهم الأحاسيس البصرية اللحظية، من دون تدخل الفكر الواعي وتنظيم هذه الأحاسيس.

غوغان والأمواج العاتية

تعرض غوغان لأمواج عاتية وصدمات أثرت كثيراً في شخصيته، فمن أجل الفن باع غوغان منزل الأسرة، فعادت زوجته إلى بلادها (الدنمارك) غاضبة تطلب الطلاق، وعندما سافر إليها فشل في إقناعها بأن تستمر معه، فعاد بسرعة إلى فرنسا، بعد أن انفصل عنها عام 1885. وقالت زوجته له إنك أناني لا تبحث إلا عن نفسك، وعندما عاد إلى باريس أرسلت إليه بأن ابنته (إيلين) قد توفيت، وأن ابنه

تأثر الوحشيون بعبقرية غوغان الذي كشف عن أسلوبه الجديد القائم على الرمزية الصوفية والتحرر من قيود النقل الحرفي للطبيعة





بول غوغان صاحب أغلى لوحة في العالم (متى تتزوجين؟) التي رسمها عام 1892 باعها مالكها لمتحف قطر الوطني مقابل 300 مليون دولار

(أميل) هرب إلى الجزائر. وفي عام 1886 اضطر غوغان للسفر إلى كولوني ثم إلى أمريكا الجنوبية، والتقى بالرسام الهولندي فان جوخ، ليقوم شقيق فان جوخ بتمويلهما، ويتعاون غوغان وفان جوخ في عمل لوحات جديدة، لكنهما لم يستمرا معاً، ليصاب غوغان بالكآبة، ويحاول الانتحار بابتلاع قدر من الزرنيخ، ويتم إنقاذه، لكنه يموت بعد ثلاثة أشهر كما توقع.

غوغان والفن الإسلامي

لقد تأثر غوغان بالفن الإسلامي، وانجذب مثل غيره إلى سحر الشرق، بالرغم من أنه لم يذهب مثل غيره من الفنانين إلى دول الشرق، لكنه تأثر ليظل بتاهيتي، حيث عاش هناك من عام 1891 حتى عام 1893، ثم عاد من جديد عام 1895 إلى تاهيتي، وظل هناك بعد ما تأثر بالطبيعة الخلابة والسماء الصافية والمياه الزرقاء والألوان والسكان والحياة البسيطة للطبقة الفقيرة. وفوق جبال جزر ماركيساس أعلن بول غوغان عن انتهاء رحلته من الحياة عام 1903 وقد رسم لوحته الأخيرة في إقليم بريتاني الفرنسي (الشتاء)، بعد أن عاش حياة بوهيمية مليئة بالتناقضات بحثاً عن الحرية والهوية والانطلاقة والخيال، لكنه لم يجد سوى الشقاء والغربة والترحال، فلم يشعر أبداً أنه فرنسي، فهو ينتمي إلى موطن أمه (البيرو)، إلى قبائل الأنكا العريقة - هكذا قالت له الجدة، والأنكا قبائل عريقة في الحضارة والفن الراقي والعلم القديم. وأثناء عيشه في جزر تاهيتي رسم لوحات: (الزمن الجميل) (الأرواح الميتة) (السوق) (العاريات السعيدات) (حياة ساكنة) (إغفاءة القيلولة) (أمومة) (ركاب على الشاطئ) (القمر والأرض)، (متى تتزوجين)، وهي أغلى وأشهر لوحاته. يقول غوغان عن الكتاب الذي ألفه، ويحمل عنوان (نوانوا) أو الرائحة الزكية، وقد شارك غوغان الشاعر تشارلز موريس في تأليفه، ونشر في باريس عام 1900م: (إن المناظر بألوانها النقية الحارة الملتهبة تبهر بصري وتكاد تعميني، وبعد كل هذا أصور كما أرى، فأضع الألوان الأحمر والأزرق على لوحتي من دون عناء كبير، بفرح النور والشمس الذي يغمر لوحتي، إن التعفن الأوروبي القديم قد أفسد الطبع، وجعل التعبير وجلاً جباناً).

إن التجاء غوغان إلى فنون الشرق يعد مكسباً عظيماً لفن غوغان ومعاصريه ومن جاؤوا بعده من المحدثين، فقد كان غوغان وراء بزوغ مدرسة الأنبياء، وهي تضم جماعة من الفنانين الطليعيين بعد الانطباعية، تنبى أعضاؤها التجديد الذي بشر به غوغان في فن التصوير. والأنبياء اسم تبنته مجموعة فنانين، وعلى رأسهم بول سيروزيه، وضمت: غوغان- روسيل- بيوت- سيجان- دنيس- أدوارفويار- بيير بونار. وقد كانوا جميعهم ممن درسوا فن التصوير في أكاديمية جوليان التي تأسست عام 1860 في باريس، وكان معهداً حراً ارتاده الفنانون الذين لم يجدوا

قبولاً في مدرسة الفنون الجميلة. والجماعة التفت حول مفهوم واحد يقترب إلى حد كبير من جوهر الفن الإسلامي ومفهومه وروحه وفلسفته. وإن كانت هذه الجماعة لم تأخذ شهرتها على صفحات تاريخ الفن كمدرسة فنية مستقلة بذاتها، بجانب تفرق هؤلاء الفنانين بعد سنوات قليلة من التقائهم؛ فإننا لا نستطيع إنكار قيمة الدور الذي مارسته هذه الجماعة في انتقال أثر الفن الإسلامي إلى الفن الأوروبي الحديث.

اتسمت مدرسة الأنبياء بروح عامة، هي الروح الصوفية، وطابع الرمزية والغموض. وتميز فنهم بالاهتمام بالجوهر والرمز، ويرمز إليه عن طريق الحدس لا الحس، ومن أجل ذلك عمدوا إلى الاستغناء عن تعقيدات الصنعة والتكنيك؛ بالعودة إلى فيض التعبير التلقائي البكر الذي يقوم على البساطة والتعبير المباشر عن الجوهر والحقيقة، فالألوان ترمز ولا تحدد، والخطوط تلمح ولا تصرح، والأشكال توحي ولا تعرف، وتتداخل الخطوط وتندمج الأشكال والألوان.

أسلوب غوغان

كان أسلوب غوغان يسمى أحياناً بالرمزية أو التركيبية، وهو في الحقيقة أسلوب شرقي المنزع، عربي المنبع. فإذا كانت رمزية غوغان تعني الكشف عن أعماق الموضوع والتعبير عنه تشكيلياً بما يطابق حقيقته، وإن كان لا يطابق مظهره، وإذا كانت تركيبية غوغان تعني عنده أن فنه وحده يشمل المادة والروح الكل والجزء الزمان والمكان؛ فإن هذه النزعة التي نزعها غوغان في الحالتين هي نزعة شرقية أصلية. ويعد تحول غوغان هذا، بل تحول الفن الأوروبي بأسره آنذاك من الأكاديمية إلى الرمزية؛ إنما هو تحول نحو فلسفة الفن الشرقي بوجه عام، ونحو مفهوم الفن العربي الإسلامي وروحه على وجه الخصوص.

كان غوغان بارعاً في تغيير الطبيعة بإدخال مساحات واسعة ملونة. وقد أثرت لوحاته على المدرسة الفوقية، وبخاصة الرسام الفرنسي هنري ماتيس الذي كان مع غوغان يمثلان البداية والنهاية بالنسبة إلى المدرسة الوحشية والفن الوحشي، وهو الفن الذي اهتم بالضوء المتجانس والبناء المسطح، فكانت سطوح ألوانهم دون استخدام الظل والنور، واستخدام اللونية والتبسيط في التشكيل، إنه أشبه بالرسم البدائي. وقد أقامت جماعة الوحشيين معرضهم عام 1900 فأطلق عليهم الناقد الفرنسي لويس فوكسيل هذا الاسم، حيث اعتمدوا على الفنون الفطرية بقوة انفعالها وبساطة تعبيرها وتحررها من قيود الصنعة والقواعد المألوفة في الفن وصرامة الألوان وجرأتها، إذ حاولوا أن يخلقوا عالماً من الألوان والخطوط والمساحات، وأغفلوا عمداً تحقيق البعد الثالث، ولم يعطوا للعمق والفراغ في الصورة اهتماماً كبيراً، كما خرجوا عن قواعد التجسيم والمنظور، وقاموا بتحريف الأشكال وتحرروا نهائياً من كل التزام بمعالم الطبيعة، مقتفين في ذلك جرأة فان جوخ في استخدام الألوان بأسلوب غوغان في تسطيح الألوان والأشكال، وتضحيته بمحاكاة الطبيعة في سبيل جمال التصميم.

لقد تأثر الوحشيون بفن غوغان وعبقريته، وهو الذي كشف عن أسلوبه الجديد المسمى التركيبية **synthetism** القائم على الرمزية الصوفية والتحرر من قيود النقل الحرفي للطبيعة ومحاكاة الواقع، كما أعلن غوغان ثورته على تقاليد الفن الإغريقي. وقد ورث الوحشيون عن غوغان ملامح أسلوبه الجديد، بخطوطه الموجزة وسطوحه العريضة المنبسطة، وأشكاله المسطحة وألوانه الصافية الساطعة.

تعرض غوغان للنقد بسبب اتجاهه إلى ثقافات مغايرة لثقافة عصره ومجتمعه، واستمد منها مقومات أسلوبه الرمزي، في الوقت الذي غيرت الثورة الفرنسية (1789-1799) الكثير من المفاهيم والانطباعات لدى الفنانين الفرنسيين، ومنهم غوغان بالطبع، وقد تحرر الفنان الفرنسي من التعاليم الأكاديمية الصارمة التي وضعت بذورها أكاديمية الفنون الجميلة، حيث تفرض هذه التعاليم على الدارسين من خلال الاهتمام بالشخصيات المهمة والموضوعات الكبرى، وتحرم عليهم الاهتمام بتصوير الطبيعة أو الموضوعات التي تهم الناس العادية، حيث أحيط الفن بسياج من المراقبة والتحصين، فكان في خدمة الدولة والحاكم، ثم جاءت الثورة الفرنسية لتعلن عن انطلاق الفن التشكيلي وتخلصه من الأعباء والقيود والجمود والأغلال والصارمة، فكانت الحركة الفنية المسماة بالتأثرية في نهاية القرن التاسع عشر بزعامة مونيه وسيزان وبيسارو سبباً في انطلاق غوغان، وتأثره بالتأثرية، ثم اتجاهه إلى المدرسة التكعيبية التي ساهم في وجودها وتأسيسها، والحركة التركيبية، ثم مدرسة الأنبياء، وجماعة الوحشيين. ليؤكد غوغان عبقريته وتجدده في الفن التشكيلي، فهو خلال رحلته الطويلة لم يترك نفسه فريسة للقيود، فكان رغم الظروف القاسية التي عاشها منذ طفولته غارقاً في الفن ومجدداً فيه. لقد تأثر بفنانين سبقوه، وكان تأثيره واضحاً في فنانين عاصروه وحتى من جاؤوا من بعده.

لقد قام غوغان بالانتحار لأنه لم يجد من يقدر لوحاته وإبداعه وفنه، واليوم هو صاحب أغلى لوحة في العالم، فضلاً عما ناله من التقدير والإعجاب من النقاد والمتابعين للفن التشكيلي.

عاش غوغان رحلة عمره ما بين اليتم والشقاء والترحال والإفلاس وفشله في الوظائف والأسرة ليقرر الانتحار هرباً من هذا العالم الذي لم يقدر موهبته

رأس الحكمة



محمد عبدالله عيسى: مصر

(مقطع من رسالة إلى صديق):

- ..عرفناك تلميذاً نجيباً بيننا، نبهنا أساتذتنا إلى أمرك في مدرسة الفرنجة البعيدة، التي تدربنا لأيامنا القادمة، نحن أبناء القصور والممالك وسادة العالم، بالرغم من أنك كنت الوحيد بيننا من أبناء العامة في بلادكم، لكن نبوغك يشفع لك عند الجميع، حتى دسوك بيننا، لتنضح علينا بما يفيض من قرائحك، دوماً تسبق زمنك، لذا أمرت رأس (النظار) أن يكتب لك عن الحال والأحوال، وما آلت إليه الأوضاع، وحجم الذي ضاع.. ننتظر تأويلك في أمرنا.

***

لقد أسرع يركب الجو، يسابق السحاب، يهبط إلى رفيق الأيام الخضراء، عندما صرخ في طلبه لنجدته: (وا عزيزاه.. وا عزيزاه)، يريده إلى جواره، يشد من أزره، يسديه النصح والمشورة، يدق معاول الأمل في جدران الكوارث الممتدة، يحطمها، يعبر بها المحنة التي ألمت به، وبقومه.

- رهن إشارتك يا (رأسنا)..
- امزج لنا الحلم بالمستحيل لاستنباط نبوءة الخلاص..
- أمهلني.. أفكر..
- نريد طوق النجاة، يشدنا إلى البر..
- سأعكف على ذلك.. وليكن البر مقصدنا..



(مقطع تائه من مظلمة مجهولة)..

وإنه تفشت البلية، وساءت أمور الرعية، لم يعد بيننا مكان للحاتم بعد أن أخفوا المظالم عن الحاكم. والناس فروق، هذا مساق، وذاك مسوق. والأيام تبلع الجبال، والرجال يطحنها النزال، فذاب الإنس في الجان، وانتشر الموت بالمجان في الزمن العسير، فغلا الفجل والبصل والشعير. الحدث كبير، والهم كثير؛ أن يستوي العلماء بالحمير.

آه.. ونظار الأماكن يثرثرون في ملل، لا يدرسون الأسباب والعلل.. آه.. و...

(مقطع.. سري.. من رأس الحكمة.. إلى...)

وبعد...

لم يرفعني في غضبي سوى فكرتكم السديدة، ورغبتكم الشديدة في (الأرض الجديدة) على الجانب البعيد من النهر، فكرة تسبقون بها الدهر.

(هناك.. وحدهم.. حيث.. لا يتصارعون.. لا يتخاصمون.. لا يتكلمون.. فقط.. يعملون.. يأكلون.. يتناكحون.. وينامون..)..

فتوكل على الله يا (عزيز).. واجمع من كل الأماكن خيارها.. أنقى وأتقى ثمارها.. وضعهم في السفينة، ودثرهم بالسكينة.. حتى إذا وطأت أرجلهم أطراف النهر.. زرعوا الفول.. والحمص.. والزهر..

ولنا عودة في الأصيل.. إلى قراءة التفاصيل..

تعبت يا (عزيز).. تعبت..



(مقطع من مكاشفة الأهل)..

بكى (الرأس الكبير) في حضرة رؤوس العائلة (أخواله.. أعمامه.. أولاده.. أحفاده.. أبناء أحفاده..).. فامتثلوا لما فعل.. بكوا مثله -حتى لا يجرحونه- قبل أن يقفوا إلى الأسباب.. لقد عهدوه قوياً.. صلداً لا يلين منذ نصّب (رأساً) لهم في الزمن البعيد، بعد وفاة والده (الرأس الصالح)..

قالوا: أخبرنا.. نبهنا يا (رأسنا)..

قال الرأس: أفزعني ما كان منكم في غيبوبتي..

قال ابن: كنا نتخبط في غياب وصاياك الحكيمة.. تُعلمنا.. تُحركنا.. تضيء لنا الطريق.. ترسم خطانا.. تبصم فوق ملامحنا..

قال حفيد: زوّجتنا.. أكّلتنا.. شرّبتنا.. حتى نمنا في غيبوبتك.. ننتظر الحلم في عودتك..

قال عم: كنا نجتمع في كل صلاة.. نبتهل إلى الله.. ندعوه بكشف الغمة..

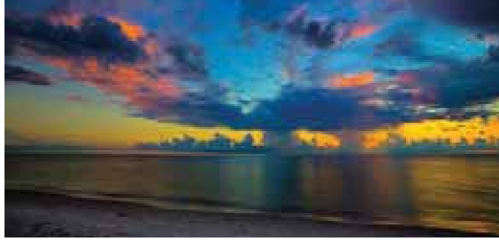
قال الرأس: لماذا لم تتحركوا؟

قال خال: لقد ربطتنا إلى حكمتك، نعود إليك في كل صغيرة وكبيرة..

قال الرأس: لماذا تركتم الأمور إلى ما آلت إليه؟

قال ابن حفيد: تحاشينا غضبك في اتخاذ القرار..

تطلع إليهم وهو يغادرهم.. يمسح خلسة.. دمعة هاربة.. سقطت على لحيته.. يتمتم في نفسه.. (لله الدوام)..



(مقطع مختصر من مكاشفة الأصيل)..

- نسميها (رأس الحكمة).. كما يريد الفتية..
- لهم ما يريدون.. وبعد.. أين موقع الآباء والشيوخ في أيامنا؟
- ما أن تجود (رأس الحكمة) بخيرها حتى يلحقون بفتيانهم.. ينعمون.. وتنعمون معهم في الرخاء القادم..
- وماذا عن الخبيثين؟
- نخصيهم يا (رأسنا)..
- والخبيثات؟
- لن تغلب لنا حيلة..
- هه.. هه.. عصفورين بحجر يا (عزيز)؟
- نعم يا (رأسنا)... عاقبناهم للأبد..
- حتى لا يعود الآخرون لأفعالهم..
- ثم جنبنا الأرض الجديدة...
- لا تسترسل.. أدرك.. شر بذورهم الخبيثة..

(مقطع من كلمات مبعثرة)..

الهوجاء.. العاصفة.. تسيطر على الريح.. لا نستطيع.. و.. السفينة... و... (وبشر الصابرين)..

رحلة الجيتار من الفرعونية إلى العالمية

محمد محمود فايد: مصر

تشكل آلة الجيتار أصغر أوركستر موسيقي، فلكل وتر بها، صوت متميز ولون مختلف، خصوصاً إذا اعتمد تكنيك عزفها على نوتة موسيقية، تجود عزف أي مقطوعة خاصة، بشكل يؤدي لتفاعل نغماتها الساحرة مع الوجدان البشري. يعزفها أكثر من 50 مليوناً حول العالم، رغم أن قلة تحقق الشهرة العالمية، بقدراتهم الفنية العالية ومهاراتهم الممتازة، التي لا يكفي معها عزف الجمل الموسيقية المدونة بالنوتة دون إضفاء إبداعهم الفني عليها، والذي يتكون بالتدريب المكثف والاستماع الدائم لأهم العازفين والتفهم الكامل لإمكانيات الآلة.



ينصح بالتعلم على الجيتار الكلاسيكي لرخص سعره وعدم الاحتياج لمكبر صوت لسماع العزف وأوتاره أقوى من الجيتار الكهربائي

تظهر الرسوم الجدارية والآثار الباقية لبلاد ما بين النهرين في الثقافات البابلية، وكذلك المصرية القديمة أشخاصاً وعازفات يحملون وتريات كالجيتار الحالي، تشترك معه بوجود الصندوق المصوت، المتصل برقبة تخرج منه، إضافة إلى تطويرات آلة العود، وإدخالها كآلة عربية للأندلس بمعهد (زرياب) المنهجي بقرطبة في القرن الثامن الميلادي، والتي يؤكد الباحثون أنه انبثق عنها بعض الآلات، كالبانجو -الماندولين- الجيتار، رغم اختلاف أشكالها، وانتقلت من إسبانيا إلى أمريكا، كأهم الآلات الشعبية في فرنسا وإيطاليا وإسبانيا، ومع بداية القرن الـ 17 الميلادي استخدمت كآلة مهمة. وهناك تقارب لغوي بين اسم (الجيتار) واسم آلة (القيثار) أو (سيتار)، حيث الجيتار **Guitar** كلمة أعجمية اشتقت من اللغات الشرقية، أخذت غالباً عن (جارتاره) **Tehartare** بالفارسية أي (القيثارة)، حيث ترادف كلمة **Kithar**، وتشبه آلة (الليرا) **Lyre** في اليونانية والرومانية، في حين أطلق الموسيقيون اللاتينيون على (القيثارة) سيتارا **Cytara**.

الأصول والحداثة

تطورت الوتريات المصرية القديمة من صورتها المبسطة إلى المتكاملة، وظهرت نقوشها على الجدران، ومنها قيثارات أو سيثارات عثر عليها سليمة، وهناك نقوش تؤكد وجود الجيتار منذ العصور الفرعونية القديمة قبل ظهور الحضارة اليونانية بثلاثة آلاف عام، في رؤية أهم المبدعين العالميين للجيتار أندريا سيجوفيا (1893-1987م) الذي يرى أنه من الخطأ أن ننسب أصولها للغرب، بينما أصولها الشرقية، واسمها في النقوش الفرعونية (قيثارة) وأن العرب أسموها فيما بعد (جيترا)، ثم جاءت الأسطورة اليونانية التي تقول إن الصياد والصيادة، عوليس وديانا كانا يستخدمان أثناء الصيد قوس رن وتره، لذا قيل إن الجيتار جاء كتطوير يوناني. ويرى بعض الباحثين أن أول عازفيها الملك الفرعوني رقم 28 في تاريخ مصر القديم (شيبس رع)، أول ملوك الأسرة الـ 24 في القرن السابع قبل الميلاد، وقد عثر على بردية كوميك **Comic Papyrus** التي تعود إلى عهد الأسرة الـ 18، وتعبر عن الطبيعة البديعة للفرق الموسيقية أثناء العزف والغناء على القيثارة، يؤكد ذلك د.محمود الحفني في مرجعه القيم (موسيقى قدماء المصريين)، مضيفاً بكتابه (علم الآلات الموسيقية) أن القيثارة الآسيوية شوهدت أول مرة في نقوش الأسرة الـ 18 في عهد الملك أمنوفيس الثالث، ثم في عهد ابنه أخناتون، تعزف عليها مغنيات بفرقة آسيوية، لذا لا يوجد لها اسم هيروغليفي سوى (دجاجات) الذي أطلق على (القيثارات)، و(هي تسمى على التشبيه بأصوات الطيور المائية والعصافير) في رؤية الباحث غطاس عبدالملك في مرجعه القيم (آلات الموسيقى الشرقية)، ثم نقلها الإغريق، ثم الرومان وفرنسا وإنجلترا، ويرى ماكس بنشار في مؤلفه (تمهيد للفن الموسيقي) أنها مع القرن الـ 17 الميلادي، سميت جيترن أندلسية **Guiterne Moresque**، وفييل إسبانية **Viele espagnole**، واستقرت بالأندلس، وفي العصر الكلاسيكي أصابت ميلاً وجدانياً خاصاً، إلى أن تخطت آلة العود في القرن الـ 18 الميلادي، ويستخدمها بعض المحدثين بمصر ظناً منهم أنها تقوم مقام العود، لكن نغم العود أفخم وأضبط طبقة وأقرب إلى التصويتات الإنسانية، أما آلة الجيتار فنغمها مهزوز ليس فيه تفصيل نغم العود. من الآلات التمهيدية للجيتار بالقرن الثامن الميلادي، آلة (باندورا) **Pandoura** اليونانية، التي انتشرت في أوروبا بانتشار فرق الغجر، وكانت بثلاثة

أوتار ورقبة قصيرة، وفي القرن الـ 14 الميلادي كانت هناك آلتان تحملان اسم جيتارا Guittarra، هما: Guittarra Latina وGuittarra Morisca. صدر أول كتاب للجيتار عام 1535م تأليف لويس ميلان، الثاني كان عام 1538م للمؤلف Narvaes، الثالث عام 1546م للمؤلف Mudarra، وفي ذلك الوقت كان للجيتار أربعة أوتار مزدوجة، وفي إسبانيا شاعت آلة Vihuela في الاستعراضات الشعبية، فكانت بمثابة بداية التطلع لمعرفة الجيتار عام 1500م، باثني عشر وتراً وبعدة ثقوب على سطحه ليستطيع العازفون وضع أصابعهم للحصول على النغمات المختلفة، ونظمت الأوتار في ست دورات، مما يعني ست مجموعات أوتار، وكان أصغر من الجيتارات الحالية وأسهل كثيراً لعزفه بأربعة أصابع. وفي القرن الـ 16 الميلادي كانت (آلة Viheladeona النوع الأشهر الذي كتب لها الكثير من المقطوعات التي لم تزل تعزف إلى اليوم. وفي منتصف القرن الـ 16 الميلادي أضيف وتر خامس، وضبطت على (لا- ري- صول- سي- مي) وهو الضبط الحالي. وفي عام 1621م احتل الجيتار الإسباني الأكبر حجماً مكانة شعبية بارزة لجهارته. وفي عام 1627م نشر كتاب لتعليمه بعنوان: Guittarra Espanola Vandola. وفي عام 1850م صنع الإسباني Antonio Torres أفضل جيتار من الخشب الخفيف، القوي في ذات الوقت، بلوحة كبيرة وستة أوتار وفتحة كبيرة للعنق). (عمرو عبده دياب- موسوعة الآلات الموسيقية- الهيئة العامة للكتاب- 2012م - ص 103)، استرعت الجيتار كآلة ميلودية وبوليفونية، اهتمام كبار العازفين والمؤلفين الكلاسيكيين أمثال: جويران- أماتي- سانز- كارولي، فوضعوا أسس أول مدرسة لعازفيه، عمل جوليان بريم- سور- تاريجا بمؤلفاتهم الساحرة، على الارتقاء بالمستوى الفني الرفيع في القرن الـ 19 الميلادي. ويختلف شكل الجيتار الآن (بقاعدة صندوقه المصوت وصدره المسطحان، ويشبه الرقم 8 برقبة عريضة) (د.زين نصار- عالم الموسيقى- الهيئة العامة للكتاب- 2008م- ص36).

كانت المدرسة الحديثة قد تطورت، بفضل إبداعات أندريا سيجوفيا، ونارسيسو ييبس، وألكسندر لاجويا، وممن يعزفون بأسلوب سيجوفيا اليوم: كريستوفر باركينج- ريكاردو كوبو- ليلى أفشار- عائلة رومير، وفي موسيقى الجاز برز البلجيكي دیانجو ريمهارد (1910-1953م) الذي احترقت يده اليسرى في سن الـ 18 عاماً، مما أدى لاستخدامه إصبعين فقط منها لتغيير النغمات ولم يتوقف عن العزف، فأصبح أشهر عازفي موسيقى الجاز السريعة، أما الأمريكي شارلي كريستين فكان من أهم عازفي الجاز بالجيتار الكهربائي. واليوم يتربع على القمة المبدعون: جون ميشلين- بات ميثن- جون سيكفيلد، وفي موسيقى البلوز اشتهر مودي وترز (1915-



هناك تقارب لغوي بين اسم (الجيتار) واسم آلة (القيثار) أو (سيتار).. والجيتار كلمة أعجمية اشتقت من اللغات الشرقية

1983م) بإحساسه العميق وقوة موسيقاه، أما في موسيقى الروك انتشرت معزوفات العالمي جيمي هندريكس، وإريك كلابتون (1942-1970م) واستطاع أن يعزف الكوردات والصولوهات السريعة في ذات الوقت، استخدام مكبر صوت.

الأنواع والضبط

منها آلات كبيرة، أصواتها أعلى عن المعتاد، وهناك جيتار الباص غير الأساسي ويوظف في اللحن المصاحب لعزف النغمات والنوتات، بعمق لإعطاء معان وزخارف جمالية، يوجد المكسيكي بأربعة أوتار، أما العادي فبستة أوتار، ورغم تشابه أشكاله الخشبية والبلاستيكية والمعدنية، إلا أنها تختلف من حيث تركيباتها وأوتارها، ففي حين تصنع الأوتار الثلاثة الأولى: مي- سي- صول، من النايلون، تصنع الثلاثة الأخرى: ري- لا- مي، من أمعاء الأرانب، ولكل منها مكانة بالنوتة الموسيقية، ويختلف مدى شدها وطولها وثقلها، وتستقر الأوتار المشدودة في مكانها أكثر من الأوتار الحرة لخفتها ولاهتزازاتها الأسرع، لذا تضبط قبل العزف، وعادة ما تهتز الأوتار بين المشط والقصبة، وتعزف نبراً بالأصابع أو بالريشة البلاستيكية، كما تؤثر نوعيتها في تغيير الأصوات، فالمعدني منها أكثر إبهاجاً وأخشن صوتاً، وتضبط بواسطة البيانو أو جهاز الضبط الإلكتروني أو الشوكة الرنانة أو أنابيب ضبط الطبقة الصوتية. وينصح بالتعلم على الجيتار الكلاسيكي لرخص سعره، وعدم الاحتياج لمكبر صوت لسماع العزف، كما أن أوتاره أقوى من الجيتار الكهربائي، سهل الحمل، يستخدم لعزف الموسيقى الإسبانية والشعبية والروك، في العديد من الأماكن التي لم يزل لديها طرز الموسيقى الفولكلورية، كالمكسيك وإسبانيا، ولمصاحبة الأغاني التي يتم تبادلها بين المجتمعات، وتنتشر موسيقاه بجنوب الولايات المتحدة بشكل كبير، ورغم أن صوته ضعيف، ينتزع منه الموسيقيون بعض الصرخات العاطفية، لأنه أساساً آلة الإيحاءات والأصوات الناعمة، وللجيتار روح عاطفية نقية لا يكتشفها إلا عاشقوها، ولفرط هدوئها، يصعب توظيفها أوركسترالياً، لكن منذ عام 1800م أبدع عليها البعض موسيقى كلاسيكية، مثل باخ الذي طورها، وفرناندوسور الذي كتب لها أجزاء خاصة، فتكيفت موسيقاها مع الموسيقى الكلاسيكية، وفي عام 1940م كتب جوهان رودريجو بعض المؤلفات الأوركسترالية التي لم تزل تعزف حتى الآن. استخدم الجيتار الكلاسيكي بجانب الكهربائي لعزف موسيقى البلوز والجاز الارتجالية، وتأثرت بموسيقى الأفارقة المهاجرين وعبرت عنهم. أما موسيقى الفلامنكو الفولكلورية، فتعود أصولها لجنوب شرق آسيا، وتصاحب موسيقاها الارتجالية السريعة بعض الرقصات المعقدة.

وعادة ما يتكون الجيتار الكهربائي من معدن رقيق الأوتار، نسمعها من خلال مكبر الصوت **Amplifier** الذي يحول الإشارات الصادرة من اهتزاز الأوتار الى موجات صوتية، أول الجيتارات الكهربائية كان من الخشب المصمت **Lespaul Built** عام 1941م، الذي عشقه الناس وكان سبباً رئيسياً لانتشار الفرق الموسيقية والاستمتاع بموسيقاها وغنائياتها. تصنع أوتاره من المعدن الخفيف، ولاقتراب أوتاره من بعضها يسهل تعلمه عن الكلاسيكي، وهو يعزف بالريشة البلاستيك وبالأصابع، ويستخدم في المصاحبات اللحنية والهارمونية، الموسيقية والغنائية، وعادة ما تعزف موسيقى الروك به منذ العام 1950م، على يد شاك برى الذي دمج موسيقى البلوز بالموسيقى الشعبية لإبداع أنموذج أكثر تعبيراً، وعادة ما يستمتع عازفو الروك بعزف صولوهاتهم، مراراً وتكراراً عليه بتكنيك مميز وإيقاع سريع. ويتميز الجيتار بالعزف المزدوج على وترين أو أكثر، في وقت واحد بجانب أدواره المنفردة. أبرز مؤلفات الجيتار الكلاسيكي: (كونشيرتو الجيتار) لموريس أوهانا- (كونشيرتو للجيتار والأوركسترا) لكاستيلنو تيديسكو- (صوناته للجيتار) لجواكين تورينا.

الرجل صاحب أكبر مخيلة!

أميرة الوصيف: مصر



كان يلتف في سرواله الضيق، قدمه المتقشفة يغار منها الطين حتى أن آذان الشجر تسمعه يغازلها بحقد قائلاً: صباحك دأب يا سيدة القذارة!

ما أصبر قدمك على السير يا صاحب المخيلة الكبيرة!

في قرية يدهن خطوط جدرانها زيت الشموس، يحيا الناس متدثرين بالواقع تماماً بتلك الطريقة العفوية التي وجدوا بها آباؤهم، وتقبلوا بها كروشهم، وقبلوا ظهور أيديهم إثر ابتلاعهم ربع رغيف.

أهل القرية لا يختلفون في أمر، ولا ينقسمون حول أمر، ولا يتأملون أمراً، ولا يفكرون في الأمر.

جميعهم يحب النظر إلى السماء دون أن يجرؤ على لمسها.

الناس في القرية يحبون كل شيء، ويتقبلون كل شيء، ولا يكرهون شيئاً إلا هذا الرجل متورد الوجه، ذو اللحية الذهبية، والعينان الرماديتان اللتان يختلط دمعهما بالفلسفة، رجل من هذا النوع الذي ماأإن وقع بصرك عليه إلا واستشعرت في قرارة نفسك أنه يفهمك.

يحكى أن الرجل كان دائم الصمت، لا يتحدث أبداً حتى أن أهل القرية ظنوه رجلاً أخرس أو أن فمه موصد بأيدي الجان ثم تناقلوا الشائعة فيما بينهم حتى صدقوها، وصدقتها البيوت والنوافذ والديدان الطويلة وسراويل الفقراء المكشوفة، وكلفوا أصحاب الأوزان الخفيفة بتتبعه والمشي خلفه أينما ذهب.

ويحكى أن الرجل لم يلتفت يوماً خلفه كي يلمح تلك الوجوه التي تراقبه وهو متجه مع نداءات الفجر المربكة إلى ضفة النهر جالساً القرفصاء ناظراً إلى صفحة النهر بفضول غير مفهوم هائماً في عوالمه الخفية وخبله المعلن أمام الجميع.

الوجوم على وجهه، ما أغرب تلك اليقظة النائمة عندما تبدو للجميع مفتوح الأعين وأنت تغط في سبات عميق.

يظل الرجل مبحراً بعينيه في النهر، يقبل الليل

وليل هذا الرجل لا رهبة فيه، وما من حزن يجري في عروقه فكل من راقبه وجد وجهه مبيتاً للسلام وكأن الطمأنينة شكلت ملامحه لا الصلصال.

يضع يده على أذنيه كمحاولة لاستجداء المزيد من الأصوات من حوله، وكأنه يسمع أشياء أخرى غير التي يسمعها الناس.

يرمي بكفه العجوز في الأتربة أمامه ويضغط بأصابعه اللينة على التراب في قرابة واضحة.

كان يحمل معه قارورة ماء وبذور ثمار متنوعة وأصدافاً بحرية ولم يطلب يوماً معونة ولا طعاماً.

لم يعرف الضحك لكنه كان باسماً، ولم يعبس وجهه لكنه كان مهموماً.

استمر أهل القرية في مراقبة الرجل، ولم يحدث أن ثار العجوز يوماً على عاداته الغامضة إلا أنهم يوماً وجدوه مستلقياً أمام النهر، وهذه المرة كان الرجل مغمض العينين رائق الوجه مسترخي العضلات، كان وجهه شفافاً كصفحة النهر وشفتاه مطبقتان على صمته الطويل.

وبجواره صندوق خشبي مملوء بالأصداف والبذور وورقة يغمرها البياض منقوش في قلبها عبارة بارزة: أوصيكم بالخيال!

دمعت أعين المتجمهرين حول جثة الرجل، وتدرجت وجوههم بالحمرة وكأنهم ولأول مرة يتوقون لمعرفة حكاية وتمنى بعضهم لو أنه ذات مرة تطفل على هذا الرجل بسؤال واشتاق بعضهم لإملاء أعذاره على الرجل وهم بعضهم يسأل: كيف ومتى ولماذا؟

وتناقلوا حكاية الرجل، ودفنوه في مقبرة كتبوا فوقها: هنا يرقد الرجل صاحب أكبر مخيلة.

سطح الطاولة

حنان محمد الأحمد: أمريكا

تلك اللوحات المرصوصة بجوار بعضها قد جعلته يغوص في تأمل كل تفصيلة قد خطّت في دواخلها لأكثر من ساعة، تحرك أخيراً نحو طاولة مدورة صغيرة من الخشب قد حملت على رأسها كوبين بيضاويين بقهوتهما السوداء، حيث لا عنصرية ولا أعراق ومفارقات قد تدخلت في التحامهما، جلس نحوها وحمل كوبه متنهداً بعد أن أتعبه الانبهار، قال بعد دقيقة كاملة:

- كم ترسمين بشكلٍ جميل!

حملت كوبها بابتسامة لطيفة قائلة:

- بل أنت من ينظر بشكل جميل.

أسعف كفه الأولى بالثانية ليحتضن كوبه جيداً، وكأنه قد خشي عليه من السقوط خجلاً، ليقول بضحكة صغيرة:

- والآن من يجب عليه شكر الآخر!

- جميعنا يجب أن يشكر، آن لنا أن نكتفي من جعل الشكر مقصوراً على شخص واحد؛ لأن الآخر قد أخبرته عظمته بأنه هو يُشكَر فقط ولا يَشكُر!

- كيف تقلبين موازين كل حديث يا فتاة! لم أقصد ذلك أبداً!

ابتسمت قائلة: إنما أنا أقصد كلماتي تلك حرفيّاً.

نظر إليها لثوانٍ ثم قال:

- أتقصدين كلماتك الأولى تلك أم حديثك الأخير هذا!؟

ضحكت بصوت عالٍ لتزيد عليه خجله قائلة:

- كلاهما صدقني!

حاول إيقافها بكلمات متلعثمة قائلاً:
- لم أكن أريد أن تشكريني! لم أقصد ذلك! كنت أحاول فقط أن أخرجنا من إطار الحوار الجدّي!
- هنا بالذّات وحينما تنتابك هذه المشاعر كان عليك أن تشكر، حينما تخجلك كلمة قد لمستك وأسعدتك لا تحاول الهرب وإنما استمتع بها وأشكر بجديّة!
- غلبتني بحديثك، كعادتك!
- أشكرك.
وضع كوبه فجأة ونظر بعينين واسعتين قائلاً:
- أتعنين أن هذه الكلمات قد لامستك أكثر من إطرائي السابق على لوحاتك؟!!
- نعم وكثيراً!!
- مجنونة حتماً!
- صادقة فقط!
حمل كوبه مجدداً ليرتشف القليل قبل أن ينظر مجدداً نحو لوحة كانت أمامه مباشرة ليسأل بعد دقائق من التأمل:
- وكيف تصفين لي علاقتكما من خلال لوحتك هذه؟!
أمالت برأسها تجاهها وكأنها تراها للمرة الأول لتخبره بعد ثوانٍ طويلة:
- كالأمّ العربية، تنجب أبناءً لتتبرأ منهم في اليوم مئة مرة! كنساء الشرق يتزوجن ليطلبن الطلاق في كل مرة!! هي ككل علاقة يجب أن تنتهي وتتوقف لكل ثنائي يعجز عن الانفصال!
- ولمَ لا تنفصلين!! ما الذي يمنعك؟! لمَ أنتِ عاجزة؟!
- ربما الخوف من الانفصال، ممّا بعده!
- لأول مرة لا أجدك محققة!
- وهل أنت ممّن يظنون بأن الحياة تعتمد على الحق أو المنطق فقط! هناك ما يفوقهما إنه الجبران، أن تُجبَر على الاستمرار دون منطق ولا رغبة لأنه هذا ما تعتمد عليه الحياة حقاً!
- أخبريني ممّ تخافين بالتحديد؟! إذا انفصلتِ وهربتِ بعيداً ما الذي سيحدث؟ هل تظنين بأن العالم سيتوقف وسينتهي كل شيء؟! لا تكوني حمقاء!
ابتسمت لترد بضعف:
- أنا لا أخشى على العالم أن ينتهي، أخشى أن لا أكون صالحة للعيش فيه بعدها!
- تزوجي من أيّ رجل صالح إذاً وتخلصي من قيود هذه العلاقة دون أن تنهيها دون أن تخسريها للأبد!
- أ لأكون أنموذجاً جديداً يريد الطلاق ويعجز عنه! أ أهرب من قيودي لأتقيد بحبال غير مرئية لرجل مجهول! وكأنك تخبرني أن أقفز من فوّهة البركان لأحشاء المحيط!
وضع كوبه بسرعة وقفز صارخاً:
- وجدتها! أنتِ تصفين هذه اللوحة، أليس كذلك!؟
كان قد وصل إلى لوحة في زاوية الحجرة بقفزتين سريعتين فقط! نظرت إليه بدهشة لتعاود الضحك من جديد، عاد إلى مكانه خجلاً ليقول أسِفاً:
- أعتذر حقاً، أعتذر من أعماق قلبي!
- لا داعي للاعتذار.
- كنتِ تتحدثين بعمق وحزن ولكنّي تصرفت بحماقة، لا أريدك أن تعتقدي بأنّي لم أكن أنصت لكِ!!
- بل أنت قد أثبتّ لي بأنك كنت منصتاً وبكل جوارحك لذا تمكنتَ من العثور على اللوحة من بين كل هذه اللوحات!
ضحك بخجل ليقول: شكراً لكِ!
رفعت حاجبيها وقالت ساخرة:
- أوه، وها أنت تنفذ ما تنصت إليه! رائع أنت!
ابتسم ليرد:
- نعم، ولكن ما زلت لا أفهم كل ما تعنينه بعد!
- حسناً إذاً، لأخبرك ما أعنيه بطريقة عملية!
أمسكت كوبه بكفها الأخرى لتسكبه أمامه على الطاولة وتقول:
- فلتشرب قهوتك الآن!
- ما هذا! ما الذي فعلتيه!! أنا فعلاً لا أفهمك الآن! كيف سأشربها!؟
- هذا ما يفعله الانفصال! انظر إليهما كلاهما مازال حيّاً أمامك، وسليمين نظريّاً! ولكنهما الآن غير صالحين دون بعضهما، كوب فارغ وقهوة على سطح الطاولة!!
نظر لها بعمق لثوانٍ طويلة قبل أن يحاول سحب كوبها منها، قائلاً:
- أشكرك مجدداً على هذا الشرح الرائع ولكنّي لم أنوِ شرب قهوتي بعد!!
كانت قد أرخت له كفّها عمداً ليحتسي قهوتها وهي راضية.

تختال بجمال المكان والوجدان

شفشاون.. وديعة أندلسية





محمد القاضي: المغرب

شفشاون مدينة تتميز بخصوصيات جغرافية وتاريخية وحضارية في شمال المغرب، وذلك بحكم موقعها وسط سلسلة جبال الريف، فهي تبعد عن مدينة تطوان شمالاً بستين كيلومتراً وعن مدينة وزان جنوباً بنفس المسافة. وهي ذات موقع حصين يلف بها خمس قمم جبلية، اختار موقعها مؤسسها علي بن راشد لتكون قلعة للجهاد ضد هجومات البرتغاليين على السواحل المغربية الشمالية في القرن الخامس عشر الميلادي (1471م) أي في السنة التي سقطت فيه مدينة طنجة في يد البرتغاليين، وتم احتلالها من طرفهم. روعي في تأسيسها ما اشترطه العلماء في تقدم المدن وازدهارها وهي: ماء جار، وأرض خصبة للزراعة وغابة صغيرة قريبة تكون مصدراً للحطب، وسور يحميها وقبائل تحيط بها وحاكم يحافظ على سلام وأمن الطريق، وأناس لهم روح قتالية قادرة على الدفاع في حالة الهجوم.

وقد لعبت هذه المدينة دوراً تاريخياً مهما تجلى في ردع هجومات البرتغال والإسبان على مدينة تطوان من جهة مدينة سبتة التي كانت محتلة من طرف البرتغال، بحيث وحد مؤسسها خطة الجهاد مع مؤسس مدينة تطوان المنظري الغرناطي، وزوجه ابنته السيدة الحرة التي ستصبح حاكمة للمدينة ومحيطها لمدة تزيد عن ثلاثة عقود من الزمن، وهي أول امرأة مغربية في التاريخ الإسلامي تتولى هذا المنصب، واتسمت بالحزم والصرامة في موجهة العدو البرتغالي براً وبحراً، كما أن مدينة شفشاون أصبحت إمارة مستقلة تتحكم في المحيط الجغرافي الذي يلف بالمدينة من جبال غمارة والأخماس وبلاد الهبط إلى حدود مدينة أصيلة على الساحل الأطلسي، واستمرت قرناً من الزمن تقريباً (96 سنة) توارث على حكمها ثلاثة أمراء، خضعت بعد ذلك لحكم السعديين.

وقد استقبلت هجرات الأندلسيين منذ سقوط الأندلس سنة 1492م إلى النزوح النهائي سنة 1609م.

وكان لهؤلاء الأندلسيين الدور الكبير في توسيع المدينة وتطويرها اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً، بحيث أصبحوا يشكلون الأغلبية فيها، ولعلها المدينة المغربية الوحيدة التي مازالت محافظة على طابعها الأندلسي في مجالات العمران والزراعة والصناعة والعادات والتقاليد إلى اليوم ما جعلها قطباً سياحياً وسينمائياً على الصعيدين الوطني والدولي.

لقد تجانست عناصر بشرية متنوعة خلال تاريخها، فسكنها البرابرة والعرب والأندلسيون واليهود والإسبان بعد الحماية (1920 إلى 1956م).

وقد نتج عن هذا التجانس وجود العديد من العادات والتقاليد والتأثيرات مازالت راسخة داخل المدينة ووسط المجتمع تتوارثها الأجيال وإن كان بعضها دخل عليه تغيير بسبب التجانس الجديد الذي أحدثته الهجرة من القرى والبوادي والمدن المجاورة والبعيدة، إلا أنها مازالت متميزة بخصوصياتها تنفرد بمعطيات حضارية وثقافية وتراثية تبدو بارزة للعيان، فهي تختزل خمسة قرون في يوم أو يومين للزائر إليها. وقد تجلبه للمكوث بها مدة أطول، أو يعاود زيارتها مرات ومرات.

إنها شفشاون، التاريخ، الأصالة، الجمال، الطبيعية المتميزة، تمارس إغراءها على الجميع، تتميز بتنوعها الحضاري والتاريخي والمعماري، تحافظ على أسرارها التاريخية بكثير من الإخلاص، وهذا ما يمنحها سحراً خاصاً وتميزاً عن باقي المدن المغربية، فهي تجمع ما تفرق في غيرها، عطاء إلهي جعلها على امتداد العصور والأحقاب المزار الذي لا يمل، والمكان الذي لا يشاهد فيه سوى ما يريح النفس والعين. لن تصل إليها إلا صعوداً، ولا تبلغ بيوتها إلا صعوداً، وساحة وطاء الحمام هي المنبسط الوحيد في المدينة العتيقة.

تزخر بالمعالم التاريخية المبثوثة في دروبها وأزقتها وأركانها: فنادق قديمة، وحمامات تقليدية، وأفران عتيقة، ومساجد عريقة، وزوايا صوفية، ومنازل أندلسية بتصاميمها وأبوابها ونوافذها، وأضرحة الأولياء والصالحين، والحي اليهودي (الملاح)، والسواقي والأسبلة، والسوق القديم، وأماكن الدرازة والحياكة والخرازة والدباغة، والأقواس...، وأبواب منفتحة على ضواحي المدينة، وهي قطعة هندسية من تصور شامل لها، إضافة إلى المعلمة الكبرى (القصبة) المتميزة بهندستها وأبراجها (برج رئيسي كبير وأحد عشر برجاً ثلاثة مازالت في حالة جيدة. ويوجد بداخلها حديقة كبيرة متنوعة الأشكال ومسبح صغير مستطيل الشكل،



جمالية شفشاون لا ترتبط بصورتها الخارجية بل أيضاً بطبيعة المشاعر الوجدانية التي تسكبها في أفئدة أبناء المدينة

ومتحف المدينة. أما في الجهة الشرقية، فقد خصصته المصالح الإدارية إلى فضاء مفتوح تقام به سهرات الطرب الأندلسي والسماع، ومعارض موسمية وأنشطة أخرى..).

من قلعة للجهاد إلى إمارة مستقلة

كان استقرار مدينة شفشاون مرهوناً بتحصين الثغور المواجهة للعدو وبالسهر على تفقد أحوالها وتزويدها بما تحتاج إليه من عدة ورجال. وكانت هذه المراكز تحتاج دعماً مادياً وبشرياً، خصوصاً وأن البرتغاليين كانوا يسيطرون على أجزاء كثيرة من السهول القريبة من المدينة. ومما يؤسف له أن الأطماع البرتغالية وجدت جواً ملائماً في ضعف السلطة المركزية وتفككها، وقيام حروب داخلية، وأمام هذا الوضع المزري فكر أفراد من الشعب المغربي المسلم في الاعتماد على أنفسهم وإعلان الجهاد لوقف الزحف الصليبي الذي يهدد الوطن والمواطنين.

وكرد فعل لتهاون الجهاز الحكومي المركزي انبثقت إمارة الرواشد على يد بن راشد، هذه الأسرة كانت بيدها مقاليد الأمور في المنطقة لنحو قرن من الزمان (876 - 969 هـ / 1471 - 1564م).

ويرى المؤرخ البرتغالي دافيد لوبيس **David Lopes** أن تأسيس مدينة شفشاون لم يكن الغرض منه إنشاء مدينة عادية، بل كان بمثابة رد فعل على الحملات المتوالية التي كان يقوم بها البرتغاليون بشمال المغرب، قام به الشرفاء العلميون الذين جعلوا من المدينة حصنهم المنيع بفضل موقعها الإستراتيجي بين الجبال، في ناحية بعيدة عن شاطئ البحر، الأمر الذي جعل منها (ضريح الإسلام) لم يتمكن الكفار من الوصول إليه.

وتعتبر حومة (حي) السويقة أول ما شيد بالمدينة، حيث رافق الأمير علي بن راشد بعد عودته من غرناطة أسر أندلسية نحو (80) أسرة شكلت النواة الأولى للساكنة بها، إضافة إلى أهله وعشيرته وعساكره، الذين كانوا يتكونون في غالبيتهم من مدشر غاروزيم المحاذية للمدينة مباشرة. ومساحتها 39.910 متراً مربعاً، ومازالت على حالها باستثناء تغييرات طرأت على بعض الدروب والأزقة، والمنازل، والدكاكين، هذه الأخيرة التي تحولت اليوم لعرض الألبسة والأحذية التقليدية والحديثة، وبأعلى الحي جهة الساحة المعروفة (وطاء الحمام) بنيت القصبة وكانت مقراً للحكم، وبداخلها: المشور ودار السكنى، والمسجد والقشلة وأروية الخيل والدواب، وكان يحيط بالقصبة والمدينة سور دائري يبدأ من باب السور في اتجاه باب الموقف والذي مازالت بقاياه ظاهرة إلى اليوم في منحدر زقاق بن ديبان المجاور للثكنة العسكرية التي تحولت إلى ثانوية أبي الحسن الشاذلي، ومن هناك تابع بناء السور عبر حي السويقة وصولاً إلى باب الحمار، وبعده المكان المسمى (إدشابو) لكي ينتهي في الصبانين.

مركز بني يلصو العلمي

يذكر المؤرخ الإسباني مارمول كربخال (1520 - 1600م) في كتابه (الوصف العام لإفريقيا) أنه كان يوجد بضواحي المدينة على بعد (19 كيلومتراً) مركز يدعى (يلصو) يقطنه أشخاص ذوو حسب ونسب قبل أن يسود علي بن راشد ويتحكم في المدينة وضواحيها. وكان هناك علماء في الشريعة الإسلامية، وجامعة تلقن فيها الآداب والعلوم مثل ما هو الحال بفاس، وكان يفد إليها كثير من طلاب العلم قصد الدراسة والاستفادة من علمائها. ولكن حاكم فاس أغلق الجامعة، وباع كتبها التي يزيد ثمنها على أربعة آلاف مثقال. ومما اشتهر به سكان هذه المنطقة هو حفظهم لكتاب الله، وتعاطيهم للعلم إلى يومنا هذا، وتحتفظ لنا كتب التاريخ والتراجم بأسماء عدد من العلماء ينتمون إليها وإلى غيرها كغمارة وأخماس، اشتهروا في فاس وتطوان وغيرها من المدن المغربية، بل وخارجها في مصر والشام.

الصناعة التقليدية بالمدينة

إن أهم ما يثير الانتباه في المدينة هو الحفاظ على حرفة الدرازة بشكلها التقليدي وتقنية الصناع في نسيج الجلاليب الصوفية والتي مازالت تشتهر بها المدينة إلى اليوم،





وكان التجار من أهل تطوان والبوادي يقصدونها لاقتناء الجلاليب الشفشاونية، إضافة إلى البلاغي (الأحذية) الرجالية والنسائية وهي متميزة بطابعها المحلي، وتلقى رواجاً في الأسواق المحلية. إن الصناعة التقليدية التي استحدثتها الجالية الأندلسية بالمدينة وضواحيها زيادة على ما ذكر، الزربية الشفشاونية، والبرنس الجبلي، والقشابة والشاشية التي لم تكن تفارق رؤوس النساء في البادية وما زالت، والمنديل المصنوع من الصوف أو القطن أو الكتان، والذي كانت تنسجه النساء في بيوتاتهن منذ القرن الخامس عشر وإلى اليوم رمزاً من رموز حياكة النسيج الصوفي والقطني، بنفس الطريقة التي ألفوها في الأندلس، حتى أصبح رمزاً من رموز الجهة الشمالية، والحايك الصوفي والأغطية الصوفية (والكورزية) وهو حزام المرأة في البادية ما زال مستعملاً إلى اليوم.

والحايك وهو عبارة عن قطعة مستطيلة من النسيج غير مخيطة، يتراوح طولها في الغالب بين أربعة وستة أمتار ولا يقل عرضها عن المتر والنصف المتر، وقد يبلغ المترين، قياسها حسب الذوق والبنية الجسمية للمرأة، ويتنوع نسيجها باختلاف الفصول، فيتخذ من الكتان ورقيق الصوف والقطن والحرير في فصل الصيف، ومن نسيج غليظ في فصل الشتاء، ومن الملف، ويكون لونها أبيض ناصعاً وقليل الصفرة، وكان يسمى (بالحايك السكر)، وأشهرها ما كان يصنع في فاس، وترتبط جودة الحايك بالظروف الاجتماعية للمرأة، وهو يلف جسد المرأة فلا يظهر منه إلا عيناها ويداها، وهو خال من التطريز، وله جماليته تتحدد في الطول والاتساع والاحتشام الذي يلف على أغلب أعضاء الجسد بتمرير أحد أطرافه المتقدمة من تحت الإبط ليلتقي بالطرف المتدلي منه على الكتف ويربط طرفاه على الصدر من الجهة اليسرى.

والشربيل وهو نوع من الأحذية الراقية مصنوع من الجلد، وجهه مطرز بخيوط مذهبة أو بالحرير أو الجلد الملون، وكان شائعاً بالأندلس، يلبس في مناسبة الأعياد، وتلبسه العروس يوم الصبحية. (عرف في القرن الرابع عشر بنفس الاسم، وهو حذاء مطرز بالذهب والحرير وثوبه من القطيفة)، والريحية وهي حذاء جلدي لونه أحمر، (يقال إن اسمه أخذ من الراحة فهو يريح القدم، وكان يلبس مع الحايك) ومازال إلى اليوم مستعملاً بكثرة في البوادي بمناسبة الخروج إلى الأفراح.

الأحزمة (الكورزية) وهو حزام من الصوف أو القطن تلبسه المرأة البدوية، وغالباً ما يكون لونه بني أو أحمر قاني، وهو طويل بحيث يسمح بلف البطن والظهر من أربع إلى خمس دورات. يساعد المرأة ذات الحزام الكرزية على حمل الحطب وكل ما هو ثقيل عليها. وإن هذا النوع من الحزام لم يكن معروفاً إلا في المغرب والأندلس، وقد ذكره مجموعة من الجغرافيين والرحالين الذي زاروا المغرب خلال عصور مختلفة.

المنديل وهو لباس تقليدي أندلسي كانت تستعمله المرأة الغرناطية، طوله 1.40 / 80، وحملت فيه كل ما هو ثمين لديها وهي في طريقها إلى المغرب بعد النزوح القسري، وهو معروف إلى اليوم في المناطق الجبلية ولا يمكن الاستغناء عنه، وهو مخطط بالأبيض والأحمر، أو الأبيض والأزرق، أو الأخضر، ويخضع لطقوس خاصة في لباسه سواء بالنسبة للفتاة أو المرأة المتزوجة أو العجائز، ولعل أهم منطقة ما زالت محافظة على شكله وحجمه هي: أنجرة، وترغة، وادي لو، ويسمى كذلك (أتزار) في القبائل الغمارية، ويستعمل كثيراً في المدينة في مناسبة ختان الأطفال بحيث يلف فيه الطفل المختن ويحفظ هذا المنديل في خزانة البيت حتى يكبر ويصبح شاباً ليوضع على كرسي يجلس عليه عند زفافه. وأصبح رمزاً من رموز السياحة إلى جانب الشاشية بالمدينة ومحيطها.

أما الشاشية فهي غطاء الرأس المصنوع من الدوم، وتكون أحياناً مزوقة بورود ملونة تصنع من الحرير (مازالت تحظى

تزخر شفشاون بالمعالم التاريخية الجمة من فنادق قديمة وحمامات تقليدية وأفران عتيقة ومساجد عريقة وزوايا صوفية ومنازل أندلسية

باهتمام المرأة والرجل في البادية). وقد أخذها معهم المهاجرون الأندلسيون إلى شمال المغرب وبعض جهات تونس.

والكنبوس وينسب إلى الكلمة الإسبانية CAMBUSE للدلالة على غطاء الرأس كانت تلبسه نساء الأندلس والمغرب (يطلق اليوم على النقاب). والقفطان للنساء وكان يلبس فوقه المنصورية ذات أكمام واسعة، وهو من الكتان الرقيق (الزكدونة) والقناع (الشال) والحزام المطرز بالألوان المختلفة.

والطوازين (الطرابق) باللهجة الجبلية وهما قطعتان من الجلد مطرزتان ولهما خيوط جلدية تلف بها المرأة الجبلية العاملة رجليها من أسفل الركبتين إلى الكوعين حفاظاً ووقاية لها من كل مكروه قد يصيبها في عملها أو في الطريق.

إن شغف أهل المدينة بتراثهم واعتزازهم به، واستخدامهم للمنتجات التراثية وإصرارهم على تطويرها، يحافظ بشكل قاطع على الوحدة الثقافية الأصلية ويضمن استمرارية وازدهار هذا التراث.

تجانست عناصر بشرية متنوعة بشفشاون فسكنها البرابرة والعرب والأندلسيون واليهود والإسبان

شفشاون قطب سياحي بامتياز

مع مطلع الستينات من القرن الماضي بدأت المدينة تستقطب الزوار الأجانب الذين وجدوا فيها ما يستهويهم ويثير فضولهم لتتحول بعد ذلك إلى قطب سياحي مشهور في شمال المغرب، وبدأت تتوافد على المدينة الأفواج الجماعية من السائحين الأوربيين (الألمان- الفرنسيون- الإنجليز- الهولنديون- البلجيكيون- الأمريكيون- الإسبانيون...).

وعرفت المدينة تغييرات على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي، نتيجة الاحتكاك الذي تم بين سكان المدينة والسواح، فأحدثت المطاعم والفنادق والبازارات، وانتعشت الصناعة التقليدية، وتفنن الصناع في تطوير إنتاجهم في هذا المجال، وتحولت البازارات إلى واجهات لعرض هذا الإنتاج المحلي، الذي يلقى إقبالاً من طرف السواح الأجانب والمغاربة. ومع مرور الأيام والشهور، ازدادت شهرة المدينة اتساعاً كبيراً، ولعب الإعلام البصري والسمعي والمكتوب دوراً مهماً في التعريف بها وبتاريخها ومآثرها، إضافة إلى المهرجانات السنوية التي تعقد بالمدينة في فصل الصيف كمهرجان الموسيقى الأندلسية، ومهرجان المديح والسماع، ومهرجان ALEGRIA (اليكريا) الغنائي الدولي، فازدادت رغبة العديد من الناس إلى زيارتها وخصوصاً على الصعيد الوطني، لدرجة أصبح فيها السواح المغاربة يحتلون الدرجة الأولى في السنوات الأخيرة، يليهم الإسبان، وكثرت الفنادق والإقامات، وبثت البازارات في الأحياء والدروب بالمدينة العتيقة، متنافسة في إشباع رغبة السائح على اقتناء ما يستأثر باهتمامه.

إن الزائر إليها لأول مرة تذهب عيناه المتأملتين إلى المنازل التقليدية ذات الطابع المعماري الأندلسي، دور بيضاء بطلائها الجيري مزهوة بهذا اللون العرسي المتموج على إيقاعات الفصول الأربعة، وقبابها القرمدية الحمراء، ترعاها الجبال من كل ناحية، وترتسم الأقواس التقليدية بين الأزقة والدروب ذات الالتواءات والمنعطفات الكثيرة، وأغراس الشجر تخللها بشكل بديع، والولوج إليها لا يتم إلا عبر أحد أبواب المدينة المعروفة وخصوصاً (باب العين) والخروج منها في اتجاه (رأس الماء) يتم من (باب العنصر). إن هذا المنبع المائي يشكل جزءاً من المدينة منذ أن تأسست، فهو شريان حياتها، ولكنه في نفس الوقت يبدو جذاباً لزائر المدينة فيستأثر باهتمامه وخصوصاً في فصلي الشتاء والربيع، حيث تكثر مياهه، ويكثر زواره، الذين يتسللون بين دروب المدينة وأزقتها، كما يمكن الوصول إليه بالسيارة عبر طريق الوحدة، أما ساحة وطاء الحمام التي تقع وسط المدينة، حيث القصبة والمسجد الأعظم والمطاعم والمقاهي والدكاكين والفنادق القديمة، وعارضي المنتوجات الصناعية المحلية، إنها المنبسط الوحيد في المدينة العتيقة، والذي تصب فيه الدروب والأزقة: ثلاثة منافذ رئيسة تؤدي إلى المراكز التجارية، وثلاثة ثانوية تصل الساحة بالأحياء السكنية، ويمكن الوصول إليها من جميع الجهات.

إن جمالية المدينة لا ترتبط بصورتها الخارجية، بل أيضاً بطبيعة المشاعر الوجدانية التي تسكبها في أفئدة أبناء المدينة، الذين اعتادوا الترحاب بكل زائر إلى مدينتهم فيقدمون له الخدمات التي يرتاح إليها، الإقامة، والأكل، والهدوء، والأمن، والمناظر الخلابة، والمعالم التاريخية الروحية والمادية الجذابة.

إنها المدينة التي قال فيها أحد الشعراء المغاربة الذي زارها أيام الحماية الإسبانية:

كيف أنسى ربوعها وهي
للعين جمال وللقلوب وريه
رسمتها يد الطبيعة لوحا
تتجلى به الفنون البهية
وحبتها السماء من كل نور
وكستها مطارف سندسية
أهل شفشاون أنعموا بها بالاً
فهي -لا شك- جنة عدنية.

مشهد مغلف بالدموع

رمضان إبراهيم بشير: مصر

نسوة متشحات بملابس حالكة السواد.. أصوات تهليل تنبعث من بينهن، تعلو ثم تنخفض كحفيف الأشجار، وتارةً أخرى يرددن أناشيد جنائزية -متعارف عليها- بشكل أوبرالي.. رجال يصطفون على جانبي العقار، ويتمتمون بعبارات فشلت أذني في سماعها.. فحوى المشهد في حاجة إلى فنان تراجيدي ليسجل بريشته تفاصيلها!.. الوقت يقترب من الغروب.. بعض الوجوه مبتلة بالدموع! يبدو أنهم من أقارب المتوفي، بينما الغالبية الأعم منها جاف، يبدو عليها عدم التأثر.. بجانب الجدار يرقد نعش فارغ، وكأنه يتأهب لاستقبال جسد جديد.. بدا علي الاضطراب للوهلة الأولى، ولم أبدِ حراكاً؛ قدماي لا تطاوعاني على السير؛ سيطر عليهما الثبات.. استيقظ حزني بغتة، وزلزلت مشاعري! وخامرني شك مرير: أ يكون صديقي (المريض) الذي جئت لزيارته -الآن- هو بطل هذه المناسبة؟ رجفة حلت بي! لم أستطع التغلب عليها، استقبل جسدي بعدها أسىً غزيراً!.. انتقلت من موقع المشاهد، وانضممت إلى جموع المشاركين؛ للمساهمة الفعالة في تشييع جثمانه إلى مثواه الأخير.. قرأت الفاتحة ترحماً عليه، إنه نِعمَ الصديق، والخل الوفي!.. الدموع بدأت تلقائياً تتقاطر من عينيّ ثم ما لبثت أن هطلت بغزارة، وكأنه سد مكتظ بالماء قد انهمر فجأة!.. حاولت أن أجففها، ولكن دون جدوى، يبدو أنها في حاجة إلى أكوام هائلة من المناديل، فهو لم يكن صديقاً فحسب؛ بل عشرة عمر. اقترب منى أحد المشاركين -ربما لَفَتُّ انتباهه - معزياً إياي بعد أن ربتَ على كتفي، وبدافع من الفضول سألني عن صلتي بالفقيدة؛ فأثار اندهاشي! وهمّ بالابتعاد الفوري -ربما لأمر ما- دون أن أجيبه أو حتى أستفسر منه عن شيء.. لم يمض قليل عن تساؤله حتى تسللَ اثنان، وانتشلا النعش الفارغ، عن قصد متعمد تابعتهما عيناي، مدخل العقار فسيح لبعض الشيء؛ أعطى الفرصة لبصري لتتبع مقصدهما.. لقد صعدا به إلى الطابق الأعلى، بينما صديقي الذي أتيت لزيارته -الآن- يسكن في الطابق الأرضي، همست على الفور في إحدى الأذن القريبة من فمي مستفسراً عن شخص المتوفي؛ فأجابني صاحبها -مندهشاً- بأنها صاحبة العقار!..

رغماً عنى سمحت لبعض السعادة بأن تفرش تفاصيلها القليلة رويداً رويداً بدواخلي في محاولة مني لإخفاء تبعاتها، وآثارها الخارجية على وجهي؛ تقديراً، و احتراماً لموقف الحزن الذي فوجئت به.. هيأت لنفسي طريقاً للعبور؛ لزيارة صديقي المريض.. صافحته بحرارة! و.. وتمنيت له الشفاء العاجل من الوعكة الصحية التي ألمت به، ورحت أقص عليه ما حدث.



أين مكان اللغة في المخ؟

طارق راشد: الإمارات

إذا قرأت جملة عن ركل الكرة، فسيحدث داخل دماغك تنشيط الخلايا العصبية المرتبطة بالوظيفة الحركية لرجلك وقدمك. وعلى نحو مماثل، فلو تكلمت عن طهي الثوم، فإن الخلايا العصبية المرتبطة بالشم ستنْشط. وبما أنه يكاد يكون من المستحيل أن تفعل شيئاً أو تفكر في شيء من دون استخدام اللغة (سواء أكان هذا الاستخدام يتضمن حديثاً داخلياً بلسان صوتك الداخلي أو اتباع مجموعة من التعليمات المكتوبة)، فإن اللغة تتغلغل في أدمغتنا وحياتنا على نحو لا تضاهيه مهارة أخرى.

لقد ثبت منذ أكثر من قرن من الزمان أن قدرتنا على استخدام اللغة متموضعة عادة في النصف الأيسر من المخ، وتحديداً في منطقتين، وهما: منطقة بروكا (المرتبطة بإنتاج الكلام والتلفظ) ومنطقة فيرنيك (المرتبطة بالفهم). ويمكن أن يؤدي التلف الذي يصيب أيّاً من هاتين المنطقتين، كالناجم عن السكتة أو إصابة أخرى، إلى مشكلات في اللغة والنطق أو الحبسة الكلامية، وهي فقدان القدرة على الكلام.

لكن في العقد الماضي، اكتشف أطباء الجهاز العصبي أن الأمر ليس بمثل هذه البساطة، بمعنى أن اللغة ليست مقصورة على منقطتين في المخ أو حتى على مجرد جانب واحد منه، وأن المخ ذاته يمكن أن ينمو عندما نتعلم لغات جديدة.

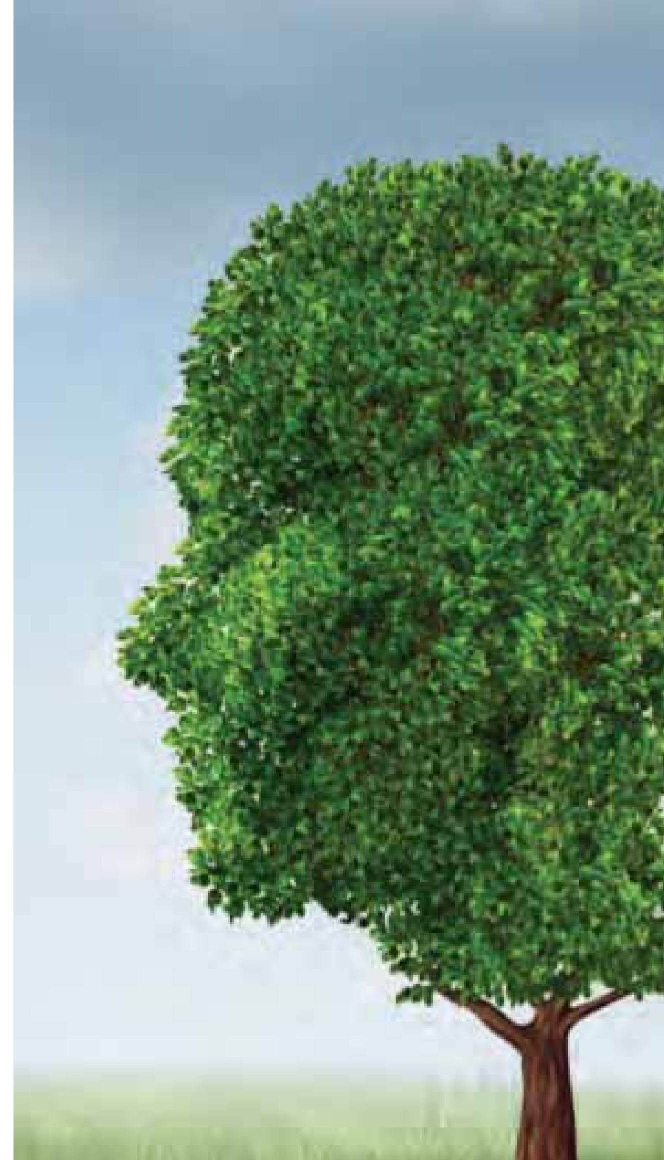
وهناك اكتشافات جاءت بعد ذلك تُظهر أن الكلمات ترتبط بمناطق مختلفة من المخ وفقاً لموضوعها أو معناها. إذ أجرى أطباء الجهاز العصبي، الذي كانوا يعملون على وضع أطلس ثلاثي الأبعاد للكلمات في المخ، مسحاً لأدمغة بعض الأشخاص أثناء استماعهم إلى المذياع لعدة ساعات. وقد



تبيّن أن الكلمات المختلفة تحفّز أجزاء مختلفة من المخ، وتظهر هذه النتائج توافقاً عامّاً على مناطق المخ وأيّها مرتبط بأيّ معاني الكلمات، على الرغم من عدم إخضاع إلا أدمغة عدد قليل من الأشخاص للمسح في إطار هذه الدراسة. كان جميع من شاركوا في الدراسة متحدثين أصليين باللغة الإنجليزية ويستمعون إلى اللغة الإنجليزية. وستتمثل الخطوة التالية في التعرف على موضع وجود المعنى لدى الأشخاص الذين يستمعون إلى لغات أخرى. تشير الأبحاث السابقة إلى أن الكلمات ذات المعنى الواحد في مختلف اللغات تتجمع في منطقة واحدة ولدى الأشخاص ثنائيي اللغة.

يبدو أن ثنائيي اللغة لديهم مسارات عصبية مختلفة للغتين اللتين يتحدثون بهما، وتكون كلتا الفئتين من المسارات العصبية ناشطتين عند استخدام أي من اللغتين. نتيجة لذلك يعكف ثنائيو اللغة دوماً على كبت إحدى لغتيهم -بشكل لا شعوري- لكي يستطيعوا التركيز على اللغة التي يستخدمونها ومعالجتها.

جاء أول دليل على هذا من تجربة أجريت في عام 1999 وطُلب فيها من أشخاص يتحدثون الإنجليزية والروسية التعامل مع أشياء موضوعة على طاولة. فطُلب منهم باللغة الروسية (وضع الطابع تحت الطاولة). لكن كلمة طابع باللغة الروسية وهي marka تشبه في نطقها كلمة marker الإنجليزية (وتعني قلم الخطاط)، وقد كشف تتبُّع العينين أن ثنائيي اللغة ظلوا يتنقلون بأعينهم بين قلم الخطاط والطابع الموضوعين على الطاولة قبل أن يختاروا الطابع.



اللغة موجودة في كل مكان من حولنا لكن أين تقبع تحديداً بداخل كل منا وهل سيكون بمقدورنا يوما أن (نقرأ) أدمغتنا؟

ويبدو أن الأنماط العصبية المختلفة الخاصة بلغة بعينها تُطبع في أدمغتنا إلى الأبد، حتى وإن لم نتحدث بهذه اللغة بعد أن تعلمناها. فقد أظهرت المسوح التي أجريت على الأطفال الكنديين الذين تم تبنيهم من الصين وهم صغار لم يتعلموا الكلام بعد تعرفهم عصبيّاً على الأصوات الصينية بعد مرور سنوات، حتى مع أن هؤلاء الأطفال لم ينطقوا بكلمة واحدة باللغة الصينية.

إذن فسواء (فقدنا) إحدى اللغات بسبب عدم استعمالنا إياها أو بسبب الحبسة الكلامية، فمن الجائز أنها ما زالت موجودة في عقولنا، وهو ما يثير آفاق استخدام التكنولوجيا لفرز المناطق المتشابكة التي توجد بها الكلمات والأفكار والخواطر، حتى لدى الأشخاص الذين لا يقدرون بدنيّاً على الكلام. وقد بدأ أطباء الجهاز العصبي بالفعل يحققون بعض النجاح، إذ يوجد جهاز يستطيع التنصّت على صوتك الداخلي وأنت تقرأ في سرّك، وهناك جهاز آخر يتيح لك التحكم في مؤشر بعقلك، بل وهناك جهاز ثالث يتيح لك التحكم عن بُعد في حركات شخص آخر من خلال الاتصال من الدماغ إلى الدماغ عبر الإنترنت، مما يتخطى الحاجة إلى اللغة بالكلية. وبالنسبة لبعض الأشخاص، كالمصابين بمتلازمة المنحبس أو بمرض العصبون الحركي، سيكون في تخطي مشكلات النطق للوصول إلى لغة عقولهم واستعمالها مباشرةً تحوُّل حقيقي بمعنى الكلمة.

إعداد :أحمد الواصل



الكتاب: مقعد على ضفاف السين- رواية

المؤلف: أمين معلوف

الناشر: دار الفارابي، 2017.

يسرد أمين معلوف حياة ومغامرات الأشخاص الثمانية عشر الذين تعاقبوا على المقعد التاسع والعشرين في الأكاديمية الفرنسية منذ عام 1634، فنستحضر معه بصورة محسوسة، مجسَّدة، أربعة قرون من تاريخ فرنسا. إنها (أسطورة العصور) انطلاقاً من مقعد.

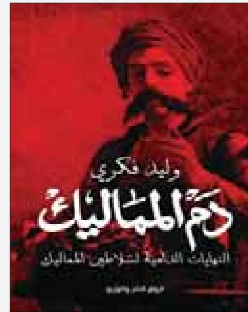
قضى أول شخص شغل هذا المقعد غرقاً في نهر السين، وانتحر مونترلان في شقته المطلة على السين، ومقرُّ الأكاديمية نفسها يقع في محيط صغير على ضفاف السين، بين اللوفر ورصيف كونتي: إنها وحدة مكان يتجلَّى التاريخ انطلاقاً منها بمراحله المتعاقبة.

سلطة الملوك والكرادلة، النبلاء والمفاوضين، النفوذ المتعاظم أو المتضائل للفلاسفة والعلماء، تأثير الشعراء ومؤلفي نصوص الأوبرا وكتّاب المسرح والرواية، وجوه متعددة للمجد تروي لنا حقباً مختلفة من تاريخ الأمة الفرنسية.

يلقي هذا الكتاب إضاءة جديدة على الخلاف حول مسرحية (السيد) وإلغاء مرسوم نانت، وثورة الفروند والحركة الجنسينية، وطرد اليسوعيين ونشأة الماسونية، والثورة الفرنسية عام 1789، وتمرد 12 فنديميير وانقلاب 18 برومبير، والإمبراطورية الفرنسية الثانية، وحرب عام 1870، وكومونة باريس، واختراع التخدير والمآتم الوطنية، وقضية دريفوس، والحروب الكبرى في القرن العشرين...

انطلاقاً من مقعد فحسب، من مكان ذاكرة هش ودافئ يطلّ على ضفاف السين، يدعونا أمين معلوف إلى إعادة اكتشاف ديمومة (عبقريتنا الوطنية) وتحوُّلاتها.

لأمين معلوف عدة أعمال روائية من بينها ليون الأفريقي، سمرقند، صخرة طانيوس (جائزة غونكور لعام 1993)، موانئ المشرق، الهويات القاتلة، بدايات، والتائهون. ولقد نال جائزة أمير أستورياس الإسبانية عن مجمل أعماله عام 2010، وانتخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية عام 2011.



الكتاب: دم المماليك.. النهايات الدامية

المؤلف: وليد فكري

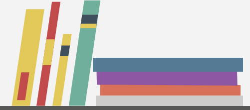
الناشر: الرواق للنشر والتوزيع، 2016.

يمهد المؤلف لكتابه باستهلال: أربعون انقلاباً عسكرياً على الأقل، فضلاً عن المحاولات الفاشلة، وأكثر من عشرين سلطاناً انتهت حياتهم بالاغتيال أو الإعدام أو شاب موتهم شبهة اغتيال.

بالإضافة الى مؤامرات ومؤامرات مضادة بين الأمراء بعضهم البعض أو بينهم وبين السلاطين.

ويبين أن هذا جزء بسيط من حصيلة الاضطرابات في العصر المملوكي، الممتد بين عامي 1250م و1517م، والذي كان قانون تداول السلطة فيه هو قاعدة (الحكم لمن غلب) المنسوبة تاريخياً إلى السلطان العادل الأيوبي.

يتألف الكتاب من عدة مقالات تتناول متغيرات أحداث الدولة المملوكية، يبدؤها الكاتب مع مقال بعنوان (إما في القصر أو في القبر)، ويقدم خلاله قراءة في مصير المماليك الذي اعتمد على جملة (هي لمن غلب) على مدار 250 عاماً منذ مقتل السلطان الظاهر بيبرس، وحتى سقوطهم على يد العثمانيين عام 1517م.



الكتاب: الأعمال الشعرية الكاملة

المؤلف: عيسى حسن الياسري

الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2017.

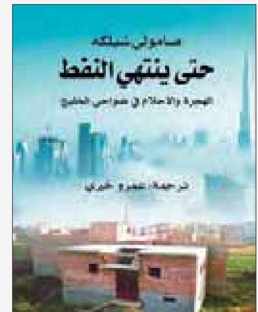
عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، صدرت الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر عيسى حسن الياسري في مجلد واحد وتضم إحدى عشرة مجموعة شعرية كتبت ما بين العراق والأردن وكندا. وهي: فصول من رحلة طائر الجنوب، وسماء جنوبية، والمرأة مملكتي، وشتاء المراعي، وصمت الأكواخ، وأناديك من مكان بعيد، والسلام عليك يا مريم، وما يمكث على الأرض، وأيتها الباب، وبقايا البيدر، وأغاني الغروب.

يذكر أن الدكتور عبدالواحد محمد قد قام بترجمة مختارات شعرية منها بعنوان (العشبة ومجموعتي ما يمكث على الأرض وأيتها الباب) إلى اللغة الإنجليزية وصدرت في كتاب بعنوان (لم أتعلم شيئاً).

كما قامت المترجمة والشاعرة التونسية منية بوليلة بترجمة مجموعة (أغاني الغروب) إلى الفرنسية.

ظهر اسم الياسري في العديد من الموسوعات العراقية والعربية والعالمية. وشارك في العديد من مهرجانات الشعر العالمي.

حاصل على جائزة (الكلمة الحرة العالمية) التي منحها له مهرجان الشعر العالمي الذي أقيم في روتردام عاصمة الثقافة الهولندية في 25 / 5 / 2002، وكان أول من حصل على هذه الجائزة عام 1950 هو الشاعر الإسباني رافاييل ألبرتي.



الكتاب: حتى ينتهي النفط

المؤلف: صامولي شيلكه

ترجمة: عمر خيري

الناشر: دار صفصافة للنشر، 2017.

هذا إذن هو ما يفعله كون الإنسان مهاجراً للعمل في الخليج بأحلامه: يوجه تلك الأحلام إلى دورة متكررة تعزز نفسها بنفسها، دورة من الطموح لأشياء يمكن لمسار الدورة المتكررة هذه أن يوفره، حتى عندما لا توفر تلك الدورة ما وعدت به. لكنها ليست دورة مغلقة بشكل صارم، إذ إنها تخلخل (العادي) الذي تخدمه، كما تخلق تجارب وتشحذ رغبات تتجاوز نطاق الدورة. تتوفر أحلام أخرى والمقاومة ممكنة، لكنها صعبة وغير مضمونة لأنها تفتقر للموارد المؤسسية وديناميكية إعادة إنتاج الذات المتوفرة في دورة إنتاج الخيال. إنه ظرف عالمي يتشارك فيه ملايين الناس في شتى أنحاء العالم. لكن لعل الابتداع الأكثر شراً لهذه التجربة المشتركة هي أنه بدلاً عن أن توحد الناس، فهي تفرقهم وتحرضهم على بعضهم البعض.

ولد صامولي شيلكه Samuli Schielke في فنلندا عام 1972، وحصل على الدكتوراه في الأنثروبولوجيا من جامعة أمستردام في هولندا سنة 2006 برسالته عن موالد الأولياء في مصر. ويعمل باحثاً منذ 2009 في مركز الشرق المعاصر ZMO في برلين في ألماني. نُشر له باللغة العربية الكتاب (هتتأخر على الثورة: دفتر يوميات عالم أنثروبولوجيا شهد الثورة).

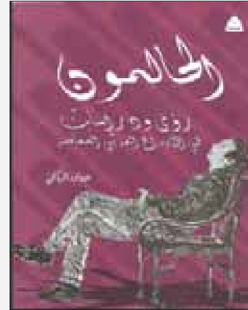


الكتاب: حكايا القلوب

المؤلف: بهية عبدالرحمن بوسبيت

الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والتوزيع

تحت عنوان (حكايا القلوب) جمعت الكاتبة بهية بوسبيت مجموعة من المقالات الاجتماعية والأدبية بين دفتي كتاب بلغ عدد صفحاته 170 صفحة، بدأت كتابها بإهداء لمحافظ الأحساء الأمير بدر بن محمد بن جلوي، واستهلت كتابها بمقدمة عن الظلم، وعن عنوان الكتاب تحدثت الكاتبة في ظهر الغلاف الخلفي قائلة: (للقلوب حكايا كثيرة، وللمشاعر قصص كبيرة، وللأحاسيس روايات غريبة، الحياة تجمعنا كل يوم بأشخاص كثيرين، والصدف أيضاً تجمعنا بآخرين في أماكن مختلفة،...) من عناوين المقالات الاجتماعية: أشكال الناس، نساء بلا قلوب، حكايا القلوب، المودة الحقيقية، جنون الشهرة، ومن المقالات الأدبية: شفافية الشاعر، إلى متى يظل أدبنا مغيباً عن مناهجنا.



الكتاب: الحالمون

المؤلف: عِذاب الركابي

الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب

كتاب الشاعر والناقد العراقي، عِذاب الركابي، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة 2016، اشتملَ الكتاب النقدي الرؤيوي على أربعة فصول في قراءة نقدية (الشعر- القصة القصيرة- الرواية- المقال)- رؤى ودراسات في الإبداع العربي المعاصر.

كتب مقدمة الكتاب الأديب والروائي الكبير- عبد الرحمن مجيد الربيعي قائلاً: (لا أستطيع أنْ أجزئ عذاب الركابي، فهو شاعر في شعره وشاعر في نقده.. وعندما يعمدُ الركابي إلى جمع كتاباته النقدية -وما أكثرها- في كتاب، فإنّ هذا الكتاب سيكون وثيقة حُبّ لإبداعنا العربيّ الأصيل، ولمبدعينا الأنقياء.. ما أحوجهم إليها في زمنِ الكراهية والصداقات المبدّدة والأفراح التي تفقدها القلوب)..!

هنداوي مشروع الوعي الثقافي



تتميز هنداوي بانتخاب المتوفر فيها من كتب رقمية بلغ عددها 1011 كتاباً في مجالات عدة مثل العلوم المبسطة، الأدب، التاريخ، والسير ذاتية. ستجد الأعمال الكاملة لطه حسين وعباس محمود العقاد وأحمد أمين ومي زيادة وشوقي عبد الحكيم ومقالات نجيب محفوظ، وسلسلة اصطلاحات من جامعة أكسفورد، بالإضافة إلى كتب كثيرة منها ما هو مترجم عن اللغات الأخرى ومنها ما هو أصيل بالعربية.

يهدف برنامج (كتب) إلى نشر المؤلفات القيمة مما كتب بالعربية أو تُرجم إليها في مختلف المجالات، العلمية، والأدبية، والفنية وغيرها لجعلها في متناول القارئ العربي، وتقوم المؤسسة بإتاحة الكتب على موقعها في نسخ إلكترونية عالية الجودة، مع نشر نسخ ورقية لبعض منها، تشارك في العديد من معارض الكتاب الدولية والمحلية.

وتعرف عن نفسها مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، أسست 2007، بأنها مؤسسة خاصة، تهدف إلى نشر التعليم والثقافة عن طريق برامجها المتعددة، حتى تساهم في نشر الوعي الثقافي، وغرس حب القراءة والارتقاء بالفكر لدى المواطن العربي. أطلقت المؤسسة برامجها المختلفة على أن يحتوي كل برنامج على مصدر مختلف للمعرفة. تقوم المؤسسة بترجمة المقالات العلمية والثقافية، وتقوم أيضاً بتوفير محاضرات في شتى المجالات لطلبة العلم، وكذا نشر المدونات والأخبار العلمية والثقافية، وتوفير برامج تعليم اللغة الإنجليزية للناطقين باللغة العربية، ونشر كل هذا عبر وسائط تكنولوجية متعددة.

تعد المؤسسة من رواد النشر الإلكتروني في العالم باللغة العربية، بالإضافة إلى ترجمة الكتب والمقالات، وتعمل المؤسسة على تكوين أكبر مكتبة إلكترونية عربية، من خلال إعادة إنتاج ونشر أهم كتب التراث العربي الحديث جنباً إلى جنب مع المؤلفات المعاصرة الأكثر تميزاً. وفي هذا الإطار تجري المؤسسة تعاقدات مع كبار المؤلفين العرب والأجانب وكذلك شباب الكتاب الواعدين، كما كان للمؤسسة السبق في تعريب كلٍ من تطبيقي mobi وePub ليتسنى تصفح الكتاب الإلكتروني العربي بيسر ووضوح.

وأما أهداف المؤسسة فهي كالتالي:

اختيار مصادر متنوعة للمعرفة وتقديمها باللغة العربية عبر وسائط مختلفة، وإتاحة المواد المعرفية ذات القيمة مع التزام تحقيق أعلى معايير الجودة في الشكل والمحتوى، وإعادة تشكيل تجربة القراءة في ظل الثورة المعلوماتية والإنترنت، واستكشاف وسائل تعليمية وتثقيفية تسهم في فتح آفاق جديدة للمعرفة.

وأما حقوق نشر المنفردة، في اتفاقها مع أسرة عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين لنشر جميع أعماله (نشراً إلكترونياً) وإتاحة هذه الأعمال مجاناً على موقعها. وكان ذلك بمناسبة الذكرى الأربعين لرحيله، واتفاقها مع أسرة الروائي نجيب محفوظ على نشر جميع مقالاته وإتاحتها مجاناً على موقعها، ونشر جميع مؤلفات عباس محمود العقاد إلكترونياً وإتاحة هذه الأعمال مجاناً على موقعها، وحصولها على حقوق نشر أعمال الكاتبة آليس مونرو الحائزة على جائزة نوبل في الآداب عام 2013، ومئة كتاب من سلسلة (مقدمة قصيرة جداً) من جامعة أكسفورد للصحافة، وحصولها على حقوق ترجمة ونشر كتاب الرئيس الأمريكي باراك أوباما: أحلام من أبي (كتاب) باللغة العربية.

الجدير ذكره أن (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة) فازت بجائزة (النشر التشجيعية) لعام 2013 من قبل اتحاد الناشرين بالتعاون مع الهيئة المصرية العامة للكتاب تحت اسم (كلمات) أحد برامج المؤسسة، ونالت جائزة (أفضل دار ناشئة)، وذلك ضمن فروع جوائز معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الخامسة والأربعين لعام 2014 تحت اسم (كلمات) أحد برامج المؤسسة، كما فازت (رشا سعد زكي) إحدى المترجمات في المؤسسة بجائزة خادم الحرمين الشريفين للترجمة في دورتها السادسة عام 2013 في مجال ترجمة العلوم الإنسانية من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية عن ترجمتها لكتاب (الاقتصاد التطبيقي) أحد إصدارات (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة).

الروائي باحثاً اجتماعياً



الكتاب: جريمة في رام الله
المؤلف: عباد يحيى
الناشر: منشورات المتوسط 2017

صدرت عن منشورات المتوسط - ميلانو، رواية جديدة للكاتب والروائي الفلسطيني عبّاد يحيى، حملت عنوان (جريمة في رام الله). وقد صدرت هذه الرواية في طبعتين، إحداهما عربية، والثانية فلسطينية. وتأتي هذه الطبعة الفلسطينية في إطار مشروع تبدأه المتوسط، في سعيها لتطوير إنتاجها، وتسهيل وصوله للقارئ الفلسطيني، وتأكيداً على شعارها الذي اتخذته منهجاً لعملها (معاً لنحارب طواحين الهواء).

المشروع الذي اتُّخذَ قرارُ البدء فيه منذ مدة، وبدأ العمل به اليوم، يعطي فرصة لكتب المتوسط أن تكون جزءاً من العمل المقاوم لسلطات الاحتلال، من خلال كسر التضييق الذي يُفرض على القارئ الفلسطيني، وعلى الكتب الراغبة بالتواجد على الأراضي الفلسطينية، حيث ستصدر طبعة فلسطينية لعدد من كتبها بالتزامن مع صدور طبعتها في العالم العربي. ولهذا المشروع اتخذت المتوسط شعار (الأدب أقوى). وسيتم توزيع هذه الطبعة بالتعاون مع الدار (الرقمية) في فلسطين.

عن الرواية

(جريمة في رام الله) لعبّاد يحيى، رواية لا يمكن الإجابة بسهولة على سؤال كيف ومتى بدأت أحداثها. ولكن جريمة قتل شابة حدثت في نهايات العام 2012 في مدينة رام الله غدت بؤرة كل شيء.

على وقع الجريمة أدرك كل من رؤوف، ونور، ووسام، أنها ستكون أهم حدث في حياتهم، وستدمغ ما قبلها وما بعدها.

ثلاث شخصيات شابة من جيل ما بعد الانتفاضة الفلسطينية الثانية، يعيشون مختارين في حيوات متوازية مع كل ما حولهم من مجتمع وسياسية وقضايا كبرى، وحين يحدث التقاطع الوحيد إثر جريمة القتل تبدأ نسخة أخرى مختلفة من حياتهم تتتبعها الرواية بين ماض وحاضر ومستقبل تذوب الحدود بينها.

من الرواية

صارت الجريمة حديث الجميع، ولكل تحليله، انشغل الناس عن كل شيء بالجريمة، وصار الكل محققين ومصادر مطلعة. كان يمكن وضع عنوان كبير على مدخل المدينة يقول إن المدينة مشغولة، مشغولة بالجريمة.

وفي أطراف المشهد يحلم صحفيون شباب ومبتدئون بخبطتهم الصحفية الكبرى، يحلمون بسبق صحفي في بلد لا جديد فيها. وهؤلاء أنهكوا الشرطة والناس والمحيطين بلوتس وجميع من يبدو وكأنه قريب من الحادثة بالأسئلة ومحاولات الاستمالة والاقتراب واختلاس أية معلومة.

وكلٌ يجذب الأمر لمساحته، من يحذر من القاتل الطليق، ومن يلمّح لانتشار العصابات، ومن يغمز بضعف الشرطة وقدراتها، ومن يحذر من دور للاحتلال. وبلغ التهويل مبالغ غريبة، قيل إنها عصابة غامضة تقتل الجميلات، وقيل إنهم أهلها قتلوها انتصاراً لشرف أهدرته، وقيل إنها أحبت شاباً من غير دينها فقُتلت، وقيل إن عائلتها متورطة في قتل قديم وحان الثأر، وقيل إنهم متطرفون، وقيل إنها متورطة في سوء كبير أفضى بها إلى القتل. كان التأكد من زيف كثير من هذه الأحاديث والأخبار ممكناً، ولكن أحداً لم يكن يريد أن يتأكد.

عن المؤلف

عبّاد يحيى: هو روائي فلسطيني، مقيم في رام الله. باحث في علم الاجتماع وصحفي، صدرت له رواية رام الله الشقراء (2012)، والقسم 14 (2014)، وهاتف عمومي (2015).

الخليج على موانئ الأنثروبولوجيا



الكتاب: الخليج العربي.. المجتمع والثقافة

المؤلف: عبدالله بن عبدالرحمن يتيم

الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2016.

أن توجد دراسات في حقل الأنثروبولوجيا الخليجية، فهذا أمر مطلوب، وأن تكون من أبناء الخليج، فهو أمر ممتاز.

وقد تسيلت العلوم الإنسانية والاجتماعية على بعضها في حقول علم اللغويات وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي وعلم التاريخ والجغرافيا والمجالات النقدية مثل الدراسات الثقافية، فاعتمدت تلك الحقول على الجمع بين مهارات بحثية عدة، وتتباين فيها الاختصاصات الأكاديمية بين الباحثين والباحثات، والمكتسبات التحليلية، والخبرة القرائية، والقدرات التأملية، والتحركات الميدانية، وتتفاوت نتائج تلك الدراسات بين بعضها بعضاً.

على أنه تبقى بعض المدونات الأولى للرحالة والباحثين الإثنوغرافيين الأوروبيين، من المصادر الملهمة لكثير من الباحثين لاحقاً، فيما يخص أهل الحضر والبادية والأقليات وأصحاب المهن، على رأسها ثلاثة كتب (رحلة إلى نجد) (1881) لليدي آن بلنت (1837-1917)، و(الترحال في الصحراء العربية) (1888) لتشارلز داوتي (1843-1926)، و(عرب الصحراء) (1949) لهارولد ديكسون (1881-1959).

على أن المتغيرات السياسية والاقتصادية، باكتشاف النفط واستحداث الصناعات، انعكس على المجتمع الخليجي، ما دعا إلى دراسات تستوعب هذه الظروف الجديدة، فشهد الفضاء نفسه حضور أسماء سعودية وكويتية وبحرينية لامعة، بكتب ودراسات وحوارات في الربع الأخير من القرن العشرين، مثل ثريا التركي وخلدون النقيب وسعد الصويان وعبدالمالك التميمي وباقر النجار وأبو بكر باقادر.

وتأتي إسهامات يتيم في هذا الحقل ضمن السياق ما بين دراسات ميدانية وهي قليلة، ونقدية لدراسات سابقة عليها. كما أنه توسع إلى دراسات خارج مجتمعه البحريني، في الإمارات وقطر ما يغني عدته البحثية وخبرته التحليلية.

يحتوي الكتاب، القائم على أبحاث ومقالات منشورة بين عامي (2001-2016) على أربعة أبواب: الأول، البحرين، ويتكون من فصول ثلاثة: الجذور الاجتماعية للنخب (منشور في مجلة البحرين الثقافية، 2013)، الدين والهوية والمواطنة: الجذور والتحديات (منشور في مجلة وسط أوروبا للدراسات الدولية والأمنية، 2014)، الموسيقى والغناء الشعبي (منشور في مجلة العلوم الإنسانية، 2004). الثاني، الإمارات، ويتكون من فصلين: التخوم الاجتماعية بين أهل الحير (منشور في جريدة دراسات الخليج وشبه الجزيرة العربية، 2001)، والدين والمجتمع في البادية (منشور في مجلة ثقافات، 2009). والباب الثالث، قطر، ويتكون من فصل واحد: البدو والبادية (منشور في مجلة العلوم الإنسانية، 2003). والباب الرابع تجارب وآفاق أنثروبولوجية، ويتكون من أربعة فصول: أنثروبولوجي من الخليج (منشور في مجلة أوان، 2003)، والأنثروبولوجيا الدنماركية والخليج العربي (منشور في مجلة شؤون اجتماعية، 2010)، وإحياء الثقافة الشعبية (منشور في مجلة الثقافة الشعبية، 2009)، وراهن التحولات الثقافية في الخليج العربي (منشور في مجلة الثقافة الشعبية، 2016).

ارتكز يتيم على الترسانة النظرية والعملية لحقل الدراسات الأنثروبولوجية الأوروبية أثناء السير في موضوعات شائكة بكثير من الحذر سواء في دراسة النخب الاجتماعية والسياسية البحرينية، والأنظمة الدينية الخليجية المتصارعة، والجماعات البدوية أهل الحير في الإمارات والمرة والنعيم في قطر أفضى إلى فتح نوافذ لا بد من أن تتسع إلى أبواب.

وبما أن الحقول الدراسية في مجال المجتمع والثقافة، تتسع لها عملية السيلان العلمي والبحثي اللذين يفترضان أن يأخذ كل باحث بنصيبه منه لاتساع الرؤية ولو ضاقت العبارة.

الجدير ذكره أنه صدر للمؤلف كتب أخرى، بالإضافة إلى مقالات وأبحاث في ذات الحقل منذ عام 1993، وهي على التوالي: كلود ليفي ستروس: قراءة في الفكر الأنثروبولوجي المعاصر (1998)، دفاتر أنثروبولوجية: سير وحوارات (2001)، بدو جبال الحجر الإماراتيون: دراسة أنثروبولوجية تاريخية (2007)، المنامة المدينة العربية: دراسة نقدية أنثروبولوجية (2016)، البحرين: المجتمع والثقافة (2017).

الأدب البدوي في الجناح الشرقي



الكتاب: الشعر عند البدو

المؤلف: شفيق الكمالي

المطبعة: جامعة بغداد 1964

تنبهت الثقافة العربية إلى دراسة التراث الثقافي المعنوي الذي ينتمي إلى هوامش حواضرها، على أن مثقفين قدامى خصصوا لها فصولاً في كتبهم مثل ابن خلدون في مقدمته والأبشيهي في مستطرفه، وثمة من خصص كتباً مثل صفي الدين الحلي ومحمد النواجي، وفي القرن العشرين واصل ذلك كل من أحمد تيمور باشا وأحمد أمين، واستوعب الحقل الأكاديمي ذلك في الثلث الثاني منه بأطروحات سهير القلماوي وعبد الحميد يونس.

يذكر المؤلف -شاعر أيضاً- الكمالي (1929 - 1984)، بأن الدافع وراء تأليف هذا الكتاب هو أنه يملك ما يلزم دارس هذا الشعر، أي السليقة التي تربت في محيط بدوي بقوله: (قد نشأت في مجتمع قريب من البداوة تسيطر عليه المفاهيم والمثل البدوية، مجتمع ينظر إلى البداوة على أنها القمة في النقاء والأصالة وصفاء النسب. وأنها القدوة والمثال لكل ما هو حسن، حتى إن الفرد في منطقتنا ليتشبه بأهل البادية في حديثه وتصرفاته إن أراد الظهور بمظهر العريق في النسب والرفعة في المكانة).

ويقصد الكمالي ببدو (الجناح الشرقي من الوطن العربي، أعني بدو سيناء وبوادي الأردن ونجد والشام والعراق والكويت والبحرين وقطر).

يحتوي الكتاب على سبعة أبواب بفصولها متوالية: الباب الأول: البدو وأقسامهم، أهم القبائل البدوية، التكوين الاجتماعي عند البدو، حياتهم الدينية والعقلية، الحالة الاجتماعية. والثاني: الشعر عند البدو، أنواع الشعر البدوي. والرابع: خصائص الشعر البدوي، والقصيدة وخصائصها، الأوزان والقوافي. والخامس: أغراض الشعر البدوي، الغزل، والمدح، والرثاء، الفخر والحماسة، والهجاء، الوصف. والسادس: مقارنة بين الشعرين، البدوي والجاهلي. والسابع: نماذج من الشعر البدوي.

خصص الفصل الثاني من الباب الأول بالقبائل البدوية التالية: شمر، عنزة، الضفير، حرب، مطير، العجمان، بني مرة، بني هاجر، قحطان، بني خالد، الحويطات، العدوان، بني صخر، صليب أو صلبة.

وتنبه إلى رأي المؤرخ الاجتماعي ابن خلدون، وطرح الاصطلاح النقدي حول تسمية هذا الشعر بدوياً أم شعبياً، ويمكن الرجوع إلى مؤلف الأديب عبدالله بن خميس (الأدب الشعبي في جزيرة العرب) (1958) الذي طرح المسألة، وإن كان كلا المصطلحين امحيا لصالح مصطلح طغى عليهما هو (الشعر النبطي) الذي حملته المدونات الشعرية التي أطلقت أولى مطبوعاتها (رسالة في شعر النبط) (1911) وصولاً إلى كتاب الباحث سعد العبدالله الصويان (الشعر النبطي: ذائقة الشعب وسلطة النص) (2000).

وفي الباب الثالث وضع المؤلف تصنيفاً لهذا الأدب الشعري البدوي بأشكاله الشعرية: القصيد والحداء، والسامري، والهجيني، أضاف إليها رقصة الدحة والحماشي.

إن الملفت أن هذه الأشكال الشعرية نصوص لا تقوم لها قائمة دون طروقها، أي: قوالبها الأدائية بنصوصها وأنغامها وإيقاعها، كما أن هذه القوالب لا تخص البدو، فإذا كان القصيد يقوم على طروق الربابة، فالسامري يقوم على الطبول والطيران عند أهل القرى متنوع في طرق أدائه والمشاركة الجماعية بصفوفه سواء عند الرجال أو النساء، والهجيني غناء يرافق الجمالة وهم عاملة نجد. كما أن رقصة الدحة -رقصة الحرب- تخص الشمال الغربي من الجزيرة العربية غوراً إلى صحراء النقب. وأما الحماشي فهو المثولث الذي يستخدم في المحاورات الشعرية، وليس القلطة (المراد).

واعتنى في الباب السادس بمقارنة بين الشعرين: البدوي والجاهلي على فكرة أن الأول يماثل الثاني (مع فساد لغته)، ورددت هذه الفكرة كثيراً في مؤلفات باحثين مثل غسان الحسن وسعد الصويان، وأقام عليها مرسل العجمي كتابه (النخلة والجمل: علاقات الشعر النبطي بالشعر الجاهلي) (2012).

تكتشف قيمة السابق باللاحق، وفي ذلك اغتناء للمكتبة العربية.

راشد المبارك الكيمياء المفكرة (1935 - 2015)

يذكر المفكر جمال حمدان أن المفكر نتاج اندماج وتفاعل (العلم، والفلسفة والفن) فليس باثنين منهما كافياً ليطلق على أحدهم بأنه مفكر.

ويصدق القول بأن المفكر حالة من التوازن بين الإبداع والعلم، فالفكر الأرضية الأساسية لعناصر الإبداع والعلم، والأول دون علم يبقى غريزة، والثاني دون فكر يبقى تجريب بلا طائل.

فإذا قام الإبداع على الخيال، تلك اللحظة بين الذاكرة والنسيان، فالعلم قام على نتيجة من التجربة والبرهان.

فقد خلق المفكرون شعراء أو فنانون، ولنا في شخصيات ثقافية تمايزت فيها تلك العناصر سواء من الثقافة العربية مثل المعري والغزالي وابن خلدون، ومن الثقافة الأوروبية أغسطينوس وهيغل وشوبنهاور.

وفي القرن العشرين، مع نهاية شخصية الفيلسوف انتقالاً إلى كاتب الأفكار أو محلل القضايا، ومترجمي الفكر الواهمي التفكير في نماذج عبد الرحمن بدوي ومحمد عابد الجابري أو دارسي تاريخ الفلسفة الإسلامية والأوروبية مثل: ويل ديورانت وعلي سامي النشار، وتمترس التخصصات الأكاديمية في نماذج ميشيل فوكو وبول ريكور ورولان بارت وعبدالله العروي وناصيف نصار وسامي أدهم، تحولت لغة الفلسفة إلى ذاكرة مجازية، عند مفكري القرن العشرين أمثال نيتشه وبول تيليش وعبدالله القصيمي وإميل سيوران.

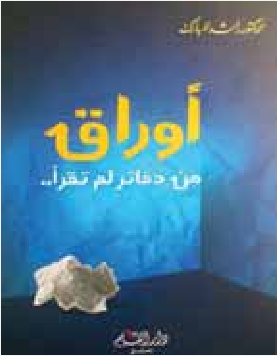
ومن هنا نستطيع أن نقرأ شخصية ونتاج المبارك الذي تأسس علمياً على العلوم الطبيعية (الكيمياء والفيزياء) ونفر منها إلى الشعر والفكر، وانشغل بمباحث الفلسفة الأساسية، وليس علومها المتقادمة، أي: موضوعات الحضارة والعقل والذات.

فقد عرف اسمه بمقالة في الشاعر المتنبي نشرت في حلقتين بمجلة العربي (المتنبي ليس شاعراً) ثم طبعهما في كتاب (دفاتر مهجورة) (1995) عدا أن أولى مقالاته الفكرية بعنوان (من صور الجذوة والخمود في فكر المسلمين) (مجلة العربي، 1988)، التي استفتح بها ذات الكتاب، وإن تميزت عناوين الفصول الأخرى، فهي تعبير عن تطوره الفكري بين المقروء والمفكر فيه، ففي الكتاب (دعوة إلى حلف فضول جديد)، و(لئلا تدجن العقول) و(صفحة من سفر لم تعرفه المطابع) التي لا يخفى الأثر الصارخ للمفكر عبدالله القصيمي عليها من مقالاته الشهيرة: (اقتباسات من إنجيل لم تعرفه المجامع) (مجلة الآداب، 1955)، و(لئلا يعود هارون الرشيد) (مجلة مواقف، 1968) ومقالته الشهيرة (المتنبي يروي معارك سيناء والجولان) (كتاب: العرب ظاهرة صوتية، 1977).

وقد نحا فكره إلى الذهنية المثالية التي استخلص من خلالها في كتابه (فلسفة الكراهية: دعوة إلى المحبة) (2001) بأنه (ليست الكراهية إلا الإعلان الضاجّ عن عجز الذات عن مواجهة مشكلاتها مواجهة ذكية وقوية تخرجها من هذه المشكلات، وليس تأصيل الكراهية واستحكامها إلا دليلاً على تأصل العجز واستحكامه).

غلب الشاعر ونظرته الجمالية بشاعة العصر واضطرابه عند المبارك.





ولد المبارك في الأحساء وتلقى تعليمه العام بها، درس الفيزياء والكيمياء وتخرج في كلية العلوم بجامعة القاهرة (1964)، وأكمل دراساته العليا في الفيزياء الجزيئية من جامعة مانشستر (1969)، والدكتوراه في كيمياء الكم من جامعة جنوب ويلز بمدينة كارديف (1974)، وعمل أستاذاً في كلية العلوم بجامعة الملك سعود حتى عام 1992، وعميد كلية الدراسات العليا بجامعة الملك سعود، وعضو مجلس الأمناء بمعهد تاريخ العلوم العربية بجامعة فرانكفورت، ورئيس المجلس التنفيذي للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بمدينة الرباط بالمغرب، وعضو المجلس الأعلى للإعلام في السعودية، وعضو مجلس الإدارة بدارة الملك عبدالعزيز، وأسس ندوة الأحد (1981).

الأعمال النقدية والفكرية:

دفاتر مهجورة (1995)، -طبع لاحقاً بعنوان مختلف أوراق من دفاتر لم تقرأ (2006)-، شعر نزار: بين احتباسين (1998)، فلسفة الكراهية (2001)، هذا الكون، ماذا نعرف عنه (2005)، التطرف خبز عالمي (2006)، من قضايا المجتمع السعودي (2010)، شموخ الفلسفة وتهافت الفلاسفة (2011).

الأعمال الشعرية: رسالة إلى ولادة 1995.

إعلام الإثارة وغياب العقل

يحيى السيد النجار: مصر

المجتمع العربي يعج بإعلام الإثارة، برؤى تفتقد القيم والسلوكيات الأخلاقية، مثلما العديد من الإعلانات التليفزيونية، وهي أيضاً تحتاج لوقفة تأملية. ولسنا مجتمع الاستهلاك فقط، ومجتمع إهدار الوقت؛ فالشيطان يتلقف شياطين الإنس كي تتجه حركة الحياة الإنسانية للبعض نحو الشطط واتباع الهوى، وغياب تشغيل العقل، وتساهم تلك السمة على النماذج الإيجابية المجتمعية. وإعلام الإثارة مثل الماء الراكد الذي يدعو للسأم والملل، بعكس الماء المتجدد الذي يعطي إحساساً بطعم الحياة الجادة، بل ينقي عفونة المياه الراكدة. وحاضر المجتمعات العربية بحاجة ليقظة حضارية لمواجهة التحديات المعاصرة، والتحرك بالعلم والمعرفة. كما أن الأجيال العربية في أمس الحاجة لوعي وحسن تفكير وتحمل مسؤولية، وبما يحقق الصحوة المجتمعية، والصحوة بحاجة لاتزان حركي، وخير الاستثمار بتشغيل العقل. ولو نظرنا لقيمة الفن والأدب نجدها نتاجاً ذوقياً برؤى فكرية، والفن مجال خصب، وعواطف نبيلة. والفن والأدب أسهما كثيراً في التحولات المجتمعية لحياة الشعوب والأمم، وللإنسان بصيرة منهج بالكلمة الطيبة، وحياة الإنسان العربي لا تعرف الفراغ، من هنا وجب على الإعلام والفن بيان القيم والمهارات والعلوم والمهارات والفنون والآداب بأهداف اجتماعية وثقافية. والفن والإعلام ضرورة إنسانية، والنزوع إليهما فطري، والاستجابة لهما طبيعية. والمجتمع العربي ينشد تكريس الإعلام والفن لخدمة قضاياه بمشروع تطهيري وتنقية الكلمة، وصولاً للحق والصدق والموضوعية، من أجل بناء المجتمع القوي والساعي للتقدم الحضاري. ولو نظرنا لثوابت العقيدة نجدها تحث على صدق المحتوى، وشرف الغاية، وسلامة الوسيلة، وجمال العرض؛ بأعمال فنية هدفها تبسيط العلوم، ودفع ملكات الإبداع، وبخاصة أن آليات الثقافة الوافدة تحاول إجهاض الكلمة الطيبة بالغموض؛ لضياع القيم الأخلاقية والإنسانية، بنشر خطوط اللهو، ومن هنا لو توافرت في العمل الفني العربي لغة الهوية والتماسك والخصوصية لحقق النجاح المرجو، وما سوء الخلق إلا من إشكالية الفن الهابط، وغياب البعد الأخلاقي. والعقل العربي في حاضره يواجه تحدي الزمان والمكان والتاريخ، بالرغم من أن العرب عرفوا قيمة الكلمة وتفوقوا في صناعاتها وفنونها، ومن هنا يجب توظيف الفن بالتواصل بين الأصالة والمعاصرة، لبناء الأخلاق في النفوس، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: 10). ولو تأملنا تاريخ المرأة العربية في التاريخ الإنساني نجدها مهذبة وفاضلة ومربية وحكيمة وأم رؤوم وزوجة صالحة، بعكس المرأة الغربية التي تعيش لنفسها ولذاتها واهتمامها بالأزياء وأهواء النفس، وتقف لياليها لتعلم الرقص والموسيقى والغناء. وهذا بيان بأن الفن له مهام خطيرة، والشدائد تقع حين تنحدر الأخلاق والقيم، وإعلام الإثارة مهما تجمل فإنه بلا طعم ولا لون، بسبب تغييب لغة العقل والعلم. وثوابت العقيدة تدعو للجمع بين القول والعلم، كما أن إنسانية الإنسان تمثل القيمة العليا للمجتمع المثالي. وإعلام الإثارة يجب أن يبتعد عن آليات الفن الهابط، ليعيد للوجه العربي توهجه لصنع الغد بوثبة تاريخية، وقد قال الشاعر أحمد شوقي:

أرأيت أكرم أو أجل من الذي
يبني وينشئ أنفساً وعقولا

والصناعة والتقدم التقني، إن كانا من أجل حياة أفضل؛ فإن ذلك ببناء العقول من أجل الحياة نفسها، وتقدم المجتمع العربي بتشغيل العقل، وبات ضرورياً على العاملين بالإعلام عدم تفريغ العمل الأدبي من محتواه الفكري بالعمل الفني الهابط. والفارق شاسع بين البناء الحضاري وغلبة الهوى.

تعالُق الروح القارئة

حسن محمد شعيب: مكة المكرمة

كم مرة أمسكت بدفتيه وقلبت في أيامه وتجولت بين معانيه؛ ثم بدون ترتيب منك يفجؤك القدر بأن هناك من يشاركك تلك الجولة، وقد سلك نفس الطريق وتوقف في محطاتك المتفرقة على خطاك وكأن ظله وراك!

لا شك أن في كل منّا تلك الذات القارئة التي تفرض وجودها، وترسم لمداركنا، تلمس خطواتها على الورق، مع توجيه بوصلة الاختيار نحو قرار الوصل أو الانفصال في رحاب الكتاب العاطرة!

تلك النواة الإنسانية لا تراوح في إبداع خلقها الأول أن تخرج عن قانون خالقها الذي وضع فيها منحة الجذب والائتلاف نحو ذوات أخرى تشاركها انقساماتها في خلايا انصهارها البشري بعوالم الأفكار التي تصنع الثنائيات توافقاً واختلافاً.

كيمياء عجيبة، قليلون من دخلوا معاملها الروحية أو دفعوا نحوها في رحلة اللاعودة بعد فراق سرابي؛ بحثاً عن ذلك الحضن الملح، كالوطن الذي نحنّ إليه كلما ابتعدنا عنه وإن كنا ما زلنا فيه!

ذلك القارئ أو القارئة الساكنة في إحدى النواحي بزوايا الروح؛ لابد يوماً أن ينفتح لها عقلك، وقد شقه النور الفطري الإلهي عبر بوابات النفس المتصالحة مع الكلم المقروء والحرف المسطور الذي جمعكما معاً في حب لا مشروط يختصر المسافات عابراً قارات الأرض وسابحات السماء.

تلك التوأمة الروحية تحمل في طياتها مسارات فكرية من التغيير المثري، يقلب عليك روتين حياتك باتجاهات ومكاشفات لما خفي من ذواتنا في الأعماق التي استمرأت الدفن وهربت من مواجهة ماضيها وواقعها القاسي -ربما!

كم تحمل تلك الصفحات في مضي أبصارنا من إشارات وعلامات ورسائل بين الكلمات والحروف لتلك التوأمة التي كانت وما زالت تغزو أحلامنا قبل أي لقاء! حتى إذا التقت الأعين؛ انكشفت تلك المرآة الباصرة عن مزايا فريدة فائقة، لا يكاد يدركها سوى أصحابها، وقد ارتبطوا بوشائج ممتدة في الزمان والمكان، تنبئ عن الأحداث شعوراً بلا اتصال!

إن الوصول لتلك المشاكسة العجائبية بأحضان الكتب، وقد تنفست فيها الحروف وتعانقت الكلمات على أنغام الأسطر المتراقصة في حفلة قراءة صاخبة المعاني السابحة بالفكر عن حدود المعقول الصامت إلى مساحات الإلهام؛ تلك الحالة تحتاج إلى نوع من المشاركة الروحية لا يلبي رغباتها سوى ضالة التوأمة، وقليل من ينتهي سعيهم إليها!



محطات أعصابي لا تنام

د.مها علي أبو عين: فلسطين

لم أعلم يوماً أن استهجاننا الإنساني غزا محافلنا النفسية، بل سكن عروقنا المذبوحة فوضى في كل صوب وحدب، هيجان حياتي لا مسؤول، لا بروز لمعالمه. اختلط الحابل بالنابل، أتخمت بمتاعب وآهات جديدة أضيفت لمعجمي الحزين، بالتحديد تحت حرف الهاء (هاجس).

لملمت حسرتي وصرت مكبلة، (الظروف) كلمة لا أقوى للأسف على محوها من قاموسي، استنفر قلمي، هاج مداده، أغرق صفحات معجمي الجميل، لكن الحبر الأسود طغى على كل الحروف. فقدت التمييز بين الأشياء، كأن رساماً لطخها دون سابق إنذار، بعفوية لربما دبلوماسي شاعر أديب جاء من هناك أثكلته جراحه، فاض أنينه، ذاع صيته، ضممته لصدري بعدما انتظرته بشغف، التقت حماسته وقلمي، تشابكت أرواحنا في محطة غربتنا.

قلت: ما أروع بلادنا يفوق إشراقها التغريد والغدير والهديل، القبلة قليلة على ترابها الأبيض، أما هنا فهي أرض ليست بالعذراء، موحشة حتى لفلذات قلبها الذين لا يعترفون بالعشب والفيروز، لا يعانقون المطر، لا يقدسون الحلم والأمل، لدرجة يصمت معها القلم لترفع العروق وتجف الصور. أين أنت وأين أنت يا صور خضراء زاخرة بعطر الأمل وأحلام تفوح من الربى. سكون يحط على مرآتي لدرجة لا أرى ذراعي المتحركة أمامها.

قال: أ لم تشاهدي فيلم صالة الانتظار إنه حالي كذراعك الساكنة.

قلت وعيناي قد تحولتا إلى محطة شغف جديدة لأرى عالماً أعرفه ولا أعرفه:

رمادياً أرى الثلج والضباب لا يشعراني بالحاجة إلى الدفء كبقية البشر، كلما تساقطت كرات المطر الملحية وانبعثت كالصخر المتحرك سكنت أنا أكثر وأكثر، كلما غنى الزهر واحتفلت الطيور بسبائك الريح وغنيمة الأرض وعرسها الموسمي كلما رغبت بالتعري أكثر لأتساوى أنا والموقد الذي يحرقني جليده.

قال: لماذا الناس هنا تنظر لحذائي؟ هل لأنهم بثلاث أرجل أم لهم ثلاث عيون؟ أم أنا لا أرى!.

تلاشى حاجز المحطة، يدي موقدي التي تمد محطاتي بالوقود رغم الفواصل، أصابعي التي تقسم دولة جسدي نصفين لأصاب بالعمى رغم إبصاري. غبت وغاب عن المحطة ليبقى صدري كرة من الثلج تنتظر قطاراً. تعال أضمك لصدري، وحدتي شوهت صوت المطر مع حضنك، المطر يغني، مع حضنك ستتوحد المحطات.

قال متعجباً: ما بك تسافرين باتجاه آخر وتسافر عيونك إلى هناك!

قلت: أحاول جاهدة القفز عن كل ما يعيق ذهني، أصيب نادراً، وأخفق عشرات المرات، لدرجة يصعب معها الاحتفاظ بمركب الأمان، دون أن أحدق ملياً بمرآة الآخرين قبل مرآتي التي تصدعت من زحمة الصور لأذوب في فتاتها. أتثاءب من الأرق والتفكير، أسبح في أوراق الحياة، خجلة من الفرح، راكعة لبحر الوجود، ودموع الأنهار التي رسمتها على جبين مفكرتي دون إمضاء وكأنها شراييني؛ ذابت، بل انبعث من روحها القمر وأنا. أشعر وكأن السماء تنقشع أزاهيرها لتبدو هالات بيضاء من الصور رغم حلكة الأرض.

قال: في ذكرى ميلادي مللت من رؤية نفسي فقط في مرآتي الصغيرة التي تشكو وحدتي وتهديني زنبقاً في فرحتي وبلسماً في جراحي، أيا نفس آزريني ولوّني وجه الوجع والصبا في سمائي قبل أن أنكر فضل وشمس مرآتي في فصول التيم وجل انكسارات الضوء في خيال ربيع الحياة. حروفي وحروف ميلادي تعفنت لا تجد لها سوى شوق إلى ذاتي وذات الحرية البيضاء لأسكن الثلج بلون الدم.

في هذه اللحظة المرّة لسكون الثلج أحضر النادل كوبين من العصير وقطعاً من الثلج الأبيض وكأنه علم عن مدى احتياجنا لطريق أبيض.

قلت وقد انسدل الستار إلى الأمام أما أنا فبقيت خلف النوى:

أرغب بمزيد من كيف ولماذا وما؛ لأضمن لنفسي وسوادي في هذا الكون بأنهما ما زالا في طور الميلاد الأول، لإزالة الستار الغامض لرحى أدغال وبساتين الحياة المعلقة التي تنصهر معها إلى الآن مخيلتي الطفولية الثلجية التي

تأبى أن تذوب لتعانق زهر وعلقم الحياة بموسوعة وقاموس جديديـن! رغم زحام نبض الزهور وفـرح الربيع الراقص؛ ربيعي ما زال ناعساً يرى جمالاً بعين لا حد لها، بروح تعشق زهـر الحيـاة الصامـت الساكـن، عروقي الملونـة بصخب لا أجيـد الرقص علـى سيمفونيته الأبدية سـوى الرقص على سلـم حلمي الجاهلـي المرصع بالسنابـل. يضيق بي المكان الواسـع الجميل لأجد ركناً أتنفس به سـوى أن أشم نفسي.. العفن الذي أقعدته الوحدة وشلّته الذاكرة الهزيلة.

قـال: علـى قـدر مـا أعشق الحيـاة والأمـل والحـب أرغب بالخلاص والمـوت، إلـى متـى ستبقـى دموعـي السـوداء ترافقني وكأنها اسمي الثاني أو ميراثي؟! ألا أستحق الخلود إلـى الطمأنينـة والأمـان؟ هل هـذه مطالب وشـروط كبيرة جـداً أم أنـا لا أستحقهـا؟ أم أنهـا كثيـرة علـيّ؟ لا أدري سوى شـيء واحـد بأني أستاهـل الحصول على راحة بـال السكينة لكن..

قـال: أدفـن وجهـي بالسحـب لعلهـا تسقينـي المحظـور وتطعمنـي الممنـوع وتلبسني عمامة اللامشـروع وتنطقني حـروف لغـة لا لسـان لهـا وتكتبنـي بقاموس لا فهارس له وتعزفني لحناً وأنا أصم لا لسان لي سوى محطات لا مرئية.

مرت دقائق دون أن أنبس بأي شفة.

قال: ما بك صامتة.

قلـت: صمتي هو موتي، قهري فشلي، قمة ضياعي سفوح تشتتي، إلى أين؟ لا أدري، ما ذنبك أنت يا زمن وهل تقدر أن تنقـذ بحاري التائهة بدون شطـآن؟ لا أحد يقدر على دوائي سـوى صمتـي وصمتـي اللامحـدود، لأن حـدودي مـا زالـت مجهولة. رغم صخري وهشاشتي رغم موتي وخضرة وقوس قـزح قبري حبيبي لا تقلق أدمنت نصفـي الأوحد والأول في مرآتي التي كبر حجمها وزاد جمالها رغم ضبابها!

قـال: سأعـود لبـلادي وعـزّي وعزّهـا، أثقلتنـي الأقـلام والأوراق والحقائـب المبعثرة جداً التي تلح وتنادي بالحسم والتغييـر. أحتـاج جداً إلى محطـة أبدية لا تعتـرف بتقاطع الطـرق توحـد حروفـي وأنفاسـي وتلـم شمـل مذكراتـي وملابسي ترمم النصف الآخر من مرآتي وتعدل بين أسنان مشط مشواري تربت على كتف أفراحي وأحزاني معاً وتلملم خريطـة ألـم محطاتـي لتتكاثر زهـور حظـي ويتلاشى ظل المحطة.

قلـت: أشجعـك على التفكيـر الجدّي بالاستقـرار، عمرنا هذا مرحلة لبناء دائم!

آه انبعج قلمي وتبلل ورقي، لم أحتمل، طويت بقايا معجم محطاتـي واستوطـن الحـزن قلبـي. أمّـا مـا كتبتـه لحبيب وطنـي غيـض من فيض، لـم يحو الجديد، بقلـم استقر قاع البئـر البعيـد دون أن يشفـي غليلـي، هل من أحـد يسلف لي قلماً وعصباً جديداً؟

الرحلة ألغيت حتى إشعار آخر. هكذا علمت من استعلامات المطار بعد أن استيقظت من نومي العميق. أما أعصابي فلم تتوقف ولو لبرهة!





بالتعاون مع مدينة الملك عبدالعزيز

المجلة العربية تترجم موسوعتين فرنسية وبريطانية

المجلة العربية: الرياض

ضمن أعمالها الجديدة في مسار إنتاج الكتب وترجمة المعارف وإثراء المحتوى العربي؛ أصدرت المجلة العربية بالتعاون مع مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية حديثاً؛ ترجمتين ثريتين، تمثلت الأولى في سلسلة «ماذا أعرف» الثقافية بعد ترجمتها من السلسلة الثقافية الفرنسية Que sais-je. فيما تمثلت الترجمة الثانية في موسوعة باراغون البريطانية العلمية المصورة.

وبين رئيس تحرير (المجلة العربية) الأستاذ محمد السيف أن ترجمة موسوعة باراغون البريطانية العلمية المصورة؛ تصدر عن المجلة العربية بالشراكة مع مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، ضمن مشروع (الثقافة العلمية للجميع)، وذلك عبر الناشر الأجنبي (شركة باراغون) البريطانية الرائدة في مجال الموسوعات العلمية والتكنولوجيا والمعارف العامة. حيث تضمنت الموسوعة 18 مجلداً بالألوان بواقع 144 صفحة لكل مجلد بورق مصقول ومواصفات فنية عالية.

وقال السيف إن عناوين الموسوعة شملت: الفضاء، والعلوم والتكنولوجيا، وموسوعة الحيوانات، والمستكشفون العظماء، والموسوعة المصورة المذهلة، والعالم القديم، وعالمنا عبر العصور، وأسئلة وأجوبة علمية مدهشة، والعلوم، وموسوعة الحيوانات، والموسوعة العلمية الشاملة، والآلات العملاقة، وموسوعة جسم الإنسان، وموسوعة الطقس والمناخ، والأرض، وحياة المحيطات، وموسوعة المعارف العامة، وتاريخ الشعوب.

وتعد موسوعة باراغون المصورة موسوعة شاملة ذات قيمة علمية تربوية ثمينة. حيث تتضمن معلومات ممتعة وحقائق مذهلة ومواضيع علمية موضحة بالصور الملونة تجعل التعلم ممتعاً ومسلياً. وهي موسوعة غنية بالصور والخرائط والرسومات البيانية التي يفوق عددها عشرة آلاف صورة. كما تتضمن مئات المعلومات والحقائق المثيرة للاهتمام بدءاً من الكون الفسيح إلى أصغر الحشرات على وجه الأرض.

أما ترجمة سلسلة (ماذا أعرف) الفرنسية؛ فبين السيف أن المجلة العربية بالشراكة مع مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية تعاقدت مع دار النشر الفرنسية لترجمة 16 عنواناً منها، وصدر حديثاً من هذه السلسلة 6 عناوين هي: الطب الإنساني (112 صفحة)، والأخلاقيات الطبية (118 صفحة)، والصحة والبيئة (112 صفحة)، واكتساب العدد (136 صفحة)، وعلم الاجتماع في العلوم (112 صفحة)، والطاقة النووية (120 صفحة)، حيث جاءت السلسلة بالحجم الصغير.

وتعد سلسلة (ماذا أعرف) الفرنسية من أعرق المصادر للمعرفة الموثقة والمكثفة لأهم المكتشفات والعلوم والتاريخ في العالم، وتصدر عن المنشورات الجامعية الفرنسية العريقة في عالم النشر الأكاديمي والمتخصص في العلوم والمعرفة الإنسانية والاجتماعية (PUF). وتضع هذه السلسلة في متناول المهتمين، وفي أكثر من 44 لغة؛ الأبحاث المكثفة والدراسات المركَزة التي أعدها وحلل معطياتها أهم الاختصاصيين والمفكرين في بلدان كثيرة من العالم وفي العلوم كافة. وتضم السلسلة 700 عنوان، وترجمت إلى 44 لغة، وبيع منها حتى الآن 200 مليون كتاب.

وأكد السيف أن المجلة العربية تتبنى هذه المشاريع المعرفية انطلاقاً من دور الثقافة ومؤسساتها نحو واجب الترجمة الجادة والرصينة لتحقيق الأثر الفعال على امتداد الخارطة الثقافية العربية. كما أن شراكة المجلة مع مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية تنطلق من السياسة الوطنية للعلوم والتقنية التي تهدف إلى تبني منظور شمولي لمنظومة العلوم والتقنية والابتكار على المستوى الوطني يكون مرجعاً لتنمية المنظومة وتنسيق وتكامل مكوناتها. إلى جانب ما تشير إليه السياسة الوطنية أيضاً من حيث ضرورة إيجاد الوعي لدى أفراد المجتمع بأهمية العلوم والتقنية ودورهما وجدواهما في تحقيق الأمن الوطني الشامل والتنمية المستدامة. موضحاً أن إصدارات المجلة العربية كافة تعرض في المكتبات التجارية المحلية المعروفة، وستعرض أيضاً في جناح المجلة بمعرض الرياض الدولي للكتاب 2017م إلى جانب عرضها في معارض الكتب الدولية الأخرى.



المدينة المنورة
MADINAH
2017 - 1438

المدينة المنورة
عاصمة للسياحة الإسلامية 2017

تقرير: فهد الحمود، تصوير: حامد الظاهري

(طيبة الطيبة) هكذا لقبها المسلمون، أول عاصمة في التاريخ الإسلامي، تحتضن المدينة المنورة أكثر من 200 موقع ومعلم سياحي متنوع ما بين المباني التاريخية والمواقع الأثرية ذات الارتباط الديني، كالمسجد النبوي والمساجد المرتبطة بالعهد النبوي، وكذلك المباني التاريخية القديمة، مثل: قصر عروة بن الزبير، وقلعة قباء، ومتحف العنبرية (سكة الحجاز)، وغيرها الكثير من الإرث الإسلامي.

إنها المدينة المنورة التي تم اختيارها (عاصمة للسياحة الإسلامية 2017) في ختام أعمال اجتماع وزراء السياحة في الدول الأعضاء لمنظمة التعاون الإسلامي، والذي عقد في نيجيريا بتاريخ 23 ديسمبر 2015م، وبهذه المناسبة تمت دعوة اتحاد الصحافة السياحي من قبل اللجنة المنظمة للترشيح، وقد ضم الفريق الإعلامي المرشح من قبل اتحاد الصحافة السياحي كلاً من (السعودية، الكويت، البحرين، قطر، سلطنة عمان، مصر، المغرب، تركيا) 13 إعلامياً وإعلامية.

الكل كان على الموعد عند التاسعة مساء يوم السبت 18 فبراير 2017 لحضور حفل تدشين (المدينة المنورة عاصمة السياحة الإسلامية 2017)، والذي كان برعاية رئيس الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز وبحضور الأمير فيصل بن سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة، رئيس مجلس التنمية السياحية بالمنطقة وذلك بحديقة الملك فهد المركزية بالمدينة المنورة.

ومع تدشين الأمير سلطان بن سلمان للحفل، انطلق الأوبريت بأكثر من 300 عارض وعدد من المنشدين ولمدة تجاوزت الساعة، عرضت خلالها العديد من الفقرات والتي تضمنت عرضاً لتاريخ المدينة المنورة إلى العصر الحديث، حيث تحرك المسرح بضيوفه تحية للعارضين لما قدموه من تميز وأناشيد، كما ترجل أمير منطقة المدينة المنورة الأمير فيصل بن سلمان واقفاً وحيا العارضين لما أبدوه من براعة في الأداء والمشاعر الوطنية العالية.

هذا وقد اشتمل برنامج الدعوة الموجه من قبل سياحة المدينة على جولة تعريفية لبعض المعالم والآثار النبوية، فالمدينة المنورة يوجد فيها أكثر من 200 موقع ومعلم سياحي متنوع ما بين مبانٍ تاريخية ومواقع أثرية من الصعب جداً تغطيتها خلال ثلاثة أيام (مدة الدعوة) أو حتى ثلاثة أشهر، وهذا يعد كنزاً سياحياً كبيراً، وكانت الجولة عبر حافلة تتوفر فيها أبرز التقنيات الحديثة، ظهر فيها كرم الضيافة المديني وشملت الجولة مواقع الغزوات، ومنها: جبل أحد، والصعود على جبل الرماة، ومن المزارع الآبار النبوية، وكذلك المساجد والمصليات التاريخية.



غادة السمان عن كتاب المجلة العربية (حوارات):

تحضير أرواح الأدباء وفاء ونبل



المجلة العربية: الرياض

هل تشتهي استحضار روح كاتبك المفضل واستجوابه؟ بهذا السؤال التحفيزي تستهل الكاتبة العربية الكبيرة غادة السمان إشادتها بكتاب (المجلة العربية) الصادر مؤخراً (حوارات) من إعداد الأستاذ سعد المحارب. وذلك ضمن أعمال المجلة الكتابية التي أطلقتها بمناسبة بلوغ المجلة 40 عاماً منذ صدورها.

إجابة عن السؤال أعلاه تقول الروائية السمان: كتاب (حوارات) يجعل ذلك ممكناً، نبدأ بعمنا نجيب محفوظ، ونقوم بتحضير روحه دونما غرفة مظلمة وطقوس شعوذة؛ بل تحت الشمس وبتقليب صفحات كتاب (حوارات).

تضيف الأستاذة السمان: عبر الكتاب ذاته (حوارات) الصادر عن (المجلة العربية) نستحضر روح الأديب السعودي المبدع عبدالله الجفري، فيخرج غاضباً على جائزة نوبل والمطاردين لها، صائحاً لمحاوره سمير خوجة بكه: الصهيونية استحوذت على كثير من المؤسسات الثقافية بمثل استحواذها على الإعلام العالمي، وبالذات فقد سيطرت على لجنة جائزة (نوبل) حتى أنها منحت جائزة السلام لأكبر وأبشع سفاح في القرن العشرين (بيغن).

وإلى السودان مع أديبتنا الكبيرة وكتاب (حوارات): ننتقل إلى السودان لتحضير روح شاعر مبدع هو محمد الفيتوري. يستحضره لنا (أحمد محمد عبد العظيم) حياً نضراً في لحظة توهج، حيث يكشف لنا أنه لم يكتب الشعر فقط بل المسرحية أيضاً وكنا نجهله.

وتتساءل المبدعة المتفردة: أين المرأة الأديبة في كتاب (حوارات)؟ ثم تعلق: ستكون لي في العدد المقبل وقفة أخرى مع (تحضير أرواح) مبدعين: كالبياتي والطيب صالح وعمر أبوريشة.. وسواهم.

وتمضي مشيدة بكتاب (حوارات)، قائلة: (حوارات) صدر قبل أشهر، ويقع في 453 صفحة. ويضم حوارات مختارة مما نشر في (المجلة العربية) السعودية خلال 40 عاماً، ورئيس التحرير هو محمد السيف. وقد اختار الحوارات للنشر في الكتاب الأستاذ سعد المحارب. ونطالع في (حوارات) نحو 56 حواراً مع مبدعين رحل معظمهم عن عالمنا.

وتواصل: الفكرة مفيدة، يستحق محمد السيف وسعد محارب الترويج لها، آملة إصدار كتب عن مجلات أدبية عربية جادة أخرى ذات قيمة فكرية، نطالع فيها مختارات من حياتنا الأدبية، ونلتقي بصورة عن الحياة الفكرية العربية في نصف قرن مضى، ولا بد من تقدير الجهد الفائق الذي بذله سعد المحارب الذي كان عليه أن يختار من بين مئات الحوارات ما تستطيع دفتا كتاب احتواء كلماته، ولتحويل حوار صحافي شبه عابر ومصيره النسيان إلى وثيقة أدبية، وإلى شاهد على روح عصره... وإلى مرآة نفسية لأمزجة المبدعين العرب.

تضيف أيضاً: بمجرد صدور هذا الكتاب نجد الوفاء الجميل لمبدعين. ونجد في الكتاب أيضاً وثيقة أدبية لجماليات الكلمة المبدعة ومتعة تحضير أرواح أدباء أحببناهم أمثال: عمر أبوريشة ونازك الملائكة وغازي القصيبي ويوسف إدريس ورجاء النقاش وبلند حيدري.. وسواهم كثير.

وتختتم مقالها الشهادة بهذه الملاحظة المقدرة: لكنني لاحظت ضآلة حظ إبداع الكاتبات النساء في الكتاب، وبينهن من تمنح إبداعاً كشقيقها الأديب الذكر، ولم يعد الأدب الذي تكتبه المرأة هو الكتابة الأقل منزلة. وأدب (الرجال) ليس قوّاماً على (أدب النساء). والفضل لحضورهن في الكتاب يعود إلى حمد القاضي الذي حاورهن وإلى (المحارب) الذي انتقاهن.

الإنسان مواقف

حتى نلتقي

عثمان حمد أبا الخيل: الرياض



الإنسان مواقف يمارسها في تفاصيل حياته، مواقف إنسانية واجتماعية ونفسية، مواقف وطنية؛ وهل هناك أعز من الوطن؟ تلك المواقف باختلافها تترك أثرها إيجاباً أو سلباً مدى الحياة. الإنسان قول وفعل، الإنسان مجموعة أحاسيس ومشاعر وقيم. الإنسان تبقى في ذاكرته تلك المواقف التي مرّ بها، وتمتع بها، وتبقى في الذاكرة طويلاً. المواقف مهما صـغُرتْ لها صـدى كبير عند الإنسـان الـذي يُقـدّر المواقف. ليس هناك مقياس يحدد درجة قوة وضعف الموقف. أحياناً نقوم بمواقف مع الآخريـن دون قصـد، مواقف إيجابية تترك الأثـر الطيب، وأحياناً أخرى نقـوم بمواقف سلبية تهز جدار العاطفة وتترك أثراً.

أتذكـر حادث سيارة بسيطاً حدث لي شخصياً بصحبة زوجتـي على أحد الطرق السريعة، وكما هي العادة أسرع الجميع لتقديم الخدمات، إنه موقف أثلج صدري، وبرهن على بقاء الإنسانية التي زرعها الله سبحانه وتعالى في قلوبنا.

أنتـم أيهـا القراء والقارئات لكم مواقف إيجابية، ومررتم بمواقف سلبية في حياتكم مع أشخاص لهم في القلب معزّة ومودة، تلك المواقف محفورة في ذاكرة تاريخكم.

همسـة فـي أذن أصحاب المواقف السلبية: الذاكرة لا تنسى مطلقـاً، فلماذا لا تغيرون من حالكم وتحسنـون تصرفاتكـم؟ قال تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيـروا ما بأنفسهم) (الرعد:11). فـي المواقف الصعبة تسقط الأقنعة، وتبدو الأمور واضحة، وتظهر الوجوه كما هي. في المواقف الصعبة تعرف من حولك، وتعرف مدى قربهم وبُعدهم. كم هو مؤلم أن تكون الظروف الصعبة هي الوسيلـة الوحيـدة لكشف حقيقة من ادعى المحبـة والود والإخلاص والصداقـة، لكنه هذا الواقع الذي نعيش فيه.

مواقـف مملكتنـا الحبيبة كثيرة ومتنوعـة، وفي كل شـؤون الحياة، بتوجيهات خـادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز. من تلك المواقف: تبوأت مملكة الإنسانية المركز الأول عالمياً فـي دعم الدول المتضررة من الكـوارث الطبيعية من زلازل وفيضانات وحروب وفقر.. دون تمييز، ممـا أكسبها سمعة عالمية لشفافية ما تقدمه من دون شروط أو تمييز ديني. مليارات الريالات لدعم الأشقاء والأصدقاء وفي كل المواقف، إنها مواقف مملكة الإنسانية.

الإنسان موقف، ولكل إنسان موقف عليه أن يظهره للآخرين، خصوصـاً حين يكون موقفاً إيجابياً، المهـم أن يكـون موقفـاً مبنياً على قناعـات معرفية راسخـة وعلمية صحيحة، وليـس موقفاً هلامياً سرابيـاً لا يغني. أجـزم أن غالبية الناس مروا بمواقف سلبية أو إيجابية حدثت معهم أو قاموا بها. كـم هو جميل أن يحاسب الإنسان نفسه على المواقـف السلبية التي قام بها، والأجمل أن يعتذر عن تلك المواقف، وعلى الطرف الآخر تفهم الموقف، وقبول الاعتذار، فالحياة حبلى بالمخطئين.

أخيراً لا بد من تصحيح المواقف الخاطئة، فالإنسان مواقف. وترك السمعة الحسنة هدف ينشده الجميع. إنها دعوة لتصحيح المواقف مهما كانت، ومها صغرت. الإنسان يموت وتبقى ذكراه عالقة في أذهان الناس، اترك ما تتمناه، وليس عيباً أن يصحح الإنسان موقفه. أقتبس: (احذر أن تتحول انطباعاتك الأولية عن المواقف السلبية التي تمر بك مع بعض الأشخاص إلى قناعات نهائية).



تركي السديري -كاتب وصحافي سعودي

المجلة العربية


الطاقة النووية

